جهود الصحابة في اللغة



خالد بن صالح بن محمد العزاني

عالم الكتب الحديث

جدارا للكتاب العالمي

جهود الصحابة في اللغة

ابن عباس أنموذجاً

المؤلف

خالد بن صالح بن محمد العزاني

٢٠٠٦

جدارا للكتاب العالمي
عمان- الأردن

عالم الكتب الحديث
إربد- الأردن

الطبعة الأولى
2006

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2006 /4 /732)

378.152

العزاني، خالد بن صالح

جهود الصحابة في اللغة: ابن عباس أنموذجاً/ خالد بن صالح بن محمد العزاني.- إربد: عالم الكتب الحديث، 2006.

(   ) ص.

ر.إ.: (2006 /4 /732)

الواصفات:/اللغة العربية//قواعد اللغة/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ردمك: ISBN 9957- 466- 36- 4



عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع
إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفاكس: ٧٢٧٢٢٧٢ - ٩٦٢+ خلوي: ٥٢٦٤٣٦٣ - ٠٧٩
صندوق بريد (٣٤٦٩) الرمز البريدي (٢١١١٠)
الموقع على الإنترنت
www.almalktob.com

جدارا للكتاب العالمي
للنشر والتوزيع
عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس
تلفاكس: ٥٦٦٧٢١١

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله ﷻ:

﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾.

[المجادلة/ ١١]

أقوال للحقيقة والتاريخ

قال رسول الله- ﷺ-: ((اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيْلَ)).

قال ابن مسعود - ﷺ-: ((لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره أحد منا)).

قال مجاهد - رحمه الله -: ((ما رأيت أعرب لساناً من ابن عباس)).

قال ابن جني - رحمه الله -: ((ينبغي أن يحسن الظن بابن عباس؛ فيقال: إنه أعلم بلغة القوم من كثير من علمائهم)).

المحتويات

الموضوع	الصفحة
أقوال للحقيقة والتاريخ	ز
شكر وتقدير	ح
تقديم	ي
المقدمة	١
الفصل الأول	
(نشأته وحياته)	٥
المبحث الأول: (نشأته)	٧
اسمه ونسبه	٧
مولده	٨
أبوه	١٠
أمه	١١
إخوته	١٢
أولاده	١٤
مواليه	١٥
صفاته	١٦
صفاته الخَلْقية	١٦
صفاته الخُلُقية	١٦
فطنته وحسن أدبه	١٦
تواضعه	١٧
حبه الخير للناس	١٧
صفاته العقلية	١٩
رجاحة عقله وبعد نظره	١٩

الموضوع	الصفحة
قوة الحجة والإقناع	٢٠
عبقريته	٢٢
وفاته	٣٣
المبحث الثاني: (حياته)	٣٤
مكانته	٣٤
ثناء الناس على ابن عباس	٣٥
جلالة قدره وعلو منزلته	٣٨
حسن تقديره للأمور	٣٩
غزارة علمه	٣٩
أسباب تفوقه العلمي	٤١
شيوخه وأساتذته	٤٤
المعلم الأول الرسول ﷺ	٤٤
روايته لأحاديث الرسول ﷺ	٤٦
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٤٧
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٤٨
عثمان بن عفان رضي الله عنه	٥١
علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٥٢
أبي بن كعب رضي الله عنه	٥٤
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	٥٦
زيد بن ثابت رضي الله عنه	٥٩
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه	٦١
أم الفضل - رضي الله عنها-	٦٢
تلاميذه	٦٤
في علم الحديث	٦٥
في علم الفقه	٦٥

الموضوع	الصفحة
في علم التفسير	٧٠
في علم القراءات	٧٦
تأثره وتأثيره	٧٨
بالقران الكريم	٧٨
بالسنة المطهرة	٧٩
تأثره بالصحابة	٨١
إنشاء مدرسة التفسير في مكة المكرمة	٨١
الفصل الثاني	
(مصادر الدرس اللغوي عند ابن عباس)	٨٥
المبحث الأول: (كتب التراجم والتفسير)	٧٨
عدد الروايات المعتمدة وغير المعتمدة عند المفسرين	٩١
الإسرائيليات في أقوال ابن عباس بين القبول والرد	٩٩
المبحث الثاني: (الآثار العلمية دراسة تحليلية)	١٠٢
صحيفة علي ابن أبي طلحة	١٠٣
ترجمة رجال سند الصحيفة	١٠٥
مكانة الصحيفة عند العلماء	١٠٩
سمات الصحيفة	١١٢
ثانياً: سؤالات نافع بن الأزرق	١١٨
صحة نسبة سؤالات نافع بن الأزرق إلى ابن عباس	١٢١
الحكم على الأسانيد	١٢١
الإتقان	١٢٢
الوقف والابتداء لابن الأنباري	١٢٣
المعجم الكبير للطبراني	١٢٣

الموضوع	الصفحة
تفسيره للقران بالشعر	١٢٨
ثالثاً: نماذج من استشهاده بالشعر	١٣٠
تحقيق نسبة هذا الكتاب	١٣٥
أولاً: حلقات الإسناد	١٣٦
ثانياً: الجوانب النحوية واللغوية	١٤٠
ثالثاً: أسلوب الكتاب وعباراته	١٤٣
رابعاً: كتاب لغات القرآن (غريب القرآن) المنسوب إلى ابن عباس	١٤٥
أسانيد النسخ المخطوطة	١٤٦
تحقيق نسبة هذا الكتاب	١٤٩
أولاً: رجال الإسناد	١٤٩
ثانياً: محتوى الكتاب	١٥٦
الفصل الثالث	
(آراؤه الصرفية والنحوية)	١٦٥
المبحث الأول: (آراؤه الصرفية)	١٦٧
آراؤه في الاشتقاق	١٧٠
١- في اشتقاق (إنسان)	١٧٠
٢- في اشتقاق (آدم)	١٧٥
٣- في اشتقاق (نقدر)	١٧٨
٤- في اشتقاق (قريش)	١٨٢
٥- في اشتقاق (منى)	١٨٦
٦- في اشتقاق (اللات والعزى ومناة)	١٨٦
٧- في اشتقاق (العالمين)	١٨٧
حجة القراءات	١٨٨

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: (آراؤه النحوية)	١٩٤
ابن عباس ونشأة النحو العربي	١٩٤
مسألة الاستثناء	٢٠٦
نيابة الحروف ومعانيها	٢٠٧
١- لعل	٢٠٨
٢- بلى	٢٠٨
٣- هل	٢٠٨
٤- واو الثمانية	٢٠٩
٥- أو	٢١٠
٦- الاستفهام في معنى النفي	٢١٠
٧- معنى عن	٢١٠
٨- إنْ معناها النفي	٢١١
مسائل في الحذف	٢١١
أ- حذف المضاف	٢١١
ب- حذف المعطوف	٢١٢
جـ- حذف الحال	٢١٣
التقديم والتأخير	٢١٣
معنى كان وزيادتها	٢١٥
عود الضمير	٢١٦
مسائل نحوية متفرقة	٢٢٠
١- صرف مصر	٢٢٠
٢- اسم الجنس مستغرق لأفراده بخلاف الجمع	٢٢٣
٣- قاعدة النكرة إذا أعيدت معرفة	٢٢٤

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع	
(آراؤه اللغوية)	٢٢٥
المبحث الأول: (آراؤه في اللغة)	٢٢٧
ابن عباس ونشأة اللغة	٢٢٨
أقوال وردود	٢٣٦
رأيه في أول من تكلم بالعربية	٢٤١
رأيه في أصل اللغة أهي عربية أم لا؟	٢٤٣
رأيه في أول من كتب بالخط العربي	٢٤٥
آراؤه في اللهجات (لغات العرب)	٢٤٧
نماذج من أقواله في لغات العرب في القرآن الكريم	٢٥٠
آراؤه فيما وقع بغير لغة العرب في القرآن الكريم	٢٥٢
نماذج من أقواله في ذلك	٢٥٧
المبحث الثاني: (المعجمية والدلالة)	٢٦٢
أولاً: المعجمية	٢٦٢
ثانياً: الدلالة	٢٧٤
دلالة الألفاظ والتراكيب	٢٧٦
نتائج ومقترحات	٢٩٥
قائمة المصادر والمراجع	٢٩٧

شكر وتقدير

قال الله ﷻ: ﴿فَاذْكُرُوْنِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوْا لِيْ وَلاَ تَكْفُرُوْنِ﴾. [البقرة/ ١٥٢].

فأشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شاء من شيء بعد على فضله وإحسانه وتوفيقه وامتنانه إذ وفقني لإتمام هذه الرسالة على الوجه التي هي عليه، وما توفيقي إلا بالله.

وقال النبي ﷺ: ((من لا يشكر للناس لا يشكر لله)).

فمن دواعي سروري أن أتوجه بالشكر الكثير والثناء منقطع النظير إلى أستاذي ومعلمي الفاضل الأستاذ الدكتور هادي النهر الذي أشار عليّ بموضوع البحث وامتن بالإشراف عليّ، وأمدني بالنصح والتوجيه حتى صار عملاً مكتملاً، فجزاه الله عني خير ما جازى به عالماً عن متعلم.

وأتشرف - أيضاً- بشكري وتقديري لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على ما قدموه لي من مساعدات علمية تمثلت بإرسال بعض الدوريات والنشرات الثقافية بما تختص بموضوع البحث .

ويسعدني -أيضاً- أن أبعث بالشكر والتقدير إلى طلاب العلم في دار الحديث بدماج الذين قدموا كل نصح وإرشاد في سبيل إنضاج البحث؛ وأخص منهم القائمين على مكتبة دار الحديث الذين سهلوا لي البحث في المكتبة، وأعانوني على ذلك.

ومن تمام سعادتي أن أشكر كل من قدم لي يد العون في مدي بمراجع تخص موضوع البحث.

وأخيراً أتوجه بخالص الشكر إلى كل من أتحفني برأي أو نصيحة أو توجيه يتعلق بالبحث، فلهم مني جزيل الشكر والثناء، وأرجو لهم من الله حسن الجزاء، وجزى الله الجميع كل خير.

فحسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تقديم

من الكواكب المضيئة الأولى في دنيا الإسلام والمسلمين صحابي جليل ينتهي نسبه إلى ما انتهى إليه نسب أشرف خلق الله نبينا محمد -عليه أفضل الصلاة والسلام- نشأ في بيت النبوة، ولازم رسول الله طفلاً وصلى خلفه وبجانبه هذا الصحابي الجليل هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف بن قصي ابن عم الرسول -ﷺ-.

لقد علم ابن عباس -رضي الله عنهما- القرآن شاباً فكان لا يسأل عن شيء فيه إلا أجاب، مجتهداً فيه عارفاً بأسرار لفظه، ودقة معانيه مع تورعه عن القول فيه بغير علم أودراية. إلى جانب معرفته بقومه أنسابهم، وأيامهم وفرائضهم، وعلومهم، وآدابهم، وبلغتهم دقائق نظمها،وفرائد نثرها، فلم يكن كما تروى المظان الموثوقة أعلم بشعر، ولا عربية، ولا تفسير ولا بحساب، ولا بفريضة منه ولهذا لم يُرَ عالم قط جلس إليه إلا خضع له، ولا وجد سائل سأله إلا وجد عند علماً وإذا كان ابن عباس -رضي الله عنهما- قد فاز بدعاء رسول الله له وهو جنين في بطن أمه (أم الفضل) المرأة الكريمة التي كانت أول عربية أسلمت بعد خديجة رضي الله عنها في أن تقرّ به أعين والديه، وفاز (بحنكة ريق الرسول) ﷺ وهو وليد في خرقة، وفاز بدعائه في أن يعلمه الله الكتاب والحكمة ويفهمه في الدين ويعلّمه التأويل.

وفاز باكبار صحابة رسول الله من الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم جميعاً- وغير من الصحابه الميامين من أمثال (سيد القراء أبي بن كعب)، و(عبد الله بن مسعود) الذي كان أول من جهر بالقرآن في وجوه

أهل مكة، و(زيد بن ثابت) كاتب الوحي، وأمين سرّ قلم الرسول الكريم، وكاتبه الشخصي، ووالديه الكريمين (العباس بن عبد المطلب) الذي صار أحد مشايخه بالرواية وأمّه الفاضلة (لبابه الكبرى) رضي الله عنهما، وغيرهم من كبار الصحابة الاجلاء كثير.

أقول: إذا كان ابن عباس قد فاز بهذا المقام الرفيع والمكانة السامية فمن واجب الباحثين الخيرين من شبابنا ممن يقبلون على طلب العلم لا يريدون جزاءً ولا شكورا إلا وجه الله تعالى ورضاه، ووجه العلم الصالح نفسه أن يتصفحوا ماطوي من صفحات تراثنا الضخم لينفضوا عن بعض كنوزه وجواهره المعرفية غبار الأيام في زمن نحن احوج ما نكون فيه إلى مثل هذه الكنوز حتى يظل قبس العلم مضيئاً في الحياة الدنيا المليئة اليوم بالظلمة والتكامل، والتهاون، والجهل بمآثر السابقين العلمية والمعرفية والثقافية بما يحفّز حاضرنا على التقدّم والعلو.

وحينما وقعت بصيرتي على (خالد صالح العزاني) وهو على مقاعد الدراسة العليا في جامعة عدن ألفيت نفسي أمام طالب فاضل، مؤمن، متبتل بالعلم، شغوف به، متفحص لمسائله، فعرضت عليه أن يوفّي عنا جميعاً بعض ما في أعناقنا من دين لرجال أفذاذ من أمثال ابن عباس -رضي الله عنهما- وأشرت عليه بأن يتناول من هذا الصحابي الجليل (جهوده اللغوية).

فمضى بعزم، فاحسن واجاد، وأخرج للناس هذا الكتاب العلمي على أحسن ما تكون الدراسات والبحوث من بروز شخصيته الباحث وفهمه لما يقرأ، وقدرته على صوغ ما يقول بلغة سليمة، وأسلوب رشيق وأفكار وتصورات معمقة -جادة- تزيد على ما عرف عن ابن عباس

قـضايا جديدة، وحقائق علمية تزيد كثيراً من الطروحات التي قيلت بشان جهـود ابـن عـباس وأثـاره العلمـية. ومن ذلك التأكيد على أنه صاحب قـصب الـسيق في علـم التفسير، وأنه الحلقة المفقودة في تاريخ نشأة النحو العربـي يمكن ردّ بدايتها إلى الإمام علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما.

وأنـه أول مـن وازن بـين لهجـات العـرب، ووضـع أسـاس علم الدلالـة اللغـوية وأصـول الاحـتجاج للقـراءات، وأن مـا نـسب إليه من الكـتب لم يكـن بعـضها مـن تصيغه، كل هذه النتائج العلمية وغيرها من النـتائج الـتي اسـتطاع الـباحث الخـروج بها والتوصل إليها بروح نقدية، وعـزم أكيد، ومخاضة صعبة، واجتهاد مخلص وإذا كان من المأثور عن ابن عـباس قـول –رضي الله عنهما- فيما ينقل ذلك عنه أبو منصور الثعالبي (ت. ٤٢٦ هـ) كل قادم دهشة فابدؤوه بالتحية.

فإني استقبل هذا العمل العلمي بتحية إعجاب وتقدير، واتمنى أن يحتل موقعاً متميزاً بين الدراسات الجادة.

وما التوفيق إلا بالله الكريم العزيز

أ.د. هاني نهر

عدن في ١٦/ شعبان/١٤٢٦هـ

٢٠/ أيلول/ ٢٠٠٥م

مقدمة

الحمد لله بارئ الخلق وفالق الإصباح، علّم الإنسان ما لم يعلم وفضله بالنطق والإفصاح، سبحانه من قادر وقاهر وفتاح، فله الحمد في الأولى وفي الآخرة وله الحمد في الغدو والرواح.

والصلاة والسلام على من بعثه الله للعالمين بالهدى والرحمة والسماح، وعلى آل محمد وصحبه أهل الهدى والتقى والنجاح.

أما بعد:

فإن الباحثين في علم ما أو الذين يبحثون عن تراجم من سبقهم ليجدون المتعة واللذة حين يخلون بأنفسهم إلى تراجم السابقين، وإن متعتهم بتاريخ العلم نفسه أحفل وأعظم.

وإننانطري -عادة- من يؤلف كتاباً في حياة عالم من العلماء؛ لأنه يتيح لنا الفرصة أن نعايشه فنخبر جده ودأبه لكشف الغامض ودفع العلم إلى الإمام ولو خطوة، ونجد الأسوة في استهانته بالعراقيل والمعوقات، ووقوفه للزمان والحساد والخصوم والجاهلين، وإن في حياة كل عالم من هذا لنصيباً موفوراً.

والمسهم في تاريخ العلم لا يحصل على الشكر والثناء في وقت قصير، بل قد يكلفه سطر واحد يخطه واحد يخطه في تاريخ العلم من الجهد وطول العمل ما لم يعانه المؤلف الأول في مجلد. ومن ظن أن جهد باحث يفي باستيعاب أبعاد علم من العلوم فقد ظن باطلاً، وإنما يتم ذلك بتضافر جهود الباحثين في أجيال متلاحقة يتسلم كل جيل تراث من قبله ويعمل في دأب وروية ليتقدم به قليلاً أو كثيراً. فكيف يكون البحث عن رجل قد حوى في صدره علوماً شتى؟!

ذلك الرجل هو ابن عباس -ﷺ- الذي حظي بالدعوة النبوية المباركة، ولقي من الثناء ما لم يلقّه أحد مثله. ولا أتعجل في هذه المقدمة شيئاً من أخباره، فهو موضوع بحثنا ودراستنا.

وقد أشار عليّ بهذا الموضوع معلمي وشيخي الأستاذ الدكتور هادي نهر لما رأى أن هذا العَلَمَ ميدان واسع من ميادين البحث حريٌ بأن يدرس دراسة علمية دقيقة تضع نصب عينيها الكشف عن جوانب من الحياة العلمية لا سيما الجهود اللغوية لهذا الصحابي الجليل.

وفي البدء تضاربت في ذهني الأفكار؛ إذ كنت أظن ما عساني أن أجد من مادة لغوية فيما سطر عن ابن عباس، وقد عرف مسلكه الشرعي؟!

ولما خضت في البحث تفتحت لي آفاق لغوية كثيرة كدت أتوه فيها، وصرت حائراً بين حصر أقواله التي تنصب في جانب اللغة، وبين اختيار النماذج من أقواله لإثبات ما أردت الوصول إليه، فكان الثاني هو اختياري.

وتركزت الدراسة في الآتي:

١- تمحيص المنسوب إليه من آثار علمية لئلا تكتسب صبغة لغوية أو شرعية بسببه وهو عنها بعيد.

٢- إثبات الأولوية له في علوم لغوية كثيرة ونظريات علمية ولغوية كان له السبق فيها لا لغيره.

٣- إبراز ابن عباس -ﷺ- في مصاف اللغويين بما ثبت عنه من أقوال حقيقة لا زعماً.

وعلى الرغم من تصدي بعض الباحثين الفضلاء من أمثال الدكتور عبدالكريم ابن محمد الحسن بكار في كتابه "ابن عباس-ﷺ- مؤسس علوم العربية"، والدكتور عبدالله محمد سلقيني في كتابه "حبر الأمة عبدالله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة"، إلا أني لم أقف في هذين الكتابين ولا في غيرهما على دراسة كافية تتناول ابن عباس من الناحية اللغوية، مع أن الدكتور عبدالكريم بكار قد ذكر شيئاً كثيراً من ذلك، لكنه لم يتناول ما نسب إلى ابن عباس على وجه التحقيق، والآخر تناول ابن عباس من الناحية التفسيرية خاصة.

ولا أزعم أن هذه الدراسة قد حققت ما قصر في هذا الجانب، وإنما هي دراسة متواضعة تضاف إلى جهد من سبق، فلهم كل شكر وتقدير.

واقتضت دراستي في هذه الرسالة أن تقسم على أربعة فصول؛ في كل فصل مبحثان.

فكان الفصل الأول في حياته ونشأته، درستُ في المبحث الأول حياته، وفي المبحث الثاني نشأته. فتناولت نشأته في أخذه عن سيد البشرية وكبار الصحابة، وترجمت لكل واحد مثبتاً بعض الأدلة على أن أحداً منهم كان من أساتذته، وترجمت كذلك لبعض من تلاميذه؛ لتظهر عظمة ابن عباس بمعرفة معلميه وتلاميذه، فإذا ظهرت عظمة الأستاذ إبداع التلميذ اكتملت الصورة في تقرير عظمة ابن عباس؛ لأنه أخذ عن عظيم وأخذ عنه مبدع.

أما الفصل الثاني فكان في مصادر الدرس اللغوي عند ابن عباس، وكنت أقصد بها الكتب التي ذكرت أخباره وأقواله اللغوية وهي مظان لذلك. كما أدرجت ضمنها الآثار العلمية التي نسبت إليه. فاقتضى تقسيم الفصل على مبحثين؛ الأول تحدثت فيه عن كتب التراجم والتفسير وهي الكتب التي تحفل بذكر أخباره وأقواله، فاخترت منها ما يتناسب مع دراستي -أقصد بها اللغوية عموماً-.

والثاني ذكرت فيه آثاره العلمية وهي الكتب التي نسبت إليه، فتناولتها على وجه التحقيق من حيث النسبة صحة وضعفاً. واضطرني ذلك إلى الاستعانة بعلم الحديث لأن هذه الكتب اعتمدت في نسبتها إلى ابن عباس على الإسناد، فتحدثت عن سلاسل الإسناد في كتب التفسير وغيرها الموصلة إلى ابن عباس بما فيها أسانيد الكتب المنسوبة، وفصلت إسناد كل كتاب منسوب إليه وبيّنت ما صح وما لم يصح إلى ابن عباس.

ومع ذلك فإنني لم ألتزم في رسالتي تخريج أقوال ابن عباس كلها من الصحة والضعف سوى الكتب المنسوبة إليه؛ لأن ذلك يطيل من الرسالة ويخرجنا عن مضمونها؛ مع التزامي بعزو الأقوال إلى أصحابها قدر المستطاع.

وقد أوقفت الفصل الثالث على دراسة آرائه الصرفية والنحوية، فكان في مبحثين: الأول تحدثت فيه عن آرائه في علم الصرف وكان أغلبها في علم الاشتقاق

وملحقاً به حجة القراءات معتمداً على البنية الصرفية لبعض المفردات. والثاني كان في آرائه النحوية، وهي آراء تمثل البداية الحقيقة لعلم النحو؛ لأنه لم تكن قد نضجت المصطلحات النحوية في عهده -كما هو معروف- ومع ذلك وجدنا بعض الأقوال تجري في مجرى النحو كما سنلاحظ من أقواله في طيات الرسالة.

أما الفصل الرابع والأخير فاختص بآرائه اللغوية ، وهو في مبحثين:

الأول: تحدثت فيه عن المعجمية التي تمثلها أقواله في التفسير.

والثاني: تحدثت فيه عن الدلالة اللغوية من خلال تفسيره لآيات الذكر الحكيم؛ سواء الدلالة اللغوية للألفاظ أو التراكيب.

وختمت رسالتي بأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال بحثي.

وقد اقتضت طبيعة البحث الاستناد إلى منهج تاريخي في المقام الأول وإن وجدت نفسي ملزما في كثير من الاحيان إلى التحليل والتمحيص والوصف تعزيزاً وتثبيتاً للأفكار والطروحات التي حاولت أن أقررها عبر البحث.

أما روافد بحثي فقد تنوعت بتنوع العلوم التي حازها ابن عباس، وهي كثيرة كان من أهمها كتب التراجم والتفسير واللغة زيادة على كتب الحديث وغيرها.

وما زالت حتى كتابة مقدمة الرسالة تتخالجني أفكار ومقترحات في حذف بعض الفقرات أو زيادة بعضها، أو تقديم متأخر أو تأخير متقدم؛ لشعوري بالنقص الذي أنا فيه إذ الكمال لله وحده سبحانه. وهذه جبلة في البشر، وما أحسن ما قاله العماد الأصفهاني: إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

هذا والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وان ينفعني به والدارسين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب، وحسبي الله ونعم الوكيل.

المؤلف

خالد بن صالح بن محمد بن عوض العزاني الحسيني

الفصل الأول

(نشأتـه وحياتـه)

المبحث الأول

نشأته

اسمه ونسبه[1]:

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب[2] بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن عم الرسول -ﷺ- وهو والد الخلفاء العباسيين. ويُكنى بأبيه العباس، فهو أبو العباس الهاشمي، وينتهي نسبه إلى ما انتهى إليه نسب النبي -ﷺ-.

---

(1) ينظر تفاصيل ترجمته في: جمهرة النسب للكلبي ص٣١، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٤٣٤، وسلسلة الساقط من الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ١/ ١١١ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٢٦٥، وطبقات خليفة بن خياط ص ٤، وكتاب التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٣، وكتاب التاريخ الصغير للبخاري ١/ ١٥٣، وتاريخ الثقات للعجلي ص ٢٦٣، والطبقات للنيسابوري ١/ ١٦٥، وبَقيُّ بن مَخْلَد ص ٨٠، وكتاب المعرفة والتاريخ للبسوي ١/ ٢٤١، ٤٩٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ٤/ ٣٩، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ١/ ٢٨٤، وكتاب التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم للمقدمي ص ٣٠، وكتاب البدء والتاريخ للبلخي ٢/ ١٦٥، وكتاب الجرح والتعديل للرازي ٥/ ١١٦، وتاريخ الصحابة لابن حبان ص ١٤٨، وكتاب الثقات لابن حبان ٣/ ٢٠٨، وكتاب مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ٩، وتاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر الربعي ١/ ١٨٣، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٣٨٤، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ١/ ٣٣٩، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني ٣/ ١٦٩٩، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٣٨٨، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٨، ١٩، وأسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد لابن حزم ص ٤٠، والاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٦٦، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١/ ١٨٥ والإكمال لابن ماكولا ٢/ ٣٨٠، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٣٠، وكتاب الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/ ٢٣٩، وسير السلف الصالحين لإسماعيل الأصفهاني (قوام السنة) ٢/ ٤٧٨، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٣٣٦، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ٦/ ٧٢، و تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ١٥٨، وأسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٢٩١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٢٧٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٣٠، وذخائر العقبى لأبي العباس الطبري، ص ٣٧٥، ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٢/ ٢٩٣، وتهذيب الكمال للمزي ١٥/ ١٥٤، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ١/ ٩٣، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٣٣، والكاشف للذهبي ١/ ٥٦٥، والعبر في خبر من غبر للذهبي ١/ ٥٦ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٤٣٩، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/ ٣٢٠، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ٤٥، وكتاب التذكرة للحسيني ٢/ ٨٧٧، ومرآة الجنان لليافعي ١/ ١٤٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٢٨٠، ونهاية الإرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص ٣٠٩، والعقد الثمين للفاسي ٤/ ٣٧٢، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٤٢٥، وبديعة البيان للدمشقي ص ١٠، وكتاب المقفى للمقريزي ٤/ ٤٨٧، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٥/ ٢٤٥، وتقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٥٠٤، والإصابة في تميز الصحابة لابن حجر ٤/ ١٢١، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١/ ٢٣٤، والرياض المستطابة ليحيى العامري اليمني ص ٢٠٠، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٨، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٣٩ وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٢٩٤.

(2) عبد المطلب اسمه شيبة بن هاشم، واسم هاشم عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن طالب بن فهر. ينظر: كتاب المعرفة والتاريخ ١/ ٢٤١.

غلب عليه الوصف بابن عبّاس فجرى مجرى العلم، فإذا أطلق لفظ (ابن عبّاس) فلا يقصد به إلا عبد الله بن عبّاس من دون إخوته من العبّاس.

انتهت إليه الريادة والرياسة في التفسير والعربية وأنساب العرب والشعر والفقه والفرائض وعلوم شتى، فهو مفخرة قريش خاصة والعرب عامة، فاق أقرانه وذاع صيته ببركة دعاء النبي -ﷺ-. صار العلماء بعده عالة على علمه، فله فضل في كل فن فقد لا تجد كتاباً في التفسير إلا وبصماته ظاهرة عليه، ترجمت له كتب التاريخ والسير قاطبة لجلالة قدره وعلو منزلته، فلا يكاد كتاب يخلو من ذكر اسمه وفضله.

مولده:

وُلد عبد الله بن عبّاس في شعب بني هاشم حين حاصرتهم قريش، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وعلى هذا جرى خلاف بين أهل العلم في تحديد الفترة التي وُلد فيها أهي قبل الهجرة بثلاث سنين أم أقل أم اكثر؟

جاء هذا الخلاف تبعاً لتحديد ابن عبّاس -ﷺ- لسنه حين حج النبي -ﷺ- وحين مات، وذلك في عدة روايات مختلفة عنه، منها:

١- ما أثبت أن سنه حين وفاة النبي -ﷺ- عشر سنين، ويؤيده ما روي عن سعيد ابن جبير عن ابن عبّاس قال: تُوفي رسول الله -ﷺ-، وأنا ابن عشر سنين[1].

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ١٧٣، والاستيعاب ٣/٦٦، وتهذيب الكمال ١٥/ ١٦١، والمعرفة والتاريخ ١/ ٢٤١.

٢- ما أثبت أن سنه في حجة الوداع قد ناهز الاحتلام أي ثلاث عشرة سنة، ويؤيده حديث ابن عبّاس قال: "مررت في حجة الوداع على حمار أنا والفضل وقد راهقت يومئذ الاحتلام، والنبي -ﷺ- يصلي بالناس، فدخلنا في الصف، وتركنا الحمار أمام الناس فلم ينكر علينا"[١].

وقوله: "قبض النبي -ﷺ-، وأنا ابن ثلاث عشرة سنة"[٢].

٣- ما أثبت أن سنه في حجة الوداع كان خمس عشرة سنة، كما في بعض الروايات عند أحمد، قال: "توفي رسول الله -ﷺ- وأنا ابن خمس عشرة سنة، وأنا ختين"[٣].

وقد رجّح كثير من العلماء أنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، فيكون له من العمر عند وفاة رسول الله -ﷺ- ثلاث عشرة سنة، وبه جزم الواقدي وقال: وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم[٤].

وقال ابن عبد البر في (الاستيعاب): "وما قاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندي أصح والله أعلم، وهو قولهم: إن ابن عبّاس كان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفي رسول الله -ﷺ-"[٥]. وأفضل ما قيل في الجمع بين الروايات وترجيحها ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح: "المحفوظ

---

(١) الموطأ ١/ ١٦١ برقم(٤١٣)، والبخاري مع الفتح ١/ ٧٣٩ برقم (٤٩٣)، ومسلم ١/ ٣٦١ برقم (٢٥٤).

(٢) تهذيب الكمال ١٥/ ١٦١.

(٣) مسند أحمد (٣٠١٩)، وتهذيب الكمال ١٥/ ١٦١، وتهذيب التهذيب٥/ ٢٤٧ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤١.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٨٠.

(٥) الاستيعاب ٣/ ٦٧.

الصحيح أنه وُلد بالشعب، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، فيكون له عند الوفاة النبوية ثلاث عشرة سنة وبذلك قطع أهل السير وصححه ابن عبد البر وأورد بسند صحيح عن ابن عبّاس أنه قال: "ولدت وبنو هاشم في الشعب"، وهذا لا ينافي قوله: "ناهزت الاحتلام" -أي قاربته- ولا قوله: "وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك". لاحتمال أن يكون أدرك فختن قبل الوفاة النبوية وبعد حجة الوداع، وأما قوله: "وأنا ابن عشر" فمحمول على إلغاء الكسر. وروى أحمد من طريق آخر عن ابن عباس "أنه كان حينئذ ابن خمس عشرة سنة"، ويمكن الجمع بينها وبين رواية ثلاثة عشرة سنة بأن يكون ابن ثلاث عشرة وشيء وولد في أثناء السنة فجبر الكسرين بأن يكون ولد مثلاً في شوال فله من السنة الأولى ثلاثة أشهر فأطلق عليها سنة، وقبض النبي ﷺ في ربيع فله من السنة الأخيرة ثلاثة أشهر أخرى. فمن قال: ثلاث عشرة ألغى الكسرين، ومن قال خمس عشرة جبرهما، والله أعلم"[1].

أبوه:

هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، عم النبي -ﷺ-، وُلد قبل النبي -ﷺ- بسنتين[2]، وقيل: ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين[3] قيل للعباس: أنت أكبر أو النبي -ﷺ-؟ قال هو أكبر وأنا ولدت قبله[4].

---

(1) فتح الباري كتاب الاستئذان، و باب الختان بعد الكبر رقم الحديث (٦٢٩٩).
(2) ينظر: الإصابة ٣/ ٥١١.
(3) ينظر: الطبقات الكبرى ٤/ ٣٢١.
(4) ينظر: تهذيب التهذيب ٥/ ١٠٩، والمعرفة والتاريخ ١/ ٥٠٤.

كانت إليه في الجاهلية السقاية والعمارة[1]، وحضر بيعة العقبة يستوثق لابن أخيه، ولم يكن قد أسلمَ، وشهد بدراً مع المشركين فأُسِر فافتدى نفسه، ورجع إلى مكة فأسلم وكتم إسلامه، وصار يكتب إلى النبي -ﷺ- بالأخبار، وهاجر قبل الفتح بقليل، وشهد الفتح، وثبت يوم حنين.

والصحابة يعترفون للعبّاس بفضله، ويشاورونه ويأخذون رأيه. استسقى به عمر في خلافته، وكان يجله فإذا رآه وهو راكب ترجل حتى يمر، وكذلك فعل عثمان.

مات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة اثنين وثلاثين وكان طويلاً جميلاً وكان عمره حين وفاته ثمانياً وثمانين سنة[2].

أمه[3]:

لبابة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَير بن الهُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية، زوج العباس بن عبد المطلب عم النبي -ﷺ-، وأخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي -ﷺ-، وخالة خالد بن الوليد.

وتكنّى بابنها الأكبر الفضل، وتلقّب بلبابة الكبرى. وهي من فواضل نساء عصرها، ويقال: إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة- رضي

---

(1) السقاية والعمارة: أما السقاية فمعروفة، وأما العمارة فهي ألا يدع أحداً يسب في المسجد، ولا يقول فيه هُجْراً. ينظر: أسد الغابة ٣/ ١٦٣.

(2) ينظر: تهذيب التهذيب ٥/ ١١٠.

(3) ينظر: أسد الغابة ٧/ ٢٤٦،٣٦٦، والإصابة ٨/ ٤٤٩، ٢٩٩،وأعلام النساء ٤/ ٢٧٢، وتراجم أعلام النساء ص ٣٩٣.

الله عنها-، وكان رسول الله -ﷺ- يزورها ويقيل في بيتها. هاجرت إلى المدينة بعد إسلام زوجها العباس بن عبد المطلب.

وهي من المنجبات، فقد ولدت للعباس ستة لم تلد امرأة مثلهم، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي:

مَا وَلَدَتْ نَجِيبَةٌ مِنْ فَحْلِ ... بِجَبَلٍ نَعْلَمُهُ أَوْ سَهْلِ
كَسِتَّةٍ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ ... أَكْرِمْ بِهَا مِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلِ
عَمِّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ذِي الْفَضْلِ ... وخَاتَمِ الرُّسْلِ وَخَيْرِ الرُّسْلِ

[الرجز]

توفيت قبل زوجها العباس في خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٠ هجرية تقريباً.

إخوته[1]:

ولد العباس بن عبد المطلب عشرة من البنين وثلاث من البنات وكان عبد الله عاشر عشرة في إخوته من العباس وهم:

* الفضل وهو أكبرهم، مات بالشام في طاعون عَمَوَاس وليس له عقب.
* عبيد الله، وكان جواداً سخياً ذا مال مات في المدينة وله عقب.
* قُثم وكان يشبه النبي -ﷺ-، فخرج إلى خرسان مجاهداً فمات بسمرقند وليس له عقب.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ٤/ ٣٢١، وجمهرة أنساب العرب ص ١٨، البداية والنهاية ٨/ ٢٨٠، ٢٩١، والعقد الثمين ٤/ ٣١٣.

* عبد الرحمن توفي بالشام ولم يعقب.
* معبد استشهد بأفريقية وله عقب.
* أم حبيبة، وأمهم: أم الفضل لبابة الهلالية[1].

وكلهم مات في بلد بعيد عن أخيه. قال الكلبي: "ما رأينا بني أب وأم قط أبعد قبوراً من بني العباس بن عبد المطلب من أم الفضل"[2].

ومن إخوته:

* كثير، وكان فقيهاً محدثاً، وليس له عقب.
* تمام، وكان من أشد أهل زمانه، وليس له عقب.
* وصفية وأميمة، وأمهم أم ولد.
* الحارث بن العباس، وأمه حُجيلة بنت جندب التميمية. وكان تمام آخر إخوته مولداً فكان العباس يحمله ويقول:

تَمُّوا بِتَمَّامٍ فَصَارُوا عَشَرَهْ ... يَارَبِّ فَاجْعَلْهُمْ كِرَاماً بَرَرَهْ

وَاجْعَلْهُمْ ذِكْراً وَأَنْمِ الثَّمَرَهْ[3] [الرجز]

(1) يزيد ابن كثير في البداية والنهاية عَوْن ويجعلهم لأم الفضل من العباس، ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٩١.

(2) الطبقات الكبرى ٣/ ٣٢١.

(3) ينظر: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢/ ٢٩٥.

أولاده[1]:

فولد عبد الله بن العباس:

* العباس بن عبد الله وبه كان يكنى وهو أكبر ولده، وليس له عقب.
* وعلي بن عبد الله وهو أصغر ولده، وكان أجمل قرشي على الأرض وأوسمه وأكثره صلاة، وكان يدعى السَّجَّاد، وله عقب وفي ولده الخلافة.
* والفضل بن عبد الله؛ لا بقية له.
* ومحمد بن عبد الله؛ لا بقية له.
* وعبد الله بن عبد الله؛ لا بقية له.
* ولبابة بنت عبد الله كانت عند علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فولدت له، ولولدها أعقاب وبقية.

وأمهم: زُرْعة[2] بنت مِشْرح بن معدي كرب.

* وأسماء بنت عبد الله كانت عند عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، فولدت له حسناً وحسيناً الفقيه، وأمها أم ولد[3].

---

(1) ينظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٩، والطبقات الكبرى (سلسلة الساقط من الطبقات الكبرى) الطبقة الخامسة من الصحابة ١/ ١١١، والبداية والنهاية ٨/ ٢٩١.

(2) ورد اسمها في جمهرة أنساب العرب ص ١٩ زُهْرة ويجعلها أمّاً لعلي بن عبد الله بن عباس وحده.

(3) يذكر ابن حزم في جمهرته ص ١٩ في ولد عبد الله بن عباس، عبد الرحمن، ويضيف ابناً آخر اسمه سُليط لأم ولد، ويذكر أن عبد الله بن عباس نفاه ثم استلحقه ثم اتهم اخوه علي بقتله.

مواليه[1]:

وكان له من الموالي:

- ❊ عكرمة.
- ❊ وكريب بن أبي مسلم.
- ❊ وأبو معبد.
- ❊ وشعبة.
- ❊ ودُفَيف[2].
- ❊ وعمير: يذكر أنه مولى عبد الله بن عباس، والصحيح أنه مولى أمه أم الفضل ويكنى أبا عبد الله.
- ❊ عبد الله بن عمير: يقول بعض الناس في روايتهم إنه مولى ابن عباس وهو مولى أم الفضل.
- ❊ وأبو عمرة.
- ❊ وأبو عبيد الله.
- ❊ وصهيب أبو الصهباء.
- ❊ وعمرو بن عوسجة.
- ❊ ودرباس.
- ❊ ومقسم.
- ❊ وأبو عبيد.

---

(1) ينظر: الطبقات الكبرى ٥/ ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، وتهذيب الكمال ١٥/ ١٥٧، والبداية والنهاية ٨/ ٢٩٢.

(2) يذكره ابن كثير في البداية والنهاية باسم دقيق ٨/ ٢٩٢.

صفاتـــه:

صفاته الخَلْقية:

كـان ابـن عـباس جـسيماً إذا جلس يأخذ مكان رجلين، جميلاً له وفـرة، قـد شـاب مقـدم رأسـه وشابت لمته، وكان يخضب بالحناء، حسن الـوجه يلـبس حسناً، يكثر من الطيب بحيث إنه كان إذا مرّ بالطريق يقول النـساء: هـذا ابـن عباس أو رجل معه مسك، وكان وسيماً أبيض طويلاً جـسيماً فـصيحاً، ولـما عَمِـيَ اعترى لونه صفرة يسيرة، وكان يلبس الحلّة بألف درهم[1].

صفاته الخُلُقية:

تفـرّد ابـن عباس بصفات خلقية نادرة منذ صغره فاق بها أقرانه، ورفعـت شـأنه فما يذكر ابن عباس في مجلسٍ إلا عطّرهُ، ولا عند أحد إلا شـكره. والمـتأمل في سيرته يجد فيها الكثير والكثير، وحسبنا من ذلك كله أن نذكر طرفاً منها شاهداً على شمائله وفضله:

فطنته وحسن أدبه:

كـان ابـن عـباس صاحب فطنة وذكاء، وحسن أدب عظيم يعطي كـل ذي قـدر قـدره وهـذا مـا جعلـه يحظى بمكانة عالية في قلوب الناس لاسـيما الـنبي -ﷺ-، فقـد روى الإمـام أحمـد عن ابن عباس قال: أتيت رسـول الله -ﷺ- مـن آخـر الليـل، فـصليت خلفـه، فأخذ بيدي فجرني فجعلـني حـذاءه، فلما أقبل رسول الله -ﷺ- على صلاته خنست فصلى

(١) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٩١.

رسـول الله -ﷺ- فلمـا انـصرف قـال لـي: "مـا شـأني أجعلـك حذائـي فتخـنس؟" فقلـت: يـا رسـول الله أوَ ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسـول الله الذي أعطاك الله ﷻ؟ قال: فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً"[1].

تواضعه:

لقـد كـان ابـن عـباس علـى علـو مكانته وغزارة علمه متواضعاً بالقـول والعمل، فلا يظهر من نفسه أنه يعلم كل شيء، بل العكس، فقد رويَ عـنه أنه قال: "أربع من القرآن لا أدري ما به جيء: الأوّاه، والحنان، والـرقيم، والغسلين، فكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع"[2]. ومع ذلك فإنه لا يُسأل عن شيء إلا أجاب، فأي رجل عظيم هو!.

وعـن الـشعبي قـال: "ركـب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقـال: لا تفعل يا ابن عم رسول الله، قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقـال زيـد: أنـى يداك؟ فأخرج يديه فقبلهما، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا"[3].

حبه الخير للناس:

اتـسم ابـن عـباس بحبه للناس جميعاً فما وجده في نفسه من علم وصـلاح، أحـب أن يكـون الـناس على شراكة معه في ذلك الأمر، وهذا مئـنة علـى إيمانه لأن النبي ﷺ يقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما

(1) مسند أحمد (٣٠٦١).
(2) السابق ٨/ ٢٨٨.
(3) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٦.

يحبه لنفسه، فلا يرد القبيح بالقبيح ولا السيئ بالسيئ يحب الرفق والحلم والأناة، طاهر النفس نقي القلب لا يحمل لأحد حقداً ولا ضغينة ولا كراهية يؤثر الرفق على العنف، والمنطق على القوة يتمنى الخير لكل من يعرف من الناس ومن لا يعرف[(1)].

فعن ابن بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عبّاس فقال ابن عبّاس: إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال، إني لآتي على الآية من كتاب الله ﷻ فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي من سائمة[(2)]. ولا يقف خلقه الكريم عند هذا الحد بل يتعداه في تحقيق مصالح المسلمين، ويبذل طاقاته كلها وإمكاناته في سبيل تحقيقها وإن عجز الآخرون عنها، ولهذا كسب الود والحب والإكبار في نفوس الصحابة الكرام، فقد روي أن حسان بن ثابت قال: كانت لنا عند عثمان أو غيره من الأمراء حاجة فطلبناها إليه جماعة من الصحابة، منهم ابن عبّاس، وكانت حاجة شديدة، فاعتلّ علينا فراجعوه إلى أن عذروه وقاموا إلا ابن عبّاس، فلم يزل يراجعه بكلام جامع حتى سد عليه كل حاجة، فلم يَرَ بدًّا من أن يقضي حاجتنا، فخرجنا من عنده وأنا آخذ بيد ابن عبّاس، فمررنا على أولئك الذين كانوا عذروا وضعفوا فقلت: كان عبد الله أولاكم به، قالوا: أجل فقلت أمدحه:

---

(1) ينظر: فتى الكهول عبد الله بن عبّاس، للأستاذ/ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي، مجلة الوعي الإسلامي، ص١٤٥، العدد ١٩٨، جمادى الآخرة ١٤٠١ هجرية.

(2) المعجم الكبير للطبراني رقم (١٠٦٢١)، وحلية الأولياء ١/ ٣٩٧، والإصابة ٤/ ١٢٩.

إذاَ مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ مَجْمَعِهِ فَضْلاَ
إذاَ قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ بِمُلْتَقَطَاتٍ لاَ تُرَىٰ بَيْنَهَا فَصْلاَ
كَفَى وَشَفَى مَا فِي الصُّدُورِ وَلَمْ يَدَعْ لِذِيْ إِرْبَةٍ فِيْ الْقَوْلِ جِدّاً وَلاَ هَزْلاَ
سَمَوْتَ إِلَى الْعَلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ فَنِلْتَ ذُرَاهَا لاَ دَنِيّاً وَلاَ وَغْلاَ[1]

[الطويل]

صفاته العقلية:

رجاحة عقله وبعد نظره:

اتسم ابن عبّاس برجاحة العقل وبعد النظر مع حسن الاختيار، وتقدير العواقب ووزن الأمور بموازين دقيقة تنم عن عظم هذا الرجل الذي يقدر الأمور قدرها، فقد أخرج البيهقي عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: "لما قبض رسول الله -ﷺ-، قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله -ﷺ- فإنهم اليوم كثير، فقال: يا عجباً لك يا ابن عبّاس! أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله -ﷺ-؟! فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليَّ التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلاَّ أرسلت إليَّ فآتيك، فأقول: لا! أنا أحق أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني، فيقول هذا الفتى كان أعقل مني"[2].

---

(1) ينظر: الإصابة ٤/ ١٢٣.

(2) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٣.

قوة الحجة والإقناع:

تميز ابن عبّاس بحجة قوية في إثبات رأيه وفي مناظرته لمخالفيه مع حرصه على تبديد الشُبَه وإقناع خصومه وردّهم إلى الحق دون الاكتفاء بإفحامهم الحجة، وبقائهم على الضلال، فقد أنقذ الله به قوماً من الضلال استحوذت عليهم شُبَهٌ واهية فانحرفوا عن الجادة، فلم يجد بدّاً إلا أن يردهم بجهده ما استطاع معذرة إلى ربه ولعلهم يرجعون، فقد ثبت عنه أنه قال: لما اعتزلت حروراء وكانوا في دار على حدتهم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: فإني أتخوفهم عليك، قال قلت: كلا إن شاء الله، قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أرَ قوماً قط أشدّ اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود، قال: فدخلت، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عبّاس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله -ﷺ-، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: لتحدثّنه، قال: فقلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله -ﷺ- وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله-ﷺ- معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثاً ، قلت: ما هنّ؟ قالوا: أولهنّ أنّه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [يوسف/ ٤٠]، قال: قلت: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يسبِ ولم يغنم ، لئن كانوا كفّاراً لقد حلّت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم، قال: قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قال: قلت: أ رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله

المحكم وحدّثكم من سنة نبيكم -ﷺ- ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم. قال: قلت: أمّا قولكم إنه حكّم الرجال في دين الله، فإنه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة/ ٩٥] إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ﴾، وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء/ ٣٥]، أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع دينار وفي بضع امرأة؟ قالوا: اللهمّ في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم. قال: خرجت من هذا؟ قالوا: اللهمّ نعم. وأما قولكم إنه قاتل ولم يسبِ ولم يغنم، أتسبون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله ﷻ يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب/ ٦] فأنتم تترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم؟ أَخَرَجْتُ من هذه؟ قالوا: اللهمَّ نعم، قال: وأما قولكم إنه محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله -ﷺ- دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فقال: "اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله" فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال: "والله إني رسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله"، فرسول الله -ﷺ- كان أفضل من علي، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهمَّ نعم، فرجع منهم عشرون ألفاً وبقيَ منهم أربعة آلاف فقتلوا[1].

---

(1) ينظر: مناقشة ابن عباس للخوارج دروس وعبر/ معن عبد القادر/ ص ٢٢/ البيان/ العدد ١٢/ شوال ١٤٠٨ هجرية- ١٩٨٨م. وفي بعض الروايات أنهم كانوا ستة آلاف رجع منهم ألفان وبقيَ أربعة، وبعضها يثبت ثمانية آلاف.

فهـذه المناظـرة دلـيل ظاهـر علـى المنطق السليم والعقل الراجح والفهـم الناضـج في إرجاع الناس إلى الحق، بوضوح الفكرة وقوة الدليل وسـلامة اللغـة مـن ألفـاظ العنف والفظاظة، فكل ذلك يفعل في النفوس فعل السحر، وهذا ما كان لابن عباس[1].

عبقريته:

إن ابـن عـباس -رضي الله عنهما- قد زاد من اجتهاده في تفسير الكتاب عنصراً لغوياً يستشهد عليه بالشعر العربي، وعنصراً تاريخياً يعتمد على بعض الأخبار[2].

وبلـوغه مـرتبة الاجتهاد، وعدم تحرجه منه، وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق دون أن يأبه لملامة لائم، ونقد ناقد، مادام يثق بأن الحق في جانـبه رسَّـخ مكانـته في نفـوس الـصحابة، وكثيراً ما انتقد عليه ابن عمر جـرأته في تفسير القرآن، ولكن لم ترق إليه همة نقده، بل ما لبث أن رجع إلى قـوله، واعترف بمبلغ علمه[3]. فقد رُويَ أن رجلاً أتى ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْـنَاهُمَا...**﴾ [الأنبياء/ ٣٠] فقال: اذهب إلى ابن عباس ثم تعال فأخبرنـي، فـذهب فـسأله، فقـال كانـت الـسماء رتقـاء لا تمطـر، وكانت الأرض رتقاء لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، فرجع الرجل إلى

---

(١) ينظر: سياسة الدعوة في الإسلام (ابن عباس يفحم الخوارج) منصور رجب/ الرسالة/ ص ٢٧/ العدد ١٠٧٧/ ٢٦ ربيع الثاني ١٣٨٤هجرية/ سبتمبر ١٩٦٤م.

(٢) ينظـر: تفـسير الـصحابي للقـرآن. د/ محمد رجب البيومي، مجلة التضامن الإسلامي (مجلة الحج سابقاً) الجزء الثامن ص ٩، العدد (٢) شعبان ١٤٠٧هـ.

(٣) التفسير والمفسرون ١/ ٦٨.

ابـن عمـر فأخبره، فقال: قد كنت أقول: ما تعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً[1].

فاجـتهاد ابـن عـباس في تفـسير القـرآن قـد زُكِّـيَ مـن قبل كبار الـصحابة وعلـى رأسهم عمر بن الخطاب، فكان اجتهاده -دائماً وغالباً- مـوافقاً للـصواب، فلعلـه يقـول بـرأيه وعن رأيه يسأله عمر، فيكون كما يعلمه عمر من القرآن. وقد علم ابن عباس -رضي الله عنهما- أن القول بالتفـسير إنمـا يكـون بالكـتاب والـسنة ثم بعد ذلك إن قيل فيه برأي فلا يدري أفي حسناته يجده أم في سيئاته؟

وجـرأته علـى التفـسير كانـت لا تعجـب كثيراً من الصحابة- لا سيما ابـن عمر- لكن سرعان ما تغيرت هذه الفكرة عندما علموا أنه لا يتجرأ إلا عن علم.

لكـن د/ عـبد الـستار حامـد لا تعجـبه مـثل هـذه الآراء الـتي تـصطدم- في نظره- مع ما وصل إليه العلم الحديث، فقد قال في مقال له في مجلـة الرسـالة الإسـلامية في رده علـى تفسير ابن عباس للآية السابقة وغيرهـا مـن الآيات الكونية: "فقد فسر ابن عباس هاتين الآيتين[2] تفسيراً يـدور في نطاق معارفه حينذاك، فكلاهما من باب الكناية حيث لم تتجاوز المعـرفة في عـصره مـا قالـه، فهـو معذور، وكان الأجدر به أن يمسك عن تفـسير مثل هذه الآيات كما أمسك عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة،

---

(1) تفسير ابن كثير ٣/ ١٨٦.

(2) هما قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُوْنَ ...﴾ [الأنبياء/ ٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ...﴾ [إبراهيم/ ٣٣].

لأن تفسير أمثال هذه الآيات متغير نظراً لتطور العلوم الكونية لذلك لا نقبل في زماننا هذا التفسير لاشتماله على هذه المعلومات الخاطئة، فتفسير هاتين الآيتين مرفوض في نظرنا ولو صح إسنادهما إلى ابن عباس، لأن تفسير هاتين الآيتين مصطدم بما وصل إليه العلم في عصرنا هذا من حقائق علمية ثابتة، ولأن مبلغ العلم بالكون وما فيه من كواكب وأجرام في عصره لم يكن قد بلغ ما بلغه عصر الذرة والأقمار الصناعية والسفن الفضائية في هذا الزمان. ثم قال: ودعاء الرسول -ﷺ- لابن عباس لا يقوم دليلاً على عصمته من الخطأ[(1)].

فكلام الدكتور عبد الستار حامد عليه مؤاخذات كثيرة منها:

١- صور الدكتور عبد الستار ابن عباس أنه بالجهالة بمكان ، فقد وصفه بأن معارفه محدودة لا تتعدى باب الكناية في تفسير الآيات الكونية، وقال: وكان الأجدر به أن يمسك عن مثل هذه التفاسير، كما أمسك عنها ابن عمر.

قلت: إن ابن عمر أمسك عنها جهلاً بما فيها، أو ربما كان عنده من العلم ما كان عند ابن عباس، ولكنه أراد أن يستوثق لما عنده كما في رواية صفة الصفوة[(2)]، ولمعرفته بعلم ابن عباس طلب من الرجل أن يسأله ثم يأتيه بالخبر ليوازن، فلما جاءه الخبر زكاه وارتفعت الشبهة عن ابن عباس عنده، فقال حينها: قد كنت أقول

---

(1) أضواء على التفسير في عصر الصحابة، د/ عبد الستار حامد، مجلة الرسالة الإسلامية، ص ١٩٩- ١٩٨، العددان ١٦٢-١٦٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

(2) ينظر: صفة الصفوة ١/ ٣٣٩.

ما تعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً.

وزيادة على ذلك فإن ابن جرير يذكر في تفسيره عن ابن عباس ثلاث روايات فيها يقول: "كانتا ملتصقتين ، فرفع السماء ووضع الأرض"، ويقول: "كانتا ملتزقتين ففتقهما الله"، ويقول: "ملتصقتين"[1].

فهل هذا يكفي لرفع الجهالة عن ابن عباس لأنه قال بما يوافق العلم الحديث وإلا فليسكت؟! كان الأجدر بالدكتور أن يجمع أقوال ابن عباس كلها في تفسير هذه الآية ثم يقول مقالته، ولايتهم العَلَمَ الثَّبْتَ بجزء مما قال- إن سلمنا له بذلك جَدَلاً-.

٢- ويقول عن تفسير الآيات الكونية : متغير نظراً لتطور العلوم الكونية.

هذا الكلام مرفوض، لأن القرآن لا يخضع للعلوم الكونية في تفسير الآيات، بل العلوم الكونية متوقفة على القرآن، وإذا كانت العلوم الكونية تتغير باطراد، وأن ما أثبته العلم حالاً يمكن أن ينقض غداً، فإننا لا نقف على تفسير، وبهذا يتهم القرآن بالاضطراب وهذا غير متحقق، بل كل آية ذكرها الله فيها آية كونية فليس لها إلا تفسير واحد غير مضطرب وغير خاضع للنظريات الوضعية، ويفهم القرآن بدلالة الكلمات لأنه عربي لا بدلالة النظريات الفلكية الظنية التي تتغير بحسب قول الدكتور.

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ١٩.

وأما عدم قبول الدكتور مثل هذا التفسير فيرجع إلى مدى قبوله لتفسير السلف أصحاب الدعوة المباركة أمثال ابن عباس، فليس العقل مقدماً على النقل.

وأما وصفها بأنها معلومات خاطئة فلا تقوم على دليل، بل هو الظن عينه، لأن ابن عباس قد فسر الآية على وفق قواعد كلام العرب إذ إنهم لا يفصلون السباق عن اللحاق في الكلام والعكس لا يفعلونه، فإنه فسر الفتق بأنه إخراج الماء من السماء، وإخراج النبات من الأرض بتأثير الماء، لأن ذلك كان أقرب إلى دلالة الآية، إذ يقول الله بعدها: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾ فما مناسبة مجيء الماء ووصفه بأنه أساس الحياة بعد ذكر فتق السماء والأرض إلا أن يكون الأقرب هو قول ابن عباس، فحصل بذلك إعجاب ابن عمر بعلم ابن عباس، وتسخط الدكتور عبد الستار عليه، فيالها من مفارقات! وهذا القول- أي قول ابن عباس- هو الذي اختاره ابن جرير في تفسيره ورجحه فقال: "وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...﴾ على ذلك، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه"(1). وإن كان قد قال بعض السلف بأن السماء والأرض كانتا ملتزقتين ففتقتا كابن عباس وقتادة ومجاهد، فهذا لا يعارض قول ابن عباس السابق ، فإنه لم ينفِ هذا الأمر، وأثبت غيره، بل قال بمضمون دلالة الآية

(1) تفسير الطبري، ٩/ ١٩.

مع احتمال أن يكون الأمران متجمعين، أي أن السماء فصلت عن الأرض وكانت رتقاء لا تمطر والأرض رتقاء لا تنبت ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات وكان سبب ذلك هو الماء الذي هو أساس الحياة. فأين المعلومات الخاطئة؟! وأين الاصطدام مع العلم الحديث يا دكتور؟!.

٣- وقوله: ولأن مبلغ العلم بالكون وما فيه من كواكب وأجرام في عصره لم يكن قد بلغ ما بلغه عصر الذرة والأقمار الصناعية والسفن الفضائية.

فهل عصر الذرة والأقمار الصناعية والسفن الفضائية في هذا الزمان يستطيع أن يذكر لنا تفسير بعض الآيات الكونية ويحدد لنا بدقة كيف تم ذلك ويميز لنا المشتبه منها، كقوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَآ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا وَٱلْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات / ٢٧-٣٢]، وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِيْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيْهَا وَقَدَّرَ فِيْهَآ أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِلسَّآئِلِيْنَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِيْنَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَآوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىْ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيْحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيْرُ ٱلْعَزِيْزِ ٱلْعَلِيْمِ﴾ [فصلت/ ٩-١٢]؟، حتماً ستكون الإجابة لا. ولن يستطيع أحد الإجابة عن ذلك إلا من ألهمه الله العلم إلهاماً، ذلك

هو ابن عباس. لأن هذه الآيات الكونية فيها مشتبه، وهو أن الآيات الأولى تثبت أن السماء خلقت قبل الأرض، وبعد ذلك خلقت الأرض، وفي الآيات التي بعدها ذُكِرَ خلق الأرض قبل خلق السماء، وبُيِّن فيها عدد الأيام، وفي عدتها مشتبه وهو أن الأرض خلقت في يومين وقُدِّرَ فيها أقواتها في أربعة أيام، وخلقت السماء في يومين، فتكون عدة الأيام ثمانية أيام، وهذا معارض لصريح قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾ [هود/ ٧]، وفي مثل هذا الاشتباه من ابن عباس -رضي الله عنهما-، فقد ثبت في صحيح البخاري أن رجلاً قال لابن عباس: إني لأجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ، قال: ﴿فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لاَ يَتَسَآءَلُوْنَ ...﴾ - ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَآءَلُوْنَ...﴾ - ﴿وَ لاَ يَكْتُمُوْنَ اللهَ حَدِيْثاً...﴾ - ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيْنَ...﴾، فقد كتموا في هذه الآية، وقال:﴿أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا...﴾ إلى قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَاهَا ...﴾ فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُوْنَ بِالَّذِيْ خَلَقَ الْأَرْضَ فِيْ يَوْمَيْنِ ...﴾، إلى قوله: ﴿طَآئِعِيْنَ ...﴾ فذكر في هذه الآية خلق الأرض قبل خلق السماء، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوْراً رَحِيْماً﴾ - ﴿عَزِيْزا حَكِيْماً﴾ - ﴿سَمِيْعاً بَصِيْراً ﴾ فكأنه كان ثم مضى، فقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لاَ يَتَسَآءَلُوْنَ﴾ في النفخة الأولى، فلا أنساب بينهم عند ذلك، ثم ينفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِيْ السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِيْ الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ...﴾ فلا أنساب بينهم عند ذلك ﴿وَلاَ يَتَسَآءَلُوْنَ ﴾ ثم في

النفحة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُوْنَ ...﴾. وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِيْنَ ...﴾ - ﴿وَ لاَ يَكْتُمُوْنَ اللهَ حَدِيْثاً﴾ فإن الله تعالى يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فيقول المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فختم الله على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرفوا أن الله تعالى لا يُكْتَمُ حديثاً، وعنده ﴿يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ...﴾ الآية، ﴿وَ خَلَقَ الْأَرْضَ فِيْ يَوْمَيْنَ ... ﴾ ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحى الأرض، ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله تعالى:﴿دَحَاهَا..﴾، وقوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِيْ يَوْمَيْنَ .﴾ فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوْراً رَحِيْماً﴾ سمى نفسه بذلك، وذلك قوله أي: لم يزل كذلك، فإن الله تعالى لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله[1].

قال ابن كثير- رحمه الله- وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾ [هود/ ٧]، ففصل هنا ما يختص بالأرض مما يختص بالسماء، فذكر أنه خلق الأرض أولاً لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف، كما قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِيْ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيْعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ...﴾ وقال: إن دحو

(١) البخاري مع الفتح كتاب التفسير حم السجدة ٨/ ٧٠٦، والمعرفة والتاريخ ١/ ٥٢٧ وما بعدها ، وتفسير ابن كثير ٤/ ١١٨ وما بعدها.

الأرض كان بعد خلق السماء، فالدحو هو مفسر بقوله: أخرج منها ماءها ومرعاها... وكان هذا بعد خلق السماء، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس- رضي الله تعالى عنه[1]-.

وقال ابن جرير: "والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض وقدر فيها أقواتها، ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، لأنه جل ثناؤه قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَآ...﴾ والمعروف من معنى(بعد) أنه خلاف معنى (قبل)، وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السموات السبع وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خلقت بعد خلق السموات لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب[2].

وإذا أخذنا- زيادة على ما تقدم- قول ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾ [الأنبياء/ ٣٠] بأنهما كانتا ملتصقتين ففتقتا، فإن هذا يكفي في إثبات أن تفسير ابن عباس أجدر بالقبول من النظريات الفلكية، إذ إنها اكتشفت هذه الحقيقة في هذا القرن وابن عباس قد قاله قبل أربعة عشر قرناً.

فهذا هو ابن عباس وهذا هو اجتهاده الذي اعتمد عليه أهل التأويل فلا يكادون يختلفون على قوله لأنه أقرب إلى الصواب،

---

(١) فتح القدير تهذيب تفسير ابن كثير ٥/ ٣٣٠.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٤٣٨.

ولا يعني هذا أن اجتهاده مجانب الخطأ، فكل ابن آدم خطّاء، ودعوة النبي -ﷺ- لابن عباس تقربه إلى الصواب ولا تنفي عنه الخطأ، إذ العصمة للأنبياء ولا أحد غيرهم. ويجب أن نعرف أن الصحابة إذا ادّارؤوا في أمر واختلفوا فيه صاروا إلى قول ابن عباس لما عرف من أمره، ولحسم هذه المسألة نسوق قولين تطمئن النفس إليهما، أولهما: ما قال به ابن كثير في مقدمة تفسيره، حيث يقول: "وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود- رضي الله عنهم- ثم ساق آثاراً تنم عن مكانة ابن مسعود، ثم قال: "ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله -ﷺ- وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله -ﷺ- له ..."[1].

وثانيهما للزركشي حيث قال: "واعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره وقسم لم يرد، والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي -ﷺ-، أو عن الصحابة، أو عن رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادها، وإن فسره بما شاهد من الأسباب والقرائن فلا شك فيه

---

(1) ينظر: تفسير ابن كثير ١/ ٤، وهذا القول هو لشيخ الإسلام ابن تيمية ذكره في مقدمة اصول التفسير، ص ٩٦ ولم يعزه إليه.

وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذر قدم ابن عباس، لأن النبي -ﷺ- بشره بذلك حيث قال: اللهم علمه التأويل[1].

فاجتهاده في التفسير نابع من معرفته التامة باللغة وأسرارها، مع ما يعلمه من أسباب النزول، ومعرفة الوقائع ومعرفة بأحوال العرب وأهل الكتاب وعاداتهم، فلذلك كسب الثقة ولقي القبول على غيره من المفسرين.

ومع ذلك فقد كان ابن عباس يتورع عن القول بغير علم، مع ما عرف عنه من جرأة في تفسير كتاب الله كما قال ذلك ابن عمر، فقد روى ابن جرير بسنده عن ابن أبي مُلَيكة أن ابن عباس سئل عن آية لو سُئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها[2].

وعن ابن أبي مُلَيكة قال: سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة؟ فقال له ابن عباس: فما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال له الرجل: إنما سألتك لتحدثني. فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما. فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم[3].

---

(1) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٨٢.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٦.

(3) نفسه.

وفاته[1]:

جرى خلاف يسير بين أهل العلم في تحديد سنة وفاته، وتحديد سنه -ﷺ- تبعاً لاختلافهم في سنة ولادته، فقد توفي سنة ثمان وستين بالطائف وصلى عليه محمد بن الحنفية، قال ابن كثير في البداية والنهاية: هذا القول في وفاته هو الذي صححه غير واحد من الأئمة، ونص عليه أحمد بن حنبل و الواقدي وابن عساكر، وهو المشهور عند الحفاظ، وقيل: إنه توفي سنة ثلاث وستين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وقيل: سنة سبع وستين، وقيل: سنة تسع وستين، وقيل: سنة سبعين والأول أصح، وهذه الأقوال كلها شاذة غريبة مردودة، والله سبحانه أعلم.

وكان عمره يوم مات ثنتين وسبعين سنة، وقيل: إحدى وسبعين، وقيل: أربع وسبعين، والأول أصح، والله أعلم[2].

قلت: إذا كان ولدَ قبل الهجرة بثلاث سنين على الراجح، وتوفي سنة ثمان وستين على الأصح، فإنه يكون له من العمر واحد وسبعون سنة وهذا ما يقويه الحافظ ابن حجر في الإصابة[3]، وكذا الذهبي في العبر وكذلك في السير[4]. وإذا كان الحافظ ابن كثير يصحح القول بأن عمره كان اثنتين وسبعين سنة فعلى جبر كسور الأشهر والله أعلم.

---

(1) ينظر: تاريخ خليفة ص ٢٦٥، والبداية والنهاية ٨/ ٢٩١، ومرآة الجنان ١/ ١٤٣، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٣٩، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص ٣، وغاية النهاية ١/ ٤٢٥، وغيرها.

(2) البداية والنهاية ٨/ ٢٩١.

(3) ينظر: الإصابة ٤/ ١٣١.

(4) ينظر: العبر ١/ ٥٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٧.

المبحث الثاني

حيــاتـــه

مكانتـه:

حاز ابن عبّاس مكانة عالية بفعل عوامل كثيرة منها:

دعاء النبي -ﷺ- له بالعلم والحكمة والفقه في الدين:

فقـد أخـرج البخاري مـن حـديث عكـرمة عن ابن عباس قال: ضـمّني الـنبي-ﷺ- إلى صـدره وقـال: "اللـهم علّمـه الحكمـة "وفي روايـة للبخاري: "اللّهم علّمْهُ الكتاب"[1].

وأخـرج الإمـام أحمـد مـن حديث سعيد عن ابن عبّاس قال: إنّ رسول الله-ﷺ- كان في بيت ميمونة؛ فوضعتُ له وضوءاً من الليل، قال: فقالـت مـيمونة: يـا رسـول الله وضع لك هذا عبد الله بن عبّاس، فقال: "اللّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّين، وعلِّمْهُ التّأويل"[2].

وأخـرج الترمـذي مـن حديث عطاء عن ابن عبّاس قال: دعا لي رسول الله -ﷺ- أن يؤتيني الله الحكمة مرّتين[3].

---

(1) صحيح البخاري رقم (٧٥)، (٣٧٥٦)، (٧٢٧٠)، وسنن الترمذي رقم (٣٨٢٤)، وسنن ابن ماجة رقم (١٦٦)، وسنن النسائي رقم(٨١٧٧)، ومسند أحمد(٣٣٧٩)، والمعجم الكبير للطبراني رقم (١٠٥٨٨).

(2) مسند أحمد (٢٣٩٧)، (٢٨٨١)، (٣٠٢٣)، (٣٠٣٣)، (٣١٠٢)، والمصنف لابن أبي شيبة رقم (٣٢٢١٣)، والمستدرك للحاكم (٦٢٨٠)، والمعجم الكبير للطبراني رقم (١٠٥٨٧).

(3) سنن الترمذي رقم (٣٨٢٣)، وسنن النسائي رقم (٨١٧٨).

وأخـرج الأمام أحمد من حديث كُرَيب عن ابن عباس قال: أتيتُ رسول الله-ﷺ- من آخر الليل فصليتُ خلفه فأخذ بيديَّ فجرّني حِذّاءه، فلمّـا أقبل رسول الله-ﷺ- على صلاته خنستُ، فصلّى رسول الله-ﷺ- فلمّا انصرف قال لي: "ما شأني أجعلك حِذّائي فتخنس؟ فقلت: يا رسول الله أوَ ينبغي لأحد أن يصلّي حِذاءكَ وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟ قال: فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً[1].

ثناء الناس على ابن عبّاس:

ثـبت عـن عمـر بن الخطاب أنه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الـصحابة ويقـول: "نِعْـمَ ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكان إذا أقبل يقول عمر: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السؤول ، والقلب العقول[2].

وعـن سـعيد بـن جبير عن عمر أنه قال لابن عباس: "لقد علمت علماً ما علمناه[3].

وقال الأوزاعي: قال عمر لابن عباس: "إنك لأصبح فتياننا وجهاً، وأحسنهم عقلاً وأفقههم في كتاب الله عز وجل[4].

وقالـت عائـشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس: "هو أعلم الناس بالمناسك[5].

(1) مسند أحمد (٣٠٦١)، والحلية لأبي نعيم ١/ ٣٨٩.

(2) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٤.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

وعـن عامـر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: "ما رأيت أحداً أحضر فهماً، ولا ألبّ لباً، ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس، ولقـد رأيـت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار"[1].

وعـن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود: "لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد، وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس"[2].

وعـن ابـن عمر أنه قال: "ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد -ﷺ-"[3].

وعن يعقوب بن زيد عن أبيه قال: "سمعت جابر بن عبد الله حين بلغـه مـوت ابـن عـباس، وصفق بإحدى يديه على الأخرى؛ مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس، وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق"[4].

وعـن محمـد بن عمرو بن حزم قال: لما مات ابن عباس قال رافع بـن خـديج: "مـات الـيوم مـن كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم"[5].

وعن عكرمة قال: "سمعت معاوية يقول: مات والله أفقه من مات ومن عاش"[6].

---

(1) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٤.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

(6) نفسه.

وقال ليث بن أبي سليم: قلت لطاووس: لِمَ لزمتَ هذا الغلام؟- يعني ابن عباس- وتركت الأكابر من الصحابة؟ فقال: إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله، وقال طاووس أيضاً: ما رأيت أفقه منه، قال: وما خالفه أحد قط فتركه حتى يقرره[(١)].

وقال طاووس وميمون بن مهران: ما رأينا أورع من ابن عمر ولا أفقه من ابن عباس، قال ميمون: وكان ابن عباس أفقههما[(٢)].

وعن مجاهد قال: ما رأيت مثله قط، ولقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة- يعني- ابن عباس[(٣)].

وقال مجاهد: ما رأيت أعرب لساناً من ابن عباس[(٤)].

وعن مجاهد قال: كان ابن عباس إذا فسّر الشيء رأيت عليه نوراً[(٥)].

وعن مجاهد قال: كان ابن عباس أمدهم قامة، وأعظمهم جفنة وأوسعهم علماً[(٦)].

وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلسه- يعني ابن عباس- الحلال والحرام وتفسير القرآن، والعربية والشعر والطعام[(٧)].

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٥.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص ٤٢٩.

(٦) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٦.

(٧) نفسه.

وعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت أفصح الناس، فإذا تحدث قلت أعلم الناس[1].

وعن عكرمة قال: كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن، وكان علي أعلمهما بالمبهمات، وقال إسحاق بن راهويه: إنما كان كذلك لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير، وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة مع دعاء رسول الله -ﷺ- له أن يعلمه الله الكتاب[2].

وعن يزيد بن الأصم قال: "خرج معاوية حاجاً وخرج معه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه"[3].

وعن شقيق قال: كان ابن عباس على الموسم فخطب فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ثم يفسّرها، فقال شيخ من الحي: سبحان الله! ما رأيت كلاماً يخرج من رأس رجل لو سمعته الترك لأسلمت".

جلالة قدره وعلو منزلته:

أما قدره فجليل، وأما منزلته بين الصحابة -ولاسيما أهل بدر- فعالية، ولذا كان عمر يعرف من ابن عباس علماً جليلاً وفهماً ثاقباً وبهذا قربه إليه وأدناه، فقد ثبت في الصحيح أن عمر سأل الصحابة عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ...﴾ [النصر/ ١] فسكت بعض وأجاب بعض بجواب لم يرتضه عمر، ثم سأل ابن عباس عنها، فقال:

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٦.

(٢) نفسه.

(٣) الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص ٤٢٩.

أجلُ رسول الله -ﷺ- نعي إليه، فقال: لا أعلم منها إلا بما تعلم، وأراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدره وكبير منزلته في العلم والفهم[1].

حسن تقديره للأمور:

تلقى ابن عباس من أساتذته نصائح قيمة يستنير بها في حياته لتكون له نبراساً وميزاناً لتسيير أموره، وتحفظ له مكانته عند الناس وترفع من شأنه بينهم، فأخذها محباً لها عاملاً بها لأنه عرف قدرها وقيمتها لاسيما من أبيه ذي الخبرة الطويلة والعقل الراجح، فقد ثبت عنه أنه قال: قال لي أبي: إن عمر يدينك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثا: لا تفشين له سراً، ولاتغتابنّ عنده أحداً، ولا يجربنّ عليك كذباً، قال الشعبي: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف، فقال ابن عباس: بل كل واحدة خير من عشرة آلاف[2].

غزارة علمه:

سُمي ابن عباس بالبحر والحبر لكثرة علمه، فما من فنّ إلا وله فيه باع، ما ترك شيئاً من العلوم عند الصحابة إلا حصلها ووعاها فجمع ما عندهم في معين واحد يصدر الناس عنه، فعن عبيد الله بن عتبة قال: كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال: بعلم ما سبق إليه وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب ونائل، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي -ﷺ- منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، وأفقه في

(١) الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ص ٤٢٩.

(٢) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٨٤.

رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، ولا وجدت سائلاً سأله إلا وجد عنده علماً. قال: وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً[1].

ولو أن ابن عباس أدرك الزمن الأول مع النبي -ﷺ- لما عشره أحد من الصحابة لغزارة علمه، لذلك قال ابن مسعود: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره أحد منا[2] أي ما بلغ منا عشره في العلم.

ولا أدلّ على غزارة علم ابن عباس إلا ما رواه أبو صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا يذهب، قال فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءاً، قال فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل. قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، قال فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد

---

(1) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٨٤.

(2) نفسه.

أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها، فليدخل، فخرجت، فآذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيت هذا لأحد من الناس[1].

أسباب تفوقه العلمي:

أولاً: حرص الأبوان على تنشئة ابنهما على الفضائل والمكرمات منذ نعومة أظفاره، ولربما منذ حمله ومولده- إن صح الأثر- فقد جاء في البداية والنهاية عن ابن عباس قال: لما كان رسول الله-ﷺ- في الشعب جاء أبي إلى رسول الله-ﷺ- فقال له: يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل، فقال: لعل الله أن يقرَّ أعينكمْ قال: فلما ولدتني أتى بي رسول الله-ﷺ- وأنا في خرقة فحنكني بريقه. قال مجاهد: فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله -ﷺ- بريقه غيره[2].

وكذا أمه حرصت حرصاً تاماً على أن تعلمه علماً يسود به قبائل العرب قاطبة، وذلك ظاهر من ترقيصها له، وهو صغير فتقول:

---

(1) صفة الصفوة ١/ ٣٦٩، والبداية والنهاية ٨/ ٢٨٧.

(2) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٧.

ثَكَلْتُ نَفْسِيْ وَ ثَكَلْتُ بِكْرِيْ إِنْ لَمْ يَسُدْ فِهْراً وَغَيْرَ فِهْرِ
بِالْحَسَبِ الزَّاكِيْ وَبَذْلِ الْوَفْرِ حَتَّى يُوَارَى فِيْ ضَرِيْحِ الْقَبْرِ[1]
[الرجز]

ثانياً: دعاء النبي -ﷺ- له بقوله: "اللهم علمه الكتاب والحكمة" وفي رواية أخرى "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"؛ والذي يرجع إلى كتب التفسير بالمأثور، يرى أثر هذه الدعوة النبوية، يتجلّى واضحاً فيما صح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-[2].

ثالثاً: نشأته في بيت النبوة، وملازمته رسول الله -ﷺ- من عهد التمييز، فكان يسمع منه الشيء الكثير، ويشهد كثيراً من الحوادث والظروف التي نزلت فيها بعض آيات القرآن[3].

رابعاً: ملازمته أكابر الصحابة بعد وفاة النبي -ﷺ-، يأخذ عنهم ويروي لهم، ويعرف منهم مواطن نزول القرآن، وتواريخ التشريع وأسباب النزول، وبهذا استعاض عما فاته من العلم بموت رسول الله -ﷺ-، وتحدث بهذا ابن عباس عن نفسه، فقال: "وجدت عامة حديث رسول الله -ﷺ- عند هذا الحي من الأنصار، فإن كنت لآتي الرجل فأجده نائماً، لو شئت أن يوقظ لي لأوقظ، فأجلس على بابه تسفي على وجهي الريح حتى يستيقظ على ما استيقظ، وأسأله عما أريد، ثم أنصرف".

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص ٧٩.

(٢) التفسير والمفسرون ١/ ٧٢.

(٣) نفسه.

خامساً: حفظه اللغة العربية، ومعرفته لغريبها، وآدابها، وخصائصها وأساليبها، وكثيراً ما كان يستشهد للمعنى الذي يفهمه من لفظ القرآن بالبيت والأكثر من الشعر العربي[1].

سادساً: بلوغه مرتبة الاجتهاد، وعدم تحرجه منه، وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق، دون أن يأبه لملامة لائم ونقد ناقد، مادام يثق بأن الحق في جانبه، وكثيراً ما انتقد عليه ابن عمر جرأته على تفسير القرآن، ولكن لم ترقَ إليه همة نقده.

بل ما لبث أن رجع إلى قوله، واعترف بمبلغ علمه، فقد رُوي أن رجلاً أتى ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾ [الأنبياء/ ٣٠]، فقال اذهب إلى ابن عباس ثم تعال فأخبرني، فذهب فسأله، فقال: كانت السماوات رتقاء لا تمطر، وكانت الأرض رتقاء لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال: قد كنت أقول: ما تعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتيَ علماً.

هذه هي أهم الأسباب التي ترجع إليها شهرة ابن عباس في التفسير، يضاف إلى ذلك كونه من أهل بيت النبوة منبع الهداية ومصدر النور وما وهبه الله من قريحة وقادة، وعقل راجح، ورأي صائب، وإيمان راسخ، ودين متين[2].

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٧٢.

(٢) نفسه ١/ ٧٣.

شيوخه وأساتذته:

صحب النبي -ﷺ- منذ أن هاجر مع أبيه قبل الفتح فلزمه، وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال وأخذ عن الصحابة علماً عظيماً مع الفهم الثاقب والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة والأصالة والبيان[1].

ولزم الأكابر من الصحابة فحصل له الخير الكثير، وتفرد بالعلم الجليل، فكان من أساتذته العظام:

١- المعلم الأول الرسول -ﷺ-:

هيأت ظروف النسب والقرابة من النبي -ﷺ- لابن عباس مناهل المعرفة، حتى بلغ في فترة وجيزة ما لم يبلغه كبار الصحابة من الفهم والعلم ودقة الملاحظة، والقدرة على حل المعضلات فهو ابن عم رسول الله -ﷺ-، وخالته ميمونة زوج النبي -ﷺ-، فهو يلازمه خارج البيت وداخله، فمكنته تلك الملازمة من ترسيخ العلم في ذهنه الصافي عن خير رسول بعث للعالمين، فزوده النبي -ﷺ- منذ نعومة أظفاره بالعقيدة السليمة والتوحيد الخالص وأوصاه بوصايا احتاج إليها الأولون والآخرون، فقد رُوي عن ابن عباس أنه: كان رديف النبي -ﷺ- على حمار فقال له: "يا غلام إني أُعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، فإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه

---

(١) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٨١.

الله لـك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله لك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[1].

وهكـذا أخـذ يمـضي ابن عباس في الأخذ عن رسول الأمة -ﷺ- الآداب الفاضـلة والخـصال الحـسنة وحسن العبادة والعلم الجم، وكان -رضـي الله عـنه- حريـصاً على متابعته -ﷺ- حتى في خصوصياته، فكان يبيت عـند خالـته مـيمونة ليشهد ما لم يكن يشهده مع النبي -ﷺ- خارج البـيت، فقـد روى الـبخاري في صـحيحه عـن ابـن عـباس -رضـي الله عـنهما- أنـه بـات لـيلة عـند مـيمونة، زوج النبي -ﷺ- وهي خالته قال: "فاضـطجعت في عـرض الوسـادة، واضـطجع رسول الله -ﷺ- وأهله في طـولها فنام رسول الله -ﷺ- حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقلـيل، استيقظ رسول الله -ﷺ-، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قـرأ العـشر الآيـات الخـواتم مـن سورة آل عمران، ثم قام إلى شنٍّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يُصلي.

قـال ابـن عباس: فقمت فصنعتُ مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنـبه، فوضـع يـده اليمنـى علـى رأسـي وأخـذ بأذني اليمنى يفتلها؛ فـصلى ركعـتين، ثـم ركعـتين، ثـم ركعـتين، ثـم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعـتين، ثـم أوتـر، ثـم اضـطجع حتـى أتاه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح"[2].

---

(1) سـنن الترمـذي ٤/ ٥٧٥-٥٧٦ بـرقم (٢٥١٦)، و تحفـة الأحـوذي ٧/ ١٨٥-١٨٦ برقم (٢٦٣٥).

(2) الـبخاري مـع الفـتح ١/ ٣٧٦ رقـم (١٨٣)، واللؤلـؤ والمـرجان ١/ ١٤٦ رقـم (٤٣٨)، ومسند أحمد (٣٤٩٠).

فنلاحظ من وصفه لمبيته أنه كان يراقب النبي -ﷺ- مراقبة دقيقة، ولم يفته شيء من حركاته وسكناته، بل قام وطبق ما رآه على التو، ونشر ما رآه من علم لغيره.

وقد تكرر منه هذا الفعل مراراً في مراقبته للنبي -ﷺ- في صلاة الليل، وأحياناً كان يجهز للنبي -ﷺ- وضوءاً حتى إذا استيقظ النبي -ﷺ- وسأل ميمونة- رضي الله عنها- بقوله: من وضع هذا؟ قالت: ابن عباس، دعا له النبي -ﷺ- بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل[1].

روايته لأحاديث الرسول -ﷺ-:

كان ابن عباس عند وفاة الرسول -ﷺ- لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره تقريباً، فلا غرو أن جملة الأحاديث التي رواها عن النبي -ﷺ- تكون قليلة، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب أقوالاً لبعض الأئمة وعلّق عليها، منها: ما روي عن غُنْدَر أن ابن عباس لم يسمع من النبي -ﷺ- إلا تسعة أحاديث، وعن يحيى ابن القطان عشرة، وقال الغزالي في المستصفى أربعة، ثم قال: وفيه نظر، ففي الصحيحين عن ابن عباس مما صرح فيه بسماعه من النبي -ﷺ- أكثر من عشرة، وفيهما مما يشهد فعله نحو ذلك، وفيهما مما له حكم الصريح نحو ذلك فضلاً عما ليس في الصحيحين[2].

---

(1) مسند أحمد (٢٣٩٧)، والمستدرك (٦٢٨٠)، والطبراني في الكبير (١٠٥٨٧).

(2) تهذيب التهذيب ٥/ ٢٤٨.

وقال ابن الجوزي: أخرج له في الصحيحين مائتي حديث وأربعة وثلاثين حديثاً، المتفق عليه منها خمسة وسبعون، وانفرد البخاري بمائة وعشرة، ومسلم بتسعة وأربعين[1].

ومجموع ما أخرج لابن عباس في صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وأبي داوود والنسائي وابن ماجة، وموطأ مالك: ثمانمائة وستة وعشرون حديثاً[2].

وجملة ما روي عنه من الحديث ألف وستمائة وستون حديثاً[3].

وقيل: روي عنه من الحديث ألف وستمائة وخمسة وستون حديثاً[4].

وقيل: ألف وستمائة وسبعون حديثاً[5].

٢- أبو بكر الصديق[6] -رضي الله عنه-:

هو خليل النبي -ﷺ- وصاحبه، وهو أول من آمن به من الصحابة وصدقه في خبر السماء فلقّب بالصديق. له فضل عظيم وقدر جليل، وهو أفضل الصحابة بالإجماع بشهادة النبي -ﷺ-[7] وهو من العشرة المبشرين بالجنة، شهد مع النبي -ﷺ- غزواته كلها وهو أول خليفة راشد -رضي الله عنه-.

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٩٥.

(٢) ينظر: ذخائر المواريث في الدلالة على مواضيع الحديث ١/ ٢-٣٠٢-٣١٣ (نقلاً عن كتاب حبر الأمة ومدرسته في التفسير).

(٣) ينظر: بقيُّ بن مخلد ص ٨٠، وتلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٣، وأسماء الصحابة الرواة ص ٤٠.

(٤) ينظر: تجريد أسماء الصحابة ١/ ٣٢٠.

(٥) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٩٢.

(٦) ينظر تفاصيل ترجمته في: الطبقات الكبرى ٣/ ٩٠، والاستيعاب ٤/ ١٧٧، وأسد الغابة ٣/ ٣١٠، والإصابة ٤/ ١٤٤.

(٧) ينظر: الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص ٢٧ وما بعدها.

ولي الخلافة سنة ١١ هـ، ويعد من أفقه الصحابة و أورعهم وأجلهم قدراً ومنزلاً، فكان يقضي بالناس بقضاء رسول الله -ﷺ- لعلمه به لشدة ملازمته للنبي -ﷺ-، فقد أخذ الكثير من علمه. وهو أكثر الصحابة معرفة بأنساب العرب.

ويعد أبو بكر الصديق من أساتذة ابن عباس الكبار وشيوخه، فقد أخذ عنه ابن عباس علمه في فترة خلافته، إلا أنه لم يعمر طويلاً بعد النبي -ﷺ-، لذا كان المنقول عنه قليلاً بالنسبة إلى الصحابة الآخرين وكان ابن عباس يقدم رأي أبي بكر على غيره من الصحابة لأفضليته عليهم، ولم يكن أحد أعلم بقضاء أبي بكر ولا عمر من ابن عباس[1]. وكان سن ابن عباس لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره حين وفاة الصديق -رضي الله عنه-.

أخذ ابن عباس عن أبي بكر الفقه وأنساب العرب وغيرها من الصفات التي تميز بها عن الصحابة.

٣- عمر بن الخطاب[2] -رضي الله عنه-:

هو ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لُقب بأمير المؤمنين من الخلفاء[3]، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، شهد مع النبي -ﷺ- كل غزواته ولم يتخلّف عن واحدة منها، أعز الله به الإسلام بدعوة النبي -ﷺ-، فهو شخصية قوية في الجاهلية والإسلام، انتشرت في عهده

(١) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٨٧.

(٢) ينظر تفاصيل ترجمته في: الطبقات الكبرى ٣/ ١٤١، والاستيعاب ٣/ ٢٣٥، وأسد الغابة ٤/ ١٣٧، والإصابة ٤/ ٤٨٤.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري ٢/ ٥٦٩.

الفتوحات، وكان من المجتهدين، اتسم بالعدل وقوة الشخصية، وكان مهاباً عند الصحابة، ذا منزلة عالية وهو أفضلهم بعد أبي بكر الصديق[1].

وهو أول من وضع التاريخ، وأرّخ الكتب وهو أول من دوّن للناس الدواوين في الإسلام[2] له من العلم والفضل الشيء الكثير وسيرته تكاد لا تخفى على أحد من المسلمين، فقد ضرب أروع الأمثال في العدل والحكمة حتى أعيى الحكام من بعده وصار حجة عليهم.

لزمه ابن العباس في فترة خلافته، وكان مقرباً عند عمر لما أحسّ منه من ذكاء خارق وفطنة نابعة من بيت نبوة، وكان إذا أعجبه رأيه قال: أشهد أنك تنطق من بيت نبوة[3].

وكان يقرّبه في أخص المجالس إليه مع أشياخ بدر، ولربما وجدوا عليه في أنفسهم ألا يدخل أبناءهم، وهم قرناء لابن عباس، فسألهم يوماً عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ [الفتح/ ١]، فسكت بعض وأجاب بعض بجواب لم يرتضه عمر، ثم سأل ابن عباس عنها، فقال: أجلُ رسول الله -ﷺ- نعي إليه، فقال: لا أعلم منها إلا بما تعلم[4].

فكان ابن عباس يحظى بمحبة كبيرة في نفس عمر فكان يدعوه إلى المعضلات ويستشيره في خاصة الأمور وعامتها.

وهذه المكانة العالية لابن عباس في نفس عمر لم تترك في نفسه كفاية في الأخذ عن شيخه وأستاذه عمر، وقد كان يهابه ويجلّه مع كثرة

---

(١) ينظر: الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص ٦١.

(٢) السابق.

(٣) ينظر: أنباء نجباء الأبناء ص ٨١.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٨٤.

ملازمته وقربه منه، وكان حريصاً على أن يعرف منه الشيء الكثير، ومما كان حريصاً على أن يعرفه من عمر؛ أنه أراد أن يعرف من المقصود بقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم/ ٤]. قال: لم أزل حريصاً على أن أسال عمر عن المرأتين من أزواج النبي -ﷺ- اللتين قال الله فيهما الآية، فحججت معه، فعدل وعدلت معه بالإداوة، فسكبت على يديه الماء، فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي -ﷺ- اللتان قال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال: وا عجباً لك يا ابن عباس! عائشة وحفصة ...[1].

روى ابن عباس عن عمر بن الخطاب أحاديث كثيرة، وهي مما لم يشهدها مع النبي -ﷺ-، ويعد بذلك أحد مشايخه بالرواية.

وكانت تدور بين ابن عباس وشيخه عمر مناقشات ومحاورات أفاد منها ابن عباس في حياته العلمية، فقد تأثر بشخصيته وبأسلوبه العلمي، ولم يكن أحد أعلم بقضاء أبي بكر وعمر منه.

فتح عمر بن الخطاب أمام عين ابن عباس آفاقاً علمية كبيرة، فهو أول من أعجب بالاستشهاد على القرآن بالشعر وأمر به في فهم غريب القرآن وتبعه ابن عباس في ذلك.

فقد سأل عمر يوماً عن تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل/ ٤٧]، فيقوم إليه شيخ من هذيل فيقول له: هذه لغتنا. التخوّف: التنقص، فيقول عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيقول له: نعم. ويروي قول الشاعر:

---

(١) البخاري مع الفتح ٨/ ٨٤٠ برقم (٤٩١٥).

تُخَـوِّفُ الـرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً		كَمَا تُخَوِّفُ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

[البسيط]

فـيقول عمـر لأصـحابه: "علـيكم بديـوانكم لا تضلّوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم"[1].

غـير أن ابن عباس امتاز بهذا المنهج، واشتهر به أكثر من عمر، لما أن عمـر لم يؤثـر عـنه الشيء الكثير في التفسير كما أثر عن ترجمان القرآن ابن عباس[2].

٤- عثمان بن عفان[3] -رضي الله عنه-:

ذو الـنورين وثالث الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، تميز بالحـياء والخلـق الجمـيل حتـى إنّ الملائكـة لتـستحي مـنه، له فضل على المسلمين بحفر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة[4].

كـان مـن فقهـاء الصحابة، وممن جمع القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، قـال علي بن الرماح: "جمع القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- أربعة: علي وعثمان وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود"[5].

---

(١) الموافقات للشاطبي ١/ ٥٨، ٢/ ١٤٠.

(٢) ينظر: حبر الأمة عبد الله بن عباس ومدرسته في التفسير ص ٥٧.

(٣) ينظـر تفاصـيل ترجمته في: الطبقات لابن سعد ٣/ ٣٠، والاستيعاب ٣/ ١٥٥، وأسد الغابة ٣/ ٥٧٨، والإصابة ٤/ ٣٧٧.

(٤) ينظر: الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص ٨٩ وما بعدها.

(٥) طبقات القراء ٦/ ٦٢٨.

لزمه ابن عباس وأخذ عنه، وكان يحظى بمكانة عند عثمان -رضي الله عنه- فقد استخلفه على الحج سنة قتله لعلمه أن ابن عباس أعلم الناس بالمناسك. وفي هذه الفترة كان ابن عباس قد استكمل جوانب شخصيته الفذة وترسيخ علمه، ومع هذا لم يستغنِ عن علم من هو أكبر منه منزلة وقدراً، فأخذ ما عند عثمان -رضي الله عنه- من علم وفقه حتى فاق الكثير من الصحابة بذلك، وصار يقارن بينه وبين علي -رضي الله عنه- من حيث العلم، فعن عكرمة قال: كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن، وكان علي أعلمهما بالمبهمات، وقال إسحاق بن راهويه: إنما كان كذلك؛ لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة، مع دعاء رسول الله-صلى الله عليه وسلم- له أن يعلمه الله الكتاب[1]، فصار علم عثمان يضاف إلى معارف ابن عباس.

٥- علي بن أبي طالب[2] -رضي الله عنه-:

هو ابن عم الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وأول من آمن بعد خديجة وهو صبي، رابع الخلفاء الراشدين وأول خليفة هاشمي.

وُلِيَ الخلافة بعد مقتل عثمان سنة (٣٥ هجرية)، شهد مع النبي -صلى الله عليه وسلم- المشاهد كلها ما عدا تبوكاً خلفه على النساء والصبيان في المدينة، له فضل عظيم، وهو أحد المبشرين بالجنة، امتدحه النبي-صلى الله عليه وسلم- وخصّه بأمور تمناها الصحابة مكانه[3].

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٧.

(٢) ينظر تفاصيل ترجمته في: الطبقات الكبرى ٣/ ١٢، والاستيعاب ٣/ ١٩٧، وأسد الغابة ٤/ ٨٧، والإصابة ٤/ ٤٦٤.

(٣) ينظر: الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص ١٠٥ وما بعدها.

امتاز بالشجاعة والفروسية، ويعد من أفقه الصحابة وأعلمهم بالقرآن والقضاء، له عقل كبير وفهم ثاقب، مامن معضلة ولامشكلة إلا وجد لها حلاً؛ حتى قيل: "قضية ولا أبا حسن لها".

كان من أقرأ الصحابة للقرآن، وكان من كُتّاب الوحي، جمع القرآن في حياة النبي -ﷺ- وعرضه عليه، قال علي بن الرماح: "جمع القرآن في حياة النبي -ﷺ- أربعة: علي، وعثمان، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود."[1].

رافق علي بن أبي طالب رسول الله -ﷺ-؛ -لكونه ابن عمه- مرافقة دائمة أورثته العلم الغزير والفضل والأدب. وإنه لأعلم الصحابة بكتاب الله تعالى وقد كان يقول فيما يروى عنه: "سلوني سلوني، وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار؟"[2]، وقد قال عبد الرحمن السلمي: "ما رأيت ابن أنثى أقرأ لكتاب الله من علي"[3].

وإذا كان لعلي -رضي الله عنه- هذه الفضائل كلها ، وله هذه المكانة السامية من العلم والمعرفة، فقد حرص ابن عباس على ملازمته والإفادة منه؛ لأنه نشأ قبله في بيت النبوة، وحصل على حظ وافر من العلم، ما كان لأحد من أصحاب النبي -ﷺ- ما جاء لعلي[4]. أعجب ابن عباس بابن عمه علي لما لمس منه هذه العبقرية الفذة والعلم الواسع حتى قال عنه: "قسم

---

(1) طبقات القراء ٦/ ٦٢٨.

(2) الاستيعاب ٣/ ٢٠٨، والإصابة ٤/ ٤٦٧.

(3) غاية النهاية ١/ ٥٤٦، وطبقات القراء ٦/ ٦٢٨.

(4) ينظر: الكامل في التاريخ ٢/ ٧٤٩.

علـم الـناس خمـسة أجـزاء، فكان لعلي منها أربعة أجزاء، ولسائر الناس جـزء شـاركهم علـي فـيه، فكان أعلمهم به[1]. فجل علمه كان من علي -ﷺ- كما صرح هو بذلك.

وقـد قلـنا إن ابـن عـباس قد اكتملت جوانب الشخصية عنده في هذه الفترة مما سهل له لقاءاته مع ابن عمه إلى جانب قرابته منه، فحصلت بيـنهما نقاشـات ومـشاورات تدل على عمق الصلة وتقارب الأفكار، مما جعـل علـي يـثق بـرأيه ويجعله للمعضلات ولا أدل على ذلك من جعله مناظـراً للخـوارج في أحلـك المواقـف ولـيس لهـا إلا ابن عباس صاحب الفكر العميق.

وقـد كـان علـي -ﷺ- يعجب برأيه الذي يوافق الصواب، حتى قال عنه: إنك لتنظر إلى الغيب من ستر رقيق[2].

٦- أبي بن كعب[3] -ﷺ-:

سـيد القـراء وكاتـب الوحـي، شـهد بيعة العقبة مع السبعين من الأنـصار، وشـهد بـدراً وأحـداً، والخـندق، والمشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ-، وقـد قـرأ علـى الـنبي -ﷺ- القرآن في الوقت الذي كان ينزل به جـبريل -علـيه الـسلام- فقد قال ابن عباس: قال أبي لعمر: إني تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل وهو رطب[4].

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ ٢/ ٧٤٩.

(٢) البرهان ١/ ٨.

(٣) ينظر تفاصيل ترجمته في: الاستيعاب ١/ ١٦١، وأسد الغابة ١/ ١٦٨، والإصابة ١/ ١٨٠.

(٤) تاريخ الإسلام ٢/ ٢٧.

حفظ القرآن في عهد النبي -ﷺ- فشهد له بالفضل في القراءة وحسن الأداء حتى قال عليه الصلاة والسلام: "استقرئوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب"[1].

بلغ أبي بن كعب منزلة عالية في العلم والفضل في نفس النبي -ﷺ- حتى قال له الرسول -ﷺ- مرة: إن الله أمرني أن أقرأ عليك: **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾** [البينة/ ١] قال: وسماني؟ قال: "نعم". فبكى[2].

هنأه الرسول -ﷺ- على ما حصل عليه من العلم الغزير حين سأله عن أعظم آية في كتاب الله فأجابه، فضرب على منكبيه وهنأه، قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم قال: فكررها مرتين، قلت: "اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ..." قال: فضرب في صدري وقال: "والله ليهنك العلم أبا المنذر"[3].

شعر الصحابة بمكانة أبي بن كعب، فكانوا يجلونه ويحترمونه، فهذا عمر بن الخطاب كان يلقب أبياً بسيد المسلمين[4] حتى أنه كان يهابه ويكرمه ويستفتيه[5] وكان يقول: "أقضانا علي وأقرؤنا أبي"[6].

---

(١) طبقات القراء ٦/ ٦٢٩.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٨٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٩٩)، وسنن النسائي برقم (١١٦٩١)، وسنن الترمذي ٥/ ٦٢٤ برقم (١٤٦٠)، وحلية الأولياء ١/ ٣١٥، وصفة الصفوة ١/ ٢١٩.

(٣) صحيح مسلم برقم (٨١٠)، وسنن أبي داوود برقم (١٤٦٠)، وحلية الأولياء ١/ ٣١٥.

(٤) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٨،وتاريخ الإسلام٢/ ٢٨،وصفة الصفوة ١/ ٢١٩ وتهذيب التهذيب١/ ١٦٩.

(٥) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٨.

(٦) ينظر: طبقات القراء ٦/ ٦٢٩.

فلمـا كان لأبي هذا الفضل العظيم والعلم الغزير والمكانة العالية في نفـوس الـصحابة وجـد ابـن عـباس في أبي ضالته، فلازمه وأخذ عنه القرآن، وقرأ عليه وروى عنه[1].

كـان ابن عباس حريصاً على الإفادة من أبي مع تأدبه في ملازمته خشية أن يمله، قال ابن عباس: "ما حدثني أحد قط حديثاً فاستفهمته، فلقد كـنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم، فأقيل على بابه، ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظ لمكاني من رسول الله -ﷺ-، ولكني أكره أن أمله"[2].

امـتلأ جـوف ابـن عـباس علماً من عامة الصحابة الكبار لاسيما أبياً، فقد كان يقول: "كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله -ﷺ- من المهاجـرين والأنـصار فأسـألهم عـن مغازي رسول الله-ﷺ- وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحداً إلا سر بإتياني لقربي من رسول الله- ﷺ- فجعلـت أسأل أبياً بن كعب يوماً عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرها بمكة"[3].

٧- عبد الله بن مسعود[4] -ﷺ-:

كـان مـن الأولـين الـذين أسـلموا، وكـان سـادس سـتة ما على الأرض مـسلم غيرهـم، وهـو أول مـن جهر بالقرآن في وجوه أهل مكة، وكان المسلمون يومئذ يتخوفون من قريش.

---

(١) ينظـر: تاريخ الإسلام ٢/ ٢٧، وغاية النهاية ١/ ٣١، وتهذيب التهذيب١/ ١٦٩، والبرهان ١/ ٢٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ٤٣٧.

(٣) نفسه.

(٤) ينظـر تفاصـيل تـرجمته في: الطـبقات الكـبرى ٢/ ٤٢٢، ٣/ ٨٠، والاستيعاب ٣/ ١١٠، وأسد الغابة ٣/ ٣٨١، والإصابة ٤/ ١٩٨.

وهو أحد الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله -ﷺ-، قال علي بـن الرماح: "جمع القرآن في حياة النبي -ﷺ- أربعة: علي وعثمان وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود"[1].

وكـان عـبد الله مـن أحسن الصحابة قراءة للقرآن وذلك بشهادة النبي -ﷺ-؛ قال ابن مسعود: دخل رسول الله-ﷺ- المسجد وهو بين أبى بكـر وعمـر وإذا ابـن مسعود يصلي وإذا هو يقرأ النساء فانتهي إلى رأس المائـة فجعـل ابن مسعود يدعو وهو قائم يصلي، فقال النبي -ﷺ-: اسأل تعطه، اسأل تعطه، ثم قال: من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه بقـراءة ابـن أم عـبد، فلمـا أصـبح غـدا إلـيه أبـو بكر ليبشره ..." ثم ذكر الحديث[2].

وقـد عـده الـنبي -ﷺ- في مقدمـة الأربعـة الذين أمر بأن يستقرأ القـرآن مـنهم حتى حظي بحب الصحابة، فعن مسروق قال: "ذكر عبد الله عـند عـبد الله بـن عمـرو فقـال: ذاك رجـل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسـول الله -ﷺ- يقـول: اسـتقرئوا القـرآن مـن أربعـة: مـن عبد الله بن مـسعود -فـبدأ بـه- وسـالم مـولى أبـي حذيفـة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل"[3].

وعلمُ عبد الله بن مسعود غزير جداً فهو من الأولين الذين أخذوا العلـم عـن رسـول الله -ﷺ- فـوعاه، وإنـه لأعلمهـم بكـتاب الله، فعن

---

(1) طبقات القراء ٦/ ٦٢٨.

(2) المعجم الكبير للطبراني (٨٤٢٢)، والصحيح المسند مما ليس في الصحيحين٢/ ١٤-١٥.

(3) صحيح البخاري برقم (٣٧٥٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٤)، وسنن الترمذي ٥/ ٦٣٢ برقم (٣٨١٠)، ومسند أحمد (٦٨٣٨)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٨٤١٠)، (٨٤١١)، (٨٤١٢).

مسروق قال: قال عبد الله -ﷺ-: والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[1].

والشيء الذي يشرّفه بهذا العلم الغزير أنه أخذ القرآن من في رسول الله -ﷺ-، فعن شقيق بن سلمة قال: "خطبنا ابن مسعود ، فقال: "والله لقد أخذتُ من في رسول الله -ﷺ- بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي -ﷺ - أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم". قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت راداً يقول غير ذلك"[2].

ولقد كان-ﷺ- ممن يشهد عرض القرآن من النبي -ﷺ- مع الصحابة، فعن أبي ظبيان قال: قال لنا ابن عباس: أي القراء تين تقرؤون؟ قلنا: قراءة عبد الله، قال: إن رسول الله -ﷺ- كان يعرض القرآن في كل عام مرة، وإنه في العام الذي قبض فيه مرتين فشهد عبد الله ما نسخ"[3].

أما صاحبنا فلم يترك هذا الكنيف الذي مليء علماً، فلازمه وأخذ عنه ما أخذه من رسول الله -ﷺ-، فاجتمع له علم كثير وكان يقرأ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٠٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٢)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (٨٤٢٩)، (٨٤٣٠)، (٨٤٣١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٢).

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ٤٢٢.

القرآن على قراءة زيد بن ثابت إلا ثمانية عشر حرفاً أخذها من قراءة ابن مسعود[1].

وقد علم ابن مسعود قدر ابن عباس فقال فيه: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد. وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس[2].

٨- زيد بن ثابت[3] -رضي الله عنه-:

هو أحد الصحابة المقربين من النبي -ﷺ-، وكان كاتب الوحي من لدن رسول الله-ﷺ- إلى عهد الخليفة عثمان-رضي الله عنه- حين كتب المصحف الإمام. عرف الصحابة مكانته وقدره، لاسيما وهو أمين سر قلم النبي-ﷺ- وكاتبه الشخصي ائتمنه النبي -ﷺ- في كتابة الرسائل إلى رؤساء القبائل والملوك، فلما خاف أن يزاد في رسائله أو ينقص، أمره أن يتعلم العبرية والسريانية، فكان أهلاً لذلك فما مضى نصف شهر حتى تعلم العبرية، وسبعة عشر يوماً حتى تعلم السريانية[4].

قال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله -ﷺ- أن أتعلّم له كتاب يهود، فقال: إني والله ما آمن يهود على كتاب. قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم[5].

---

(١) ينظر: غاية النهاية ١/ ٤٢٦.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٥.

(٣) ينظر تفاصيل ترجمته في: الطبقات الكبرى ٢/٤٣، والاستيعاب ٢/ ١١٠، وأسد الغابة ٢/ ٣٤٦، والإصابة ٢/ ٤٩٠.

(٤) ينظر: الإصابة ٢/ ٤٩١، والطبقات الكبرى ٢/ ٤٣٠، وأسد الغابة ٢/ ٣٤٧.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٦٤ برقم (٢٧١٥)، والصحيح المسند مما ليس في الصحيحين ١/ ٢٦١.

فلمـا تـوفي الـنبي -ﷺ-، واسـتقر رأي الصحابة في عهد أبي بكر علـى جمـع القـرآن وكتابته، لم يجدوا خيراً من زيد بن ثابت لما توافرت فيه مـن شـروط لم تجـتمع في غـيره فقـد كـان مـن حفّاظ القرآن، ومن كتّاب الوحـي لرسول الله -ﷺ-، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن، وكان معروفاً بخصوبة عقله، وشدة ورعه، وعظم أمانته وكمال خلقه واستقامة دينه[1].

قال زيد بن ثابت: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله -ﷺ- فتتبع القرآن فاجمعه..."[2].

امتاز زيد بن ثابت بتعدد العلوم مع التفوّق على الأقران فيها فهو مـن أقرأ الصحابة لكتاب الله، ومن أعلمهم بتفسيره، ومن أفقه الصحابة بالأحكـام، ومـن أعلمهـم بالفـرائض والحساب مـع علمه للغات بعض الأعجمـين مـن العبرية والسريانية، فلما مات فقد الناس علماً كثيراً، قال عمـار بـن أبـي عمـار: "لما مات زيد بن ثابت قعدنا إلى ابن عباس في ظل القصر، فقال : هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير"[3].

فهـذا العَلَمُ الشامخ لم يتركه ابن عباس إلا ولازمه ملازمة وثيقة، ويأتيه في بيته، ويقول: "العلم يُؤتى ولا يأتي"[4]، وكان يقول عنه: "لقد علم المحفظون من أصحاب محمد -ﷺ- أن زيد بن ثابت كان من الراسخين في العلم"[5].

---

(1) ينظر: حبر الأمة عبد الله بن عباس ومدرسته في التفسير ص ٦٩.

(2) صحيح البخاري برقم (٤٩٨٦)، وسنن الترمذي ٥/ ٢٦٤ برقم (٣١٠٣).

(3) الطبقات الكبرى ٢/ ٤٣٢.

(4) غاية النهاية ١/ ٢٩٦.

(5) الإصابة ٢/ ٤٩٢.

ولا أدلّ على أن ابن عباس قد أخذ عن زيد بن ثابت الشيء الكثير إلا أنه لما مات قال أبو هريرة -ﷺ-: اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً[1].

٩- العباس بن عبد المطلب[2] -ﷺ-:

كان العباس بن عبد المطلب أحد الأساتذة الذين تعلم على أيديهم عبد الله بن عباس وقد أعطى العباس ابنه عبد الله ما كان عنده من علم ودراية بأنساب العرب ووقائعها ولم يبخل على ابنه بالتوجيهات التي تصلح من حياته وتزيد من علمه، وتكسب له المكانة العالية في قلوب الناس؛ فقد رآه مقرباً عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فلم يألُ جهداً حتى وجه ابنه توجيهات قيمة قلما يجدها عبد الله عند أحد، فقد حفظت له مكانته عند أمير المؤمنين، قال الشعبي عن ابن عباس قال: قال لي أبي: إن عمر يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة، فاحفظ عني ثلاثاً، لا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا يجربن عليك كذباً، قال الشعبي: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف، فقال ابن عباس: بل كل واحدة خير من عشرة الاف[3].

ويعد ابن عباس أحد الرواة الذين رووا عن العباس بن عبد المطلب، وصار أبوه أحد مشايخه بالرواية كما جاء في التهذيب[4].

---

(١) الإصابة ٢/ ٤٩٢.

(٢) ينظر تفاصيل ترجمته في: الطبقات الكبرى ٢/ ٣٢١، والاستيعاب ٢/ ٣٥٨، وأسد الغابة ٣/ ١٦٣، والإصابة ٣/ ٥١١.

(٣) البداية والنهاية ٨/ ٢٨٤.

(٤) ينظر: تهذيب الكمال ١٥/ ١٥٦.

١٠- أم الفضل[1] -رضي الله عنها-:

دخلت أم الفضل -رضي الله عنها- في مصاف الذين كان لهم الفضل في إثراء ذخيرة العلم عند ابن عباس، فهي المدرسة الأولى التي تلقّى فيها وفي أحضانها بدايات العلم، وبذرات المعرفة كيف لا؟ وهي التي أثرت فيه منذ صغره حين أسلم مع أمه قبل الهجرة وقبل إسلام أبيه، فأخفت إسلامها وإسلام ابنها على صغر سنه، وحين يسال ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ ..﴾ [النساء/ ٩٨]. قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين، كانت أمي من النساء وكنت أنا من الولدان[2]. فكيف لهذا الصغير أن يغير ما اعتاده من حياة أحاطت به في مكة؟ لولا عناية الله به ثم حرص أمه على اختيار المنهج الصحيح لابنها التي عاهدت نفسها على أن يسود ذوي الحسب من فهر وغيرهم، فمنذ صغره كانت ترقصه وترتجز بأبيات ذُكِرت مسبقاً[3].

وقد عرفت أم الفضل بروايتها عن النبي -ﷺ-، لأنه كان يزورها ويقيل في بيتها[4]. وقد سمعت ولدها عبيد الله يقرأ ﴿وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً﴾، فقالت: يا بني، أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله -ﷺ- يقرأ بها في المغرب.

---

(١) ينظر تفاصيل ترجمتها في: أسد الغابة ٧/ ٢٤٦ و٣٦٦، والإصابة ٨/ ٢٩٩ و٤٤٩، وأعلام النساء ٤/ ٢٧٢، وتراجم أعلام النساء ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٢) البخاري مع الفتح ٨/ ٣٢١ برقم (٤٥٨٧).

(٣) ينظر: ص ٢٣ من هذه الرسالة.

(٤) ينظر: الإصابة ٨/ ٢٩٩.

وقد عدها الإمام المزي في تهذيب الكمال ممن أخذ عنهم ابن عباس وروى لهم[1].

فهؤلاء هم أهم من أخذ عنهم ابن عباس علمه، وأثروا في شخصيته، وإلاّ فإن ابن عباس أخذ عن الكثير من الصحابة -رضي الله عنهم- عموماً، فقد عد الإمام المزي في كتابه ((تهذيب الكمال)) من روى ابن عباس عنهم فقال[2]: روى عن النبي -ﷺ-، وعن أبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وبريدة بن الحُصيب الأسلمي، وتميم الداري، وحُصين بن عوف الخثعمي، وحَمَل بن مالك بن النابغة الهذلي، وخالد بن الوليد- وهو ابن خالته- وذؤيب الخزاعي والد خبيصة بن ذُؤيب، وسعد بن عبادة، والصعب بن جثّامة، وأبيه العباس بن عبد المطلب، وعمار بن ياسر، وعمر بن الخطاب، وأخيه الفضل بن العباس، وكعب الأحبار، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بكر الصديق، وأبي ذر الغفاري، وأبي سعيد الخدري، وأبي سفيان بن حرب، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة، وأسماء بنت أبي بكر الصديق، وجويرية بنت الحارث، وسودة بنت زمعة، وعائشة أمهات المؤمنين، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث، وخالته ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وأم سلمة زوج النبي -ﷺ-، وأم هانئ بنت أبي طالب.

وفي الجملة فإن ابن عباس -رضي الله عنهما- قد أخذ العلم عن الكثير من كبار الصحابة الذين لم يسمهم أحد من أهل التراجم والسير،

---

(١) ينظر: تهذيب الكما ل ١٥٦/١٥.

(٢) نفسه.

وقـد فهم ذلك من قوله -رضي الله عنه- حين قال: وجدت علم رسول الله -ﷺ- عـند هذا الحي من الأنصار، إن كنت لأقيل بباب أحدهم ولو شـئت أن يؤذن عليه لأذن، لكن أبتغي بذلك طيب نفسه[1]. فأساتذة ابن عـباس كثير جداً ينبئك عنهم كثرة علمه وتنوع فنونه فإنه لم يترك شخصاً سمع أنه عنده علم فلم يأته، حتى اجتمع له علم غزير احتاج إليه مَنْ بين المشرق والمغرب، كل يصدر عن واد واسع.

وقد ذكرت لهم ترجمة بسيطة لا لشيء وإنما ليعرف ممن أخذ عنهم ابن عباس ليزداد اليقين أن نبوغه لم يكن من فراغ وإنما هو العلم الراسخ الذي أُخذ من بابه حتى صار مرجعاً لمن بعده. ويتضح لنا الأمر أكثر حين ندرس تلاميذه الذين أخذوا عنه.

تلاميذه:

لمـا تـنوعت علوم ابن عباس كثر مريدوه فاجتمع عليه خلق كثير يأخـذون عـنه وينشرون منه، فما من فن إلا طرقه، فأخذ عنه تلاميذه كل ما حواه صدره من علم نافع ولم يبخل به عليهم، اشتهر من هؤلاء الكثير ممـن صار إماماً في بابه ومنهم من حوى أكثر من علم عنه، وبعض العلوم يـدخل بعـضها في بعـض، وقد عرف قديماً أن طلاب العلم يأخذون عن شـيخهم كـل مـا عـنده مـن غـير تمييـز لاسيما وهذا الشيخ هو صاحب الدعوة المباركة من مشكاة النبوة، فمن هذه العلوم:

---

(1) ينظر: الإصابة ٤/ ١٢٥.

في علم الحديث:

كـان عـبد الله بـن عباس أحد العبادلة الأربعة[١]، ومن الصحابة المكثـرين في رواية الحديث، فقد بلغ ما رواه ألف وستمائة وستون حديثاً، لـذلك كثـر عـنه الـرواة فأخـذوا مـا عـنده مـن حديث رسول الله-ﷺ- وتـناقلوه رواية، فبلغ عدد الرواة عنه مائتان إلا ثلاثة أنفس بسطها الإمام المزي في تهذيب الكمال، وفصل ذكر كل واحد منهم، ومن أخرج لهم من أئمة الحديث في كتبهم، ونحيل إليه خشية الإطالة[٢].

في علم الفقه:

كـان ابـن عـباس أحد فقهاء الصحابة، وكان أعلمهم بالفتيا، قال ابـن أبـي نجيح: كان أصحاب ابن عباس يقولون: إن ابن عباس أعلم من عمـر وعلـي وعبد الله، فانبعث الناس عليهم، فيقولون: لا تعجلوا علينا إنـه لم يكن أحد من هؤلاء إلاّ وعنده من العلم ما ليس عند صاحبه، وإن ابن عباس قد جمعه كله[٣].

واختص بالأخذ عنه هذا العلم جماعة من تلاميذه وهم:

- **عطاء بن أبي رباح[٤] (من فقهاء مكة):**

هـو أبـو محمد عطاء بن أبي رباح واسـم أبي رباح أسلم وكان مولى فهر أو جُمَح. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء، وقال إبراهيم

---

(١) ينظر: بقي بن مخلد ص ٨٠.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال ١٥/١٥٦، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٣٠.

(٤) نفسه ص ٥٧.

بن عمرو بن كيسان: أذكرهم في زمان بني أميه يأمرون بالحج صائحاً يصيح، لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح.
وقال الأوزاعي: مات عطاء يوم مات وهو أحظى أهل الأرض عند الناس، وما كان أكثرهم يهتدي إليه...
قال الواقدي وأبو نعيم مات سنة خمس عشرة ومائة. وقال الهيثم: مات سنة أربع عشرة ومائة. قال الواقدي مات وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وكان من أجلاء الفقهاء.

- **طاؤوس بن كيسان[1] (من فقهاء اليمن):**

هو أبو عبد الرحمن طاؤوس بن كيسان اليماني مولى أبناء الفرس، مات بمكة حاجاً سنة ست ومائة وكان فقيهاً جليلاً. قال خصيف: أعلمهم بالحلال والحرام طاؤوس.

- **مجاهد بن جبر[2] (من فقهاء مكة):**

هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر مولى مخزوم، قال الهيثم: توفي سنة مائة. وقال أبو نعيم: سنة اثنتين ومائة. وقال يحي بن سعيد القطان: سنة أربع ومائة، وكان من العلماء.
قال حماد: لقيت عطاءاً وطاؤوساً ومجاهداً، وشاممت القوم فوجدت أعلمهم مجاهداً. وقال مجاهد: كان ابن عمر يأخذ لي الركاب ويسوي عليَّ ثيابي إذا ركبت.

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي، ص ٦٥.
(٢) نفسه ص ٥٨.

- **سعيد بن جبير الوالبي[1] (من فقهاء الكوفة):**

هو أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام مولى والبة بن الحرث من بني أسد، توفي سنة خمس وتسعين، قال سعيد: سأل رجل ابن عمر عن فريضة، قال: سل سعيد بن جبير، فإنه يعلم منها ما أعلم ولكنه أحسب مني، وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه يقول: يسألوني وفيهم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً، قال خصيف: كان أعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب، وأعلمهم بالحج عطاء، وأعلمهم بالحلال والحرام طاؤوس، وأعلمهم بالتفسير مجاهد، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير.

- **عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[2] (من فقهاء المدينة):**

هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، قال يحيى بن معين: مات سنة اثنتين ومائة. وقيل سنة تسع وتسعين. وقال الواقدي سنة ثمان وتسعين. وسئل عراك بن مالك -رضي الله عنه- من أفقه من رأيت؟ قال أعلمهم سعيد بن المسيب، وأغزرهم في الحديث عروة، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بحراً إلا فجرته. وقال الزهري: أدركت أربعة بحور. فذكر عبيد الله، وقال الزهري: سمعت من العلم شيئاً كثيراً فظننت أني اكتفيت حتى لقيت عبيد الله بن عتبة فإذا كأني ليس في يدي شيء.

(1) طبقات الفقهاء للشيرازي، ص ٨٢.

(2) نفسه، ص ٤٢.

وقال عمر بن عبد العزيز: لأن يكون لي مجلسٌ من عبيد الله أحب إلي من الدنيا.

- **أبو الشعثاء جابر بن زيد[1] (من فقهاء البصرة):**

هـو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي مات سنة ثلاث ومائة، وقيل سنة ثلاث وتسعين، وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال: لـو أن أهـل البصرة سألوا جابر بن زيد عما في كتاب الله تعالى ثم نـزلوا عـند قوله وسعهم، أو قال: كفاهم وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعلم من أبي الشعثاء.

- **ابن أبي مُلَيكة[2] (من فقهاء مكة):**

هو عبدالله بن أبي مليكة التيمي وليَ القضاء بالطائف من جهة ابن الـزبير وكـان مـن كـبار أصـحاب ابـن عباس- رضي الله عنهما- ومات سنة تسع عشرة ومائة.

- **عكرمة[3] (من فقهاء مكة):**

هـو عكرمة مولى ابن عباس وأصله من البربر، وكان ممن ينتقل من بلـد إلى بلـد، ومـات سنة سبع ومائه. وقال القتيبي مات سنة خمس عـشرة ومائـة، وقـد بلـغ ثمانين سنة، وكان فقيهاً. وروي عن ابن عـباس -رضـي الله عنهما- أنه قال له: انطلق فأفتِ الناس. وقيل

---

(1) طبقات الفقهاء للشيرازي، ص ٩٢.

(2) نفسه ص ٥٨.

(3) نفسه ص ٥٩.

لسعيد بن جبير هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: عكرمة. ومات عكرمة وكثير عزة في يومٍ واحد، فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس.

- **ميمون بن مهران[1] (من فقهاء الشام والجزيرة):**

هو أبو أيوب ميمون بن مهران مولى الأزد، مات سنة سبع عشرة ومائة، وكان من سبي اصطخر.

- **عمرو بن دينار[2] (من فقهاء مكة):**

هو أبو محمد عمرو بن دينار مولى باذام من الأبناء، مات سنة ست وعشرين ومائة. قال سفيان بن عينية: قالوا لعطاء بمن تأمرنا؟ قال: بعمرو بن دينار. وقال طاؤوس لابنه: يا بني إذا قدمت مكة فجالس عمرو بن دينار فإن أذنيه قُمْع العلماء.

فهؤلاء هم تلامذة ابن عباس من فقهاء التابعين أخذوا عنه الفقه والفتوى، وتعد فتاوى أولئك الجبال من كسب ابن عباس، وفتاويهم هي فتاويه، وقد جمعت فتاوى ابن عباس في نحو عشرين مجلداً وسميت بفتاوى ابن عباس، جمعها الإمام أبو بكر محمد بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون[3].

---

(1) ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٢.

(2) نفسه.

(3) ينظر: كشف الظنون ٢/ ١٢٢٦، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٤٩.

في علم التفسير:

هـذا العلـم قـد حـوى في طـيَّاته جـل العلوم من فقه، وحديث، وتوحيد، وعقيدة وفرائض، وعربية، وغيرها من العلوم، وابن عباس كان ترجمان القرآن، ثم أخذ عنه هذا العلم أشهر تلاميذه وهم:

- **سعيد بن جبير:**

قد مر بنا ترجمته في عداد الفقهاء، وها هو يذكر بين المفسرين دلالة على مكانته وقدره الرفيع بين العلماء. قرأ القرآن على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمر، والمنهال ابن عمرو، وقد حدث عن ابن عباس، وعدي بن حاتم، وابن عمر، وعبد الله بن مغفل، وأبي هريرة[1].

كان لسعيد بن جبير علم غزير، وكان يقال له: جهبذ العلماء، وعن ابـن عباس- رضي الله عنهما- قال- لما سأله أهل الكوفة-: أليس فـيكم ابـن الدهماء[2]؟ وروى عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه قال: "مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمـه"[3]. وقـال إسماعيل بن عبد الملك: "كان سعيد بن جبير يؤمنا في رمـضان، فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود وليلة بقراءة زيد بن ثابت وليلة بقراءة غيره، وهكذا أبداً"[4].

---

(1) ينظر: طبقات المفسرين للداوودي ١/ ١٨٨.

(2) نفسه.

(3) تهذيب التهذيب ٤/ ١١.

(4) وفيات الأعيان ٢/ ٣٧١.

وهـذا يدلـنا علـى سـعة علمـه، ويعطيه القدرة على معرفة معاني القرآن وأسراره، وكان يتورع من القول في التفسير برأيه ويدل على ذلـك أن رجـلاً سـأل سـعيداً أن يكـتب له تفسير القرآن، فغضب وقال: لأن يسقط شقي أحب إلي من ذلك[1].

جمـع مـا عـند أصـحابه مـن التابعين بما برزوا فيه، ثم قتله الحجاج صبراً، فحُرِم الناس من علم كثير.

- **مجاهد بن جبر:**

كـان مجاهـد- رحمه الله- أوثق أصحاب ابن عباس رواية عنه، وإن كان أقلّهم، لهذا اعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما.

ونجـد الـبخاري- رحمه الله- في كتاب التفسير من الجامع الصحيح ينقل لنا كثيراً من التفسير عن مجاهد وهذه أكبر شهادة من البخاري على ثقته وعدالته، واعتراف منه بمبلغ فهمه لكتاب الله تعالى[2].

وقـد روى الفـضل ابـن مـيمون أنـه سمـع مجاهداً يقول: "عرضت القـرآن علـى ابـن عـباس ثلاثين مرة"[3]. وروي عنه أيضاً أنه قال: "عرضـت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية، أسـأله فـيمَ نـزلت؟ وكـيف كانـت[4]؟". ولا تعـارض بـين هـاتين الـروايتين، لأن الإخـبار بالقلـيل لا يـنافي الإخـبار بالكـثير، ولعله عـرض القـرآن علـى ابـن عـباس ثلاثـين مرة لتمام الضبط، ودقة

---

(1) ينظر: وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٢.

(2) ينظر: التفسير والمفسرون ١/١١٣.

(3) ميزان الاعتدال ٣/٤٣٩، وتهذيب التهذيب ١٠/٣٨.

(4) تهذيب التهذيب ١٠/٣٩.

التجويد وحسن الأداء، وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات طلباً لتفسيره، ومعرفة ما دقّ من أسراره، وخفيَ من معانيه، كما تُشعِر بذلك ألفاظ الرواية[1].

وعن ابن أبي مليكة قال: "رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله[2].

وأخرج ابن جرير عن أبي بكر الحنفي قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به[3]. وكان- رحمه الله- جيد الحفظ، وقد حدّث بهذا عن نفسه، فقال: قال لي ابن عمر: "وددت أن نافعاً يحفظ حفظك[4].

وقال الذهبي في (الميزان)، في آخر ترجمة مجاهد: "أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به. وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة.

وقد أخذ عليه بعض العلماء أموراً، وكانوا يتقون تفسيره، كما روي أن أبا بكر بن عياش قال: قلت للأعمش، ما بال تفسير مجاهد مخالف؟ أو ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟ قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب[5].

هذا هو كل ما أُخذ على تفسيره، ولكن لم نرَ أحداً طعن عليه في صدقه وعدالته. وجملة القول فإن مجاهداً ثقة بلا مدافعة، وإن صحَ

---

(1) ينظر: التفسير والمفسرون ١/١١٣.

(2) الطبري ١/ ٦٥، ومقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ١٠١.

(3) نفسه.

(4) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٤٠.

(5) نفسه.

أنه كان يسأل أهل الكتاب فما أظن أنه تخطّى حدود ما يجوز له من ذلك لاسيما وهو تلميذ حبر الأمة ابن عباس؛ الذي شدد النكير على من يأخذ عن أهل الكتاب ويصدقهم فيما يقولونه مما يدخل تحت حدود النهي الوارد عن رسول الله -ﷺ-[1].

- عكرمة:

كان عكرمة على مبلغ عظيم من العلم، وعلى مكانة عالية من التفسير خاصة وقد شهد له العلماء بذلك، فقال ابن حبان: كان من علماء زمانه بالفقه والقرآن. وقال عمرو بن دينار: رفع إليّ جابر بن زيد مسائل أسال عنها عكرمة وجعل يقول: هكذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا البحر فسلوه.

وقال حبيب بن أبي ثابت: اجتمع عندي خمسة: طاووس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، و عكرمة، وعطاء، فأقبل مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير؛ فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما، فلما نفد ما عندهما جعل يقول: أنزلت آية كذا في كذا، و أنزلت آية كذا في كذا.

هذا بعض ما قيل في عكرمة، مما يشهد على مكانته في العلم عامة وفي التفسير خاصة، ولا عجب، فإن ملازمته لمولاه ابن عباس جعلته ينهل من معينه الفياض، ويأخذ عنه العلم الغزير[2].

---

(1) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ١١٥.

(2) نفسه.

وقد وُجِدتْ على عكرمة بعض المطاعن والمثالب، وكلها تُهَمٌ باطلة لا تقوم على أساس، وقد فند القول الذهبي- رحمه الله- في كتابه ((التفسير والمفسرون)) وبدد الشبه من أقوال أهل العلم و أحيلُ إليه اختصاراً[1].

- **طاووس بن كيسان اليماني:**

كان- رحمه الله- عالماً متقناً، خبيراً بمعاني كتاب الله تعالى، ويرجع ذلك إلى مجالسته لكثير من الصحابة يأخذ عنهم ويروي لهم، ولكن نجده يجلس إلى ابن عباس أكثر من جلوسه لغيره من الصحابة، ويأخذ عنه في التفسير أكثر مما يأخذ عن غيره منهم[2].

ولقد كان طاووس على جانب عظيم من الورع والأمانة، حتى شهد له بذلك أستاذه ابن عباس فقال فيه: إني لأظن طاووساً من أهل الجنة، وقال فيه عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً مثل طاووس.

وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة. وقال ابن معين: إنه ثقة. وقال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين، وكان مستجاب الدعوة، وحج أربعين حجة، وقال الذهبي: كان طاووس شيخ أهل اليمن، وكان كثير الحج فاتفق موته بمكة سنة ست ومائة[3].

---

(1) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ١١٥.

(2) نفسه.

(3) ينظر: تهذيب التهذيب ٥/ ١٠.

- **عطاء بن أبي رباح:**

كـان- رحمـه الله- ثقـة عالماً كثير الحديث، وانتهت إليه الفتوى في مكـة، وكـان ابن عباس يقول لأهل مكة إذا جلسوا إليه: تجتمعون إلـيّ يا أهل مكة وعندكم عطاء؟. وقال الأوزاعي: مات عطاء يوم مـات وهـو أرضى أهل الأرض عند الناس. وقال سلمة بن كهيل: مـا رأيـت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله إلا ثلاثة: عطاء ومجاهد، وطاووس. وقال ابن حبان: كان من سادات التابعين فقهاً. وعلماً، وورعاً، وفضلاً[1].

كـل مـا تقدّم من أقوال العلماء في عطاء يشهد على مكانته العلمية علـى وجـه العموم ويدل على مبلغ ثقته وصدقه، وليس أدلّ على ذلك من شهادة أستاذه ابن عباس له بذلك[2].

هـؤلاء هـم أشهر تلامذة ابن عباس في التفسير، وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلـى مـا رووه عـن الصحابة لا سيما ابن عباس، وعلى ما يفتح الله به عليهم عن طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله. فكانوا أعلم الناس به، فقد قال ابن تيميه في مقدمة أصول التفسير: "وأما التفسير فـأعلم الـناس بـه أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطـاء بـن أبـي ربـاح، وعكـرمة مـولى ابـن عباس، وغيرهـم من أصـحاب ابـن عـباس، كطاووس وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير، وأمثالهم ..."[3].

(1) ينظر: تهذيب التهذيب ٧/ ١٧٦.

(2) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ١٢٣.

(3) مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ٧١.

في علم القراءات:

صار علم القراءات ذا شأن عظيم لأنه يتعلّق بكتاب الله العزيز، وقد أخذ هذا العلم بالرواية شفاهة من النبي -ﷺ-، والنبي -ﷺ- أخذه عن جبريل- عليه السلام- مشافهة أيضاً، وهكذا انتقل هذا العلم جيلاً بعد جيل عن طريق الإسناد بالمشافهة، وقد عُرِفَ الصحابة بهذا العلم واشتهر منهم الأثبات كأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعلي، وأبي موسى، وأبي الدرداء وغيرهم- رضي الله عنهم-، وهؤلاء كانوا أساتذة ابن عباس الذين أخذ عنهم القراءة مشافهة، ثم أخذ عن ابن عباس تلاميذه المشهورون بعلم التفسير كسعيد بن جبير ومجاهد وطاووس وغيرهم، واختص بعض التابعين بالأخذ عن ابن عباس القراءة ونشروها حتى صارت علماً مستقلاً، ومن هؤلاء[1]:

- طاؤوس بن كيسان[2].
- ومجاهد بن جبر[3].
- وسعيد بن جبير[4].
- وعكرمة مولى ابن عباس[5].
- وأبي جعفر يزيد بن القعقاع وهو أحد القراء العشرة، قرأ على أبي هريرة وابن عباس[6].

---

(١) ينظر: أثر القراءات في الفقه الإسلامي ص ٩٨.

(٢) ينظر: غاية النهاية ١/ ٣٤١.

(٣) ينظر: معرفة القراء ١/ ٦٦، والمبسوط ص ٣١.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: غاية النهاية ١/ ٥١٥.

(٦) ينظر: معرفة القراء ١/ ٧٢.

- وسعيد بن المسيب، قرأ على عبد الله بن عباس وأبي هريرة[1].
- وعبد الله بن عياش، سمع من عمر وابن عباس، وقرأ على أبي بن كعب[2].
- وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس[3].
- وعبد الله بن أبي مليكة[4].
- وأبي العالية الرياحي[5].
- وأبي رجاء العطاردي[6].
- ويحيى بن يعمر[7].
- ويحيى بن وثاب الأسدي[8].
- ودرباس مولى ابن عباس أخذ القراءة عن مولاه ابن عباس، وأخذها عنه عبد الله بن كثير[9].

---

(1) ينظر: معرفة القراء ١/ ٧٢.

(2) نفسه.

(3) ينظر: معرفة القراء ١/ ٧٧، و غاية النهاية ١/ ٣٨١.

(4) نفسه.

(5) السابق ١/ ٦١.

(6) ينظر: غاية النهاية ١/ ٦٠٤، ومعرفة القراء ١/ ٥٨.

(7) نفسه.

(8) ينظر: معرفة القراء ١/ ٦٢.

(9) ينظر: غاية النهاية ١/ ٢٨٠، والمبسوط ص ٣٤.

هـؤلاء هـم ثمـرة ابن عباس، وما خلف أحد من الصحابة مثلما خلـف ابـن عباس من العلم الغزير الذي ينم عن عبقرية فذة قلّما تحصل لأحد، فقد عرفنا من الذين أخذ عنهم ابن عباس من الجبال الراسيات في العلم وعلى رأسهم إمام الدنيا وخاتم النبيين، وها نحن وقفنا على أهم من أخذ عن ابن عباس في فنون شتى فصارت الصورة واضحة والرؤية جليّة لا يعتريها غبش أن ابن عباس أعلم الناس بما أنزل على محمد-ﷺ-.

تأثره وتأثيره:

تأثـر ابـن عـباس بعوامل كثيرة ثبتت معارفه وصقلت شخصيته، ودفعـته إلى الأمـام في حـياة كـريمة، ومقـام جلـيل مـن هذه العوامل التي صارت لا بن عباس مصدر من مصادر التلقّي:

- القرآن الكريم:

يعـد القـرآن الكـريم المـصدر الأول الـذي تأثر به ابن عباس تأثراً ملحوظاً حيث جعله المصدر الأول من مصادره في تفسير كتاب الله تعـالى، واسـتنباط الأحكـام الـشرعية، فقـد ذكر الإمام البسوي في (المعرفة والتاريخ) حكاية عن ابن عباس أن عمر- رضي الله عنه- كان إذا دعا الأشياخ من أصحاب محمد -ﷺ- دعاه معهم وقال: لا تـتكلّم حتـى يـتكلموا. قال: فدعاني ذات يوم، أو قال: ذات ليلة، فقـال: إن رسـول الله-ﷺ- قـال في لـيلة القـدر مـا قـد علمـتم (التمـسوها في العـشر الأواخر وتراً)، ففي أي الوتر ترونها؟ فقال: بعـضهم: تاسـعة، سـابعة، خامـسة، ثالـثة، فقال لي: يا ابن عباس

مالـك لا تـتكلم؟ فقلـت: إن شـئت تكلمتُ. قال: ما دعوتك إلا لتـتكلم. فقلـت: أقول فيها برأيي؟ قال: عن رأيك أسألك. فقلت: إنـي سمعـت الله عـزّ وجل أكثر من ذكر السبع، فقال: السماوات السبع، والأرضين السبع[١].

فقـد اسـتنبط أن ليلة القدر تكون في سبع وعشرين متأثراً بما وجده في كـتاب الله من كثرة ذكر السبع فقال بذلك. وعندما سأله مجاهد عن السجدة التي في سورة (ص) أرشده إلى الاستعانة بالقرآن نفسه لتفـسير القـرآن فقـال لـه: أتقـرأ هـذه الآيـة: ﴿وَمِـنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ﴾ [الأنعام/ ٨٤] وفي آخرها: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام/ ٩٠] ثم قال: أمر نبيكم أن يقتدي بداود[٢].

- السُنّة المطهّرة:

أما السنّة فتأثره كذلك بها واضح جداً، ففي قصة علي حين أحرق قـوماً مـن الحـرورية، فـبلغ ذلـك ابـن عـباس، فقـال: لو كنت أنا لقتلتهم، لقول رسول الله-ﷺ- ولما حرقتهم لنهي رسول الله-ﷺ-، فقـد قال رسول الله: "من بدّل دينه فاقتلوه" وقال: "لا تعذبوا بعذاب الله عز وجل". فبلغ قول ابن عباس علياً، فقال: ويح ابن أم الفضل إنه لغواص على الهنات[٣]. ومن هذا القبيل كثير.

---

(١) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٢٠.

(٢) البخاري رقم (٤٨٠٦)، وأحمد (٣٣٨٨).

(٣) السابق ١/٥١٦.

- **تأثره بالصحابة:**

وأما تأثره بالصحابة وعلمهم فهذا حاصله:

* تأثر بأبي بكر الصديق فأخذ عنه القضاء وأنساب العرب.
* وتأثر بعمر بن الخطاب فأخذ عنه القضاء والتفسير، وأخذ من جوانب شخصيته العظيمة كثيراً حتى هيأه للمعضلات، وتأثر به في الاستشهاد بالشعر العربي في تفسير غريب القرآن.
* وتأثر بعثمان فأخذ عنه القضاء.
* وتأثر بعلي فأخذ عنه جل علمه، فجعله للمهمات وحل المشكلات.
* وتأثر بأبي بن كعب فأخذ عنه القراءة.
* وتأثر بابن مسعود فأخذ عنه القراءة.
* وتأثر بزيد بن ثابت فأخذ عنه القراءة والفرائض والحساب، ولا شك أنه تأثر به -لملازمته الشديدة له- فأخذ عنه اللغة العبرية والسريانية التي تعلمها بأمر النبي -ﷺ-، ولا أظن ذلك لا يكون لابن عباس، فقد كان ذا حافظة جيّدة، فقد كان يحفظ القصيدة تلقى عليه لأول مرة وإنها لثمانون بيتاً.
* وتأثر بأبيه العباس فأخذ عنه جزالة الرأي وحزم الأمور وأنساب العرب.

ومع هذا كله فقد تأثر بالحياة السياسية والعلمية ، فغزا أفريقية مع عبد الله بن أبي سرح[1] وغزا كذلك طبرستان[2]، وهذا ما أهله للاختلاط بحضارات أقوام غير العرب، وما وجد في تفسيره من الموازنات بين لغات العرب واللغات الأخرى لعله كان بهذا الاختلاط، فهو -رضي الله عنه- صاحب ذكاء وعبقرية ومثل هذه المقارنات لا تخفى عليه.

استعمله علي على البصرة ولم يشتغل بها إلا قليلاً ولم يكن لها كبير تأثير.

إنشاء مدرسة التفسير في مكة المكرمة:

وأما تأثيره البارز فيتجلّى في إنشاء مدرسة التفسير بمكة المكرمة التي كان قيامها على ابن عباس، فقد كان يجلس لأصحابه من التابعين يفسّر لهم كتاب الله تعالى، ويوضّح لهم ما أشكل من معانيه، وكان تلاميذه يعُونَ عنه ما يقول، ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه[3].

ونستطيع القول إن هذه المدرسة انتشر منها التفسير في أنحاء البلاد الإسلامية، وذلك للأسباب الآتية:

---

(1) ينظر: تاريخ ابن خلدون ٢/ ٥٤٨، والإصابة ٤/ ١٢٣.

(2) نفسه.

(3) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ١١١، و ابن عباس ومدرسته في التفسير ص ١٠٦.

١- أن عمادها ابن عباس، وهو صاحب الفضل المعروف والشهرة الذائعة.

٢- أن مركزها مكة المكرمة، أحب بقاع الأرض إلى الله، ولأنها تحظى بمكانة كبيرة في نفوس الناس لمركزها الديني، وما لها من أهمية إذ إنها ملتقى الحجيج من الأقطار جميعها.

٣- ولما تمتاز به هذه المدرسة من تفسير القرآن بالرجوع إلى كلام العرب لاسيما الشعر للتعرف على غريبه.

لذا قرر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في مقدمة أصول التفسير أنّ الريادة في التفسير لأهل مكة، فقال: "أما التفسير فأعلمُ الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس..."[(١)].

وبعد وفاة ابن عباس استقر المركز الرئيس لهذه المدرسة في مكة، حيث تابع نشر العلم وتوزيعه منها إلى أقطار العالم الإسلامي ثلاثة من تلاميذه، هم: عطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، ومجاهد حتى أصبح هؤلاء الثلاثة يعدون رؤوس فقهاء مكة وعلمائها.

وأما عكرمة فقد طاف في البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، ينشر العلم ويحدث عن شيخه ابن عباس، فقد رحل إلى خراسان، واليمن والعراق والشام ومصر والحرمين[(٢)].

وهكذا شعّ نور العلم من مدرسة ابن عباس، وأصبحَ لها فرعان آخران خارج مكة؛ فرع استقر في أقصى الجنوب، في أرض اليمن ويمثل

---

(١) مقدمة أصول التفسير ص ٧١.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٦، ومعجم الأدباء ٣/ ٥١٨.

هـذا الفـرع طـاووس، وفـرع متـنقل في الـبلاد الإسلامية، يمثله عكرمة-رضي الله عنهم جميعاً-[1].

وظلـت هـذه المدرسـة تـؤدي وظيفـتها بأقـوى ما تؤديه المدارس الحـية، وتـنقل معارفهـا مـن طبقة إلى أخرى، ومن جيل لتسلمه إلى آخر، حتـى أنـتجت سـفيان بـن عيـينة ومـسلم بـن خالـد، ثـم أنتجت الإمام الشافعي[2].

---

(1) ينظر: ابن عباس ومدرسته في التفسير ص ١٤٥.

(2) ينظـر: الناحـية العلمية والدينية لمكة المشرفة في العهد الأموي/ لأحمد السباعي/ المنهل ص ٣٦٣/ العدد (٨) شعبان ١٣٧١هـ.

الفصل الثاني

مصادر الدرس اللغوي

عند ابن عباس

المبحث الأول

كتب التراجم والتفسير

إن الباحثَ عن شخصية عظيمة كشخصية ابن عباس يجد نفسهُ أمام عدد هائل من كتب التراجم لا يكادُ واحد منها يغفلُ عن ذكر اسمهِ أو ذكر فضلهِ، وقد تنوّعت كتب التراجم والتاريخ في النقل عن شخصيته، فمنها المُقل من أخبارهِ مكتفياً بشهرته منوهاً على بعضها، ومنها المكثر المسهب فيها، فكل جزء من حياته يُعد حدثاً وخبراً حرياً بأن يثبت. لذا أخذ أصحاب التراجم والتاريخ يثبتونها في مؤلفاتهم كل بحسب مؤلفهِ، فهو عربيٌ أصيلٌ لذا ذكر في تراجم أنساب العرب، ولمّا كان من نسب عريق ذكر في أنساب الأشراف، ولمّا كان من خاصة قريش ذكر في نسب قريش، ولمّا كان من النجباء ذكر في تراجم أنباء نجباء الأبناء، ولمّا كان من آل البيت ذكر في تراجم مناقب آل البيت، ولمّا كان صحابياً ذُكرَ في تراجم الصحابة وطبقاتهم، ولما كان من المكثرين في رواية الحديث ذكرَ في تراجم الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد، وكان إمام المفسرين فترجم له في طبقات المفسرين، وكان قارئاً فترجم له في طبقات القراء، وكان فقيهاً فترجم له في طبقات الفقهاء، وكان حافظاً فترجم له في تذكرة الحُفّاظ وطبقاتهم، وكان زاهداً عابداً فترجم له في حلية الأولياء، وكان من القليل مثله في هذه الأمة فترجم له في صفوة الصفوة، استقر في مكة فترجم له في العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، وعَمِيَ في آخر

حياته فترجم له في نكت الهميان في أخبار العميان، وهكذا تكاثرت كتب التراجم في ذكرهِ وصار بعضهم ينقل عن بعضٍ حتى صارت الأخبار تنقل بالرواية والسند فمنها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف والموضوع، لذا يجب النظر بدقة إلى كل ما ينقل عنه والتثبّت في الأخذ عنها قدر المستطاع. وقد وُجِدت كثيرٌ من كتب التراجم المحققة وتُوبعت آثارها فصححت كثير من الآثار وضعفت منها الكثير.

وقد ذكرت بعض كتب التاريخ- مثل تاريخ دمشق ومختصره وكذا تاريخ مدينة بغداد- بعضاً من مناظراته وأقواله في جانب اللغة، وتفسيره بعض المفردات الغريبة التي أثبتها ابن عباس، وكذلك قد حفلت بعض منها في بسط قصص تدل على تمكنهِ من القرآن وتفسيره وحمل مجمله على مفصله ومطلقه على مقيده، وكذلك توضيح الفكرة لبعض الناس ممن اشتبهت عليهم بعض الآيات، فرد بعضها على بعض كما هو موجود في كتاب المعرفة والتاريخ. فهذه الكتب هي ميدان البحث عن تلك الشخصية العظيمة وهي مصادر البحث للتنقيب عن الدرس اللغوي عند ابن عباس من خلال حياته العلمية والعملية. وأكثر الكتب ثراءاً في الدرس اللغوي عند ابن عباس هي كتب التفسير إذ هو المجال الأصل الذي صال فيه ابن عباس وجال حتى أخرج لنا من جواهر اللغة ما انبثق به فكره وجادت به قريحتهُ لتدل على قوة تمكنه من العربية وأسرارها فتمكن من تثبيت اللقب الذي حازه من أكابر الصحابة بأنه نعم ترجمان القرآن هو. وصارت أقواله لمن بعده نبراساً يُستضاء بهِ، وأصلاً يقام عليهِ وجُهداً يعين من بعده لتذليل الصِعاب.

ومن هذه التفاسير التي امتلأت بأقوال ابن عباس وأصبحت مصدراً من مصادر الدرس اللغوي عنده، تفسير ابن جرير الطبري الذي يُعد- بحق- أجود التفاسير بالمأثور التي حثت على الإسناد، زد على ذلك أن صاحبهُ كان ذا قوة كبيرة في جوانب اللغة العربية، ومع ذلك فإنه لم يلتزم الصحة في كل ما يرويهِ عن ابن عباس. وكذلك تفسير ابن أبي حاتم والصنعاني قد اعتمدا في نقل أقوال ابن عباس على الإسناد وتابعهم على النهج نفسه كثير من المفسرين أمثال ابن كثير والسيوطي.

وكان من نتائج ذلك أن افترق المفسرون تجاه تفسير ابن عباس وغيره من التفسير بالمأثور إلى ثلاث فرق:

فرقةٍ أخذوا بكل ما روي من هذا التفسير فوقعوا في كثير من الآثار الموضوعة ومن هؤلاء الثعلبي والوا حدي، وقد تبعهم بذلك بعض المفسرين.

وفرقةٍ اقتصروا على رواية ما صح عن ابن عباس ولكن لم يرووا إلا قليلاً من تفسيره ومن أبرز هؤلاء الإمام البخاري ومسلم.

وفرقةٍ تجنبوا الأحاديث الموضوعة بشهرة رواتها من الكذابين ولكنهم خلطوا بين الروايات الصحيحة والضعيفة وهؤلاء هم أكثر المفسرين الذين اهتموا بنقل تفسير الصحابة والتابعين كالإمام ابن جرير وابن أبي حاتم والذين رووا بعض تفسير ابن عباس من علماء السنه كالإمام أحمد وعبد الرزاق الصنعاني والترمذي والحاكم والبيهقي.

وقد نقل كثير من المفسرين المتأخرين هذه الروايات من غير تمييز بينها وأحياناً ينقلونها بغير إسناد إلا أن بعضهم يبين ضعف الروايات أحياناً إذا كان الموضوع مهماً كآيات العقائد والأحكام كالحافظ ابن كثير.

ونظراً لاختلاط الصحيح بغيره من التفسير بالمأثور كان على من يريد معرفة تفسير القرآن أن يسلك أحد أمور ثلاثة:

إما أن يأخذ بهذه الروايات التي لم يميز العلماء صحيحها من ضعيفها من غير نظر إلى إسنادها وهذا أمر فيه خطورة لما يترتب عليه- أحياناً- من كون بعض الآثار تحتوي على أمور لا يمكن التسليم بها كالطعن في بعض الأنبياء- عليهم السلام- أو الصحابة -ﷺ- أو مخالفة بعض أصول الشريعة، أو بُعد مدلول الأثر عن سياق الآيات.

وإما أن يترك هذه الروايات كلها نظراً إلى اختلاط صحيحها بضعيفها وعدم مقدرته على التمييز بينها، أو عدم توافر الوقت الكافي لمثل هذا البحث، ويأخذ بالترجيح بين كلام المفسرين من غير نظر إلى الروايات المروية عن الصحابة-ﷺ-، وهذا فيه خسارة كبيرة؛ لأنه يؤدي إلى تعطيل ثروة عظيمة من تراثنا الإسلامي، كما أن فيه تقديم آراء المتأخرين من المفسرين على أقوال الصحابة -ﷺ- والصحابة أقرب الناس عهداً بالتنزيل وقد سمعوا من رسول الله -ﷺ-.

وإما أن يبحث في أسانيد هذه الروايات ليميز بينها، وهذا أمر شاق لا يتصدى له إلا من تفرغ لمثل هذا البحث.

ولما كان عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- هو إمام المفسرين وترجمان القرآن اعتنى بتفسيره العلماء وكثرت النقول عنه، واستغل بعض المشتغلين بجمع التفسير شهرته فنسبوا إليه ما لم يقلهُ، وأصبح يروي تفسيره- أيضاً- بعض الضعفاء الذين وهموا في بعض ما رووا عنه.

وبهذا اختلط صحيح تفسيره بضعيفهِ واختلط ذلك أيضاً بما وُضع عليه مما لم يقلهُ كما اختلط تفسير غيره من الصحابة والتابعين.

وقـد أخـرج تفسير ابن عباس علماء التفسير الذين صرفوا هممهم لنقل تفسير السلف من الصحابة والتابعين وعلى رأسهم الإمام ابن جرير الطـبري وابـن أبي حاتم وعبد الرزاق الصنعاني. كما أخرج بعض علماء السنة أجزاءاً من تفسير ابن عباس[1].

وجـاء مـن بعـدهم وبينوا منها المعتمد عليها وغير المعتمد، ونحن نخص بالذكر الروايات الواردة عن ابن عباس.

عدد الروايات المعتمدة وغير المعتمدة عند المفسرين:

إن الناظـر إلى أقـوال ابـن عـباس الـتي تنسبها إليه كتب المفسرين يلمس فيها تناقضاً ظاهراً، والسبب في ذلك هو تسرب الخلل إلى ما روي عنه، وتطرق الضعف إليه إلى درجة كادت تفقدنا الثقة بكل ما روي عنه، حتى نقل عن الإمام الشافعي– رضي الله عنه– أنه قال:

لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث[2].

وهـذا القـول– إن صـح عـن الـشافعي– يدلنا على كثرة الوضع علـى ابـن عـباس وكثـرة ما نسب إليه من تفسير، مما جعل أئمة الحديث وعلمـاء الجـرح والتعديل يتثبتون من صحة الروايات المروية عنه، فتتبعوا أسانيدها، وبيّنوا العدول من رواتها والضعفاء والمقبول منها والمردود[3].

ومـن هـذه الطـرق الـتي اشـتهرت عـن ابـن عـباس– رضي الله عنهما–[4]:

---

[1] ينظر: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنّة ١/ ٢٧-٢٩.

[2] ينظر: الإتقان٤/ ٢٠٩.

[3] التفسير والمفسرون ١/ ٨٨.

[4] مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٤٣-٥٤.

١- طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس[(١)]:

وهي من الطرق الصحيحة على شرط الشيخين، وكثير ما يخرج منها الفريابي والحاكم في مستدركه[(٢)]، وأخرج منها الطبري في تفسيره عن سفيان الثوري وغيره[(٣)].

٢- طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس:

وهذه الطريق من السلاسل الذهبية، وقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره من هذه الطريق قليلا بوسائط بينه وبين الزهري[(٤)].

وأخرج منها -أيضاً- عبد الرزاق بن همام الصنعاني في تفسيره عن معمر[(٥)].

٣- طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس[(٦)]:

وهي جيدة وإسنادها حسن، وقد أخرج منها ابن جرير الطبري[(٧)]، وابن أبي حاتم كثيراً[(٨)] كما أخرج منها الطبراني في معجمه الكبير[(٩)].

٤- طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[(١)]:

---

(١) ينظر: التحبير في علم التفسير ص ١٥٦.

(٢) ينظر: الإتقان٤/ ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) ينظر: تفسير الطبري١/ ١١٩.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: ابن عباس ومدرسته في التفسير ص ١٤٨.

(٦) ينظر: الإتقان٤/ ٢٠٩، والتحبير ص ٣٣٢، والعجاب في بيان الأسباب ١/ ٢٠٤.

(٧) ينظر : تفسير الطبري١/ ١٣٣، ١٢٩.

(٨) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٣٩، وغيرها.

(٩) ينظر: الإتقان٤/ ٢٠٩.

وهـي من أجود الطرق عن ابن عباس، وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس[٢].

٥- طريق سعيد بن منصور عن نوح بن قيس عن عثمان بن محصن عن ابن عباس:

وهي من الطرق الجيدة عن ابن عباس- رضي الله عنهما-[٣].

٦- طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السُدّي الكبير[٤]:

جمـع التفـسير من طرق منها: عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن أبـي مالك عن ابن عباس، ويُورد ابن جرير كثيراً منها. أما ابن أبي حـاتم فلم يُورد منها شيئاً، لأنه التزم أن يُخرج أصح ما ورد، وقال الـسيوطي في (الإتقـان) نقـلاً عـن (الإرشـاد للخليلي): "رَوَى عن الـسدي الأئمـة مثل الثوري، وشُعبة لكن التفسير الذي جمعه رواه أسـباط بـن نـصر، وأسـباط لم يـتفقوا علـيه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السُدي"[٥].

وإذا رجعـنا إلى تفـسير الطـبري نـرى هذه الطريق من أكثر الطرق دورانـاً فـيه، وإن لم تكن أكثرها، فلا يكاد يخلو تفسير آية من رواية بهـذه الطـريق، وقـد عـرّض الطـبري نفسه بها، فبعد أن ذكر خبراً سـاق إسـناده بهـذه الطـريق قـال: "فإن كان ذلك صحيحاً، ولست أعلمـه صـحيحاً، إذ كـنت بإسـناده مـرتاباً، ولم يُبين علّة ارتيابهِ في

(١) ينظر: العجاب ١/٢٠٦.

(٢) ينظر: السابق ٤/٢٠٩.

(٣) ينظر: التحبير ص ٣٣٢.

(٤) ينظر: العجاب ١/٢١١.

(٥) الإتقان٤/٢٠٨.

إسناده، وهو مع ارتيابه قد أكثر من الرواية به، لكنه لم يجعلها حجة قط[1].

٧- طريق الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة ، عن ابن عباس[2]:

وهي من الطرق الجيدة.

٨- طريق عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس:

قال عنه ابن حجر: "وفيه لين، روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تفسيراً رواه عنه ابن لهيعة وهو ضعيف"[3].

٩- طريق شبل بن عباد المكّي، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس[4]:

وهي قريبة إلى الصحة، ويروي التفسير عنه- أي عن ابن عباس- من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، والطريق إلى ابن أبي نجيح قوية[5].

١٠- طريق عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس:

وهي من الطرق الصحيحة، فقد قال عنها ابن حجر: "ومن طريق ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس، لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران، وما عدا ذلك يكون عطاء هو الخراساني، وهو

---

(١) ينظر: ابن عباس ومدرسته في التفسير ص ١٥٣.

(٢) ينظر: العجاب ١/ ٢٠٤.

(٣) العجاب ١/ ٢١٣.

(٤) ينظر: الإتقان ٤/ ٢٠٨.

(٥) ينظر: السابق ١/ ٢٠٤.

لم يسمع من ابن عباس، فيكون منقطعاً، إلا إن صرح ابن جريج بأنه عطاء بن أبي رباح[1].

ومع ذلك فهذه الطريق تحتاج إلى تثبت ودقة في البحث لمعرفة صحيحها وضعيفها؛ لأن ابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع، وإنما روى ما ذكر في كل آية عن الصحيح والسقيم[2].

وروى عن ابن جريج جماعة كثيرة منهم:

أ- بكر بن سهل الدمياطي، عن عبد الغني بن سعيد، عن موسى بن محمد، عن ابن جريج عن ابن عباس، وهذه أطول الروايات عنه وفيها نظر[3].

ب- وروى الحجاج بن محمد، عن ابن جريج نحو جزء صحيح ومتفق عليه[4]. وقد أخرج ابن جرير في تفسيره منها، عن ابن عباس كثيراً[5].

ج- وروى محمد بن ثور، عن ابن جريج، عن ابن عباس نحو ثلاثة أجزاء كبار[6]. وروى عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن ابن عباس، وهذه الطريق ضعيفة؛ لأن أباه لم يسمع من ابن عباس[7].

---

(١) نفسه ١/٢٠٨.

(٢) ينظر: الإتقان ٤/٢٠٨.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٩٣.

(٦) ينظر: الإتقان٤/٢٠٨.

(٧) ينظر: العجاب ١/ ٢١١.

كما روى موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني من هذه الطريق، وهي واهية.

كما أخرج عبد الرزاق في تفسيره عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كثيراً[1].

١١- طريق العوفي، عن ابن عباس:

وهـي طـريق غـير مرضية، يقول السيوطي: أخرج منها ابن جرير، وابـن أبـي حـاتم كـثيراً، والعوفي ضعيف ليس بواهٍ، وربما حسّن له الترمذي[2].

وأخـرج مـنها ابـن أبـي حـاتم كثيراً بهذا الإسناد: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس[3].

١٢- طريق الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس:

وهي طريق غير مرضية لأنها منقطعة، فالضحاك لم يلق ابن عباس، فـإن انـضم إلى ذلـك روايـة بـشر بـن عمـارة، عن أبي روق عنه، فضعيفة لضعف بشر، وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابن جرير، وابن أبي حاتم[4].

وهـناك طـريق جـو يبر عن الضحاك، عن ابن عباس[5]، فهي أشد ضـعفاً، لأن جو يبر شديد الضعف متروك، ولم يخرج ابن جرير من

---

(١) ينظر: ابن عباس ومدرسته في التفسير ص ١٥٦.

(٢) الإتقان٤/ ٢٠٩.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٤٤.

(٤) السابق.

(٥) ينظر: العجاب ١/ ٢١١.

هذه الطريق شيئاً ولا ابن أبي حاتم وإنما أخرجها ابن مردو يه، وأبو الشيخ ابن حبان[1].

١٣- طريق مقاتل بن سليمان عن ابن عباس:

قال عنه الشافعي: إن الناس عيال عليه في التفسير[2].

وروى تفسير مقاتل هذا عنه أبو عصمة نوح بن أبي مريم الجامع، وقد نسبوه إلى الكذب أيضاً، ورواه عن مقاتل الحكم بن هذيل وهو ضعيف، ولكنه أصلحُ حالاً من أبي عصمة[3].

ويقول السيوطي أيضاً: إن الكلبي يفضّل عليه لما في مقاتل من المذاهب الرّديّة[4].

١٤- طريق محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس:

وهي من أوهى الطرق عن ابن عباس، فإن انظم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السُّدِّي الصغير فهي سلسلة الكذب، وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي. وقال ابن عدي في الكامل: للكلبي أحاديث صالحة وخاصة عن أبي صالح، وهو معروف بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه، ولا أشبع[5].

والكلبي اتهموه بالكذب، وقد مرض، فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب، ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد ضعفاً وهو محمد بن مروان السُّدِّي

---

(١) ينظر: السابق.

(٢) ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٦٧.

(٣) ينظر: الإتقان٤/ ٢٠٩.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

الصغير، ورواه عن محمد بن مروان مثله أو أشد ضعفاً وهو صالح بـن محمد الترمذي، وممن روى التفسير عن الكلبي من الثقاة سفيان الثوري، ومحمد بن فضيل بن غزوان[1].

١٥- طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني:

وهو ضعيف يروي التفسير عن أبيه،عن عكرمة، وإنما ضعفوه لأنه؛ وصـل كثيراً من الأحاديث بذكر ابن عباس، وقد روى عنه تفسيره عبدُ بن حميد[2].

١٦- طريق إسماعيل بن أبي زياد الشامي:

وهـو ضـعيف جمـع تفـسيراً كـبيراً فـيه الصحيح والسقيم، وهو في عصر أتباع التابعين[3].

هـذه أشـهر الطـرق الـتي وصـل إليـنا التفـسير عـن طريقها فمنها الـصحيح ومـنها الـسقيم، وحتـى يُعـرف مدى صحة الأقوال عنه تطـرقنا إلى هـذا البسط في الروايات ليتميز الصحيح من الموضوع، ويـبدو أن الـسر في كثـرة الوضع على ابن عباس ينحصر في أمرين هما:

١- أن ابـن عـباس كـان مـن بـيت نـبوّة، والوضع عليه يُكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما لو وضع على غيره.

٢- أن ابـن عباس كان من نسلهِ الخلفاء العباسيون، وكان الناس يتزلّفون إليهم ويتقربون منهم بما يروون لهم عن جدهم[1].

---

(١) العجاب ١/ ٢١٠.

(٢) نفسه ص ١/ ٢١٣.

(٣) العجاب ١/ ٢١٣.

الإسرائيليات في أقوال ابن عباس بين القبول والرد:

ومن الأمور التي أخذت على تفسير ابن عباس هو أخذه عن الإسرائيليات ، فقد كان- رضي الله عنه- يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع التي أجملت في القرآن وفصّلت في التوراة أو الإنجيل، ولكن رجوعه إلى أهل الكتاب كان في دائرة ضيقة محدودة، تتفق مع القرآن وتشهد له، أما ما عدا ذلك مما يتنافى و القرآن، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية، فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به. ولا أدل على ذلك إلا رده العنيف على من توسّع في الأخذ عنهم، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس قال: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم -ﷺ- أحدث الأخبار بالله محضاً لم يُشِب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا ما كتب الله وغيروا، فكتبوا بأيديهم، قالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أوَ لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[2].

فهذا الأثر رد قوي على من زعم أن ابن عباس كان يتوسّع في الأخذ عن أهل الكتاب، وقد علمَ- رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قد نهى عن ذلك فقال: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم" فكيف به يُخالف أمر نبيه-ﷺ- ويتوسع في ذلك؟! لكن العكس صحيح فقد التزم قول النبي-ﷺ-: "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا

---

(1) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ٨٩.

(2) البخاري كتاب الشهادات باب رقم (٣٩) حديث رقم (٢٦٨٥)، وكتاب الاعتصام باب (٢٥) حديث (٧٣٦٣)، وكتاب التوحيد باب (٤٢) حديث (٧٥٢٣).

حرج، وهذا هو الذي نُقلَ إلينا من أقوال أهل العلم بأنه أخذ عن أهل الكتاب، ولكن ليس بالصورة التي دخل بها جولدزيهر وتابعه أحمد أمين في أن الإسرائيليات تُعد مصدراً من مصادره[1]، فكيف نقول بما ورد من قوله ونهيهِ أصحابه عن ذلك؟!.

وإذا ثبت أنه كان يسأل كعب الأحبار وأمثاله، فهذا محمول على أنه كان يحب الاضطلاع على ما عندهم لا على أنه كان يعتمد عليه في تفسير كتاب الله[2].

فقد أغناه الله بعلم غزير وفهم ثاقب، ولا يحتاج إلى أخبار مذبذبة بين التصديق والتكذيب، فضلاً عن أنها لا تُسمن ولا تُغني من جوع، وكتاب الله أحدث الأخبار فيه نبأ الأولين وخبر الآخرين.

والناظر المتفحص للأثر الوارد عنه في النهي عن الأخذ عن أهل الكتاب يُغنيه في رد التُهمة ولا يُبالي[3].

ومن حيث اعتماد هذه الروايات، فإنها تخضع عموماً لقواعد القبول والرد والنظر في الأسانيد، فإن صحت النسبة إليه يُنظر إلى أي الأخبار أخذ، فإن كانت:

١- مما يوافق شرعنا فهذا لا ضير فيه.

٢- وإن كانت مما يعارض شرعنا فهذا مردود ولا كرامة، ولا أظنه يثبت عن ابن عباس أنه أخذ عن أهل الكتاب مثل هذا.

---

(١) ينظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٧٩.

(٢) ينظر: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ١/١٨.

(٣) ولمزيد من المعرفة نحيل إلى كتاب الإسرائيليات لمحمد حسين الذهبي– رحمه الله– فقد فصّل القول في ذلك وفنّد الشُبهات، ورد عليها رداً جميلاً. ينظر: السابق ص ٧٨-٨٢.

٣- وإن كان مما سكت عنه الشرع فلا يُعارض خبراً صحيحاً في الكتاب والسنّة، فرواية مثل هذا مباح الأخذ به لحديث النبي-ﷺ-: "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

المبحث الثاني

الآثار العلمية المنسوبة إلى ابن عباس

(دراسة تحليلية)

وصلت إلينا عن ابن عباس آثار علمية مفرقة في كتب التراجم والتاريخ والتفسير وبعضها مجموع على هيئة كتب مستقلة. ولم يصل إلينا إلا ما بأيدينا من أقوال متناثرة، وكتب قليلة صح بعضها وضعف الآخر والسبب في ذلك يرجع إلى أن أصحاب هذه الكتب لم يلتفتوا إلى مسألة هذه النسبة، وتركوا الأمر إلى الباحثين والدارسين الذين تتبعوا تاريخ التفسير ودرسوا أعلامه ومذاهبه. فقد شك معظم الباحثين بهذه النسبة ودفعهم إلى ذلك بضعة أسباب:

أولها: أن ابن عباس لم يسلم من الوضع عليه بوصفه حجة المفسرين الأوائل، وأن في عزو هذه التفسيرات إليه ما يمنح التفسير أهمية خاصة ويخدم أغراضاً متأخرة متعددة.

ثانيها: أن معظم طرقه النقلية ضعيفة أو منقطعة، وأن الإمام الشافعي ذكر أنه "لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث".

ثالثها: التناقض في النصوص المروية عنه واضطرابها، وتدني مستواها التفسيري والأسلوبي، بما يَسْفُلُ عن منزلة ترجمان القرآن وحبر الأمة.

وتلبث بعض الناقدين في هذه المسألة فذكروا أن لابن عباس تفسيرات كثيرة تربو على ألف رواية عند الطبري من طريق علي بن أبي طلحة، إضافة إلى الكتب التي نسبت إليه كالتنوير وغيره.

والباحث المدقق يميز بوضوح بين التفسير الذي كتبه ابن عباس بنفسه أو أملاه على تلاميذه وبين التفسيرات التي ينسبها إليه غيره. وهذه التفسيرات جميعاً يُمكن أن يُعاد تكوينها في كتاب خاص بابن عباس، لكن بشرط التخفيف فيها ومقابلة النصوص وغربلتها[1]، كما فعل الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي الذي جمع تفسير ابن عباس في كتاب سماه "تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة"، وهذا الكتاب خطوة سديدة في هذا الجانب ولكن ينقصه الكثير، وهذه مهمة الباحثين من بعده ليكملوا النقص، ويظهروا لنا مرويات ابن عباس الصحيحة في التفسير ويجمعوها في كتاب واحد ليحصل النفع الكثير.

وفي بحثنا هذا نتناول ما نسب إلى ابن عباس من كتب علمية ونوضّح ما صح منها وما لم يصح:

أولاً: صحيفة علي بن أبي طلحة[2]:

إن هذه الصحيفة التي رواها علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس– رضي الله عنهما– تُعد من أقدم الروايات التي وصلت إلينا عنه في تفسير

---

(1) ينظر: صلة ابن عباس بكتاب "تنوير المقباس"، فخر الدين قباوة ومحمود الصغير، مجلة بحوث جامعة حلب، ص (٧٠)، العدد (١٦)، ١٩٨٩م (بتصرف).

(2) ينظر: البحث الذي كتبهُ محمد كامل حسين في مقدمة معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي.

القرآن الكريم. ولعل أقدم هذه النصوص التي تُعَرِّف بهذه الصحيفة ما نقل إلينا عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً[1].

ورجال السند في هذه الصحيفة هم:

عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، والمتتبع سلسلة الرواية عن علي بن أبي طلحة في تفسيره يمكن حصرها في سبع طرق منها طريقان شائعان عند ابن جرير، ويردان بكثرة في تفسيره وهما:

١- طريق المثنى بن إبراهيم، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

٢- طريق علي بن داود، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

أما باقي الطرق فهي غير شائعة في تفسيره ولا تتجاوز بعض المرويات المتفرقة ومنها:

طريق يحيى بن عثمان السهمي، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن علي، عن ابن عباس[2].

---

(١) الإتقان٢/ ٢٠٧.

(٢) ينظر: مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٣١.

ترجمة رجال سند الصحيفة:

(أ) علي بن أبي طلحة الهاشمي، والتي عُرفت الصحيفة باسمه[1].

قال صاحب التقريب في ترجمته: أرسل عن ابن عباس ولم يَرَهْ، من السادسة، صدوق قد يُخطئ ..."[2].

وقال صاحب تحرير التقريب فيه: بل: صدوق حسن الحديث، لكن روايته عن ابن عباس، وكعب بن مالك منقطعة، فقد وثقه العجلي، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو داود: هو إن شاء الله في الحديث مستقيم، ولكن له رأي سوء؛ كان يرى السيف (أي: الخروج على أئمة الجور)، وقال يعقوب بن سفيان: وروى شعبة وحماد بن زيد، عن بديل بن ميسرة، عن علي بن أبي طلحة وهو ضعيف الحديث ليس بمحمود المذهب.

قلنا: قد تبين أن ضعفه إنما كان بسبب المذهب، وهو غير قادح فيه، لا سيما في الخروج على أئمة الجور، فقد خرج أكابر المحدثين مع عبد الرحمن بن الأشعث، وما تكلم فيهم أحد إلا بعض المتأخرين. وقد احتج به مسلم في صحيحه[3].

أما عن روايته هذه الصحيفة، عن ابن عباس– رضي الله عنهما– فقد اختلف العلماء في الواسطة بينهما، فتارة يذكرون أن بينهما مجاهداً وعكرمة أي: أن سلسلة الرواية هي: علي بن أبي طلحة، عن مجاهد، عن ابن عباس أحياناً، وعلي بن أبي طلحة، عن عكرمة أحياناً أخرى[4].

---

(١) ينظر: مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٣١.

(٢) تقريب التهذيب ت (٤٧٨٨).

(٣) تحرير التقريب ت (٤٧٥٤).

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٣،١٤ نقلاً عن مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٢٥.

ويذكـر ابن حبان في "الثقات"، فيقول: "روى عن ابن عباس الناسخ والمنسوخ ولم يره"[1].

ويروي أبو حاتم، عن دحيم: "لم يسمع علي بن أبي طلحة من ابن عـباس التفسير، كما يروي المزي، عن يعقوب بن إسحاق عندما سـأل صـالح بـن محمـد، عـن علـي بـن أبـي طلحـة: "ممن سمع التفسير"؟ قال: من لا أحد!"[2].

وهـؤلاء يُجمعـون علـى أن علـي بن أبي طلحة لم يأخذ التفسير سماعاً عن ابن عباس، وهذا يدفعنا إلى افتراض القول بأن تكون هـذه الـصحيفة إحـدى الصحائف التي كتبها ابن عباس، وكانت تنـسخ وتـروى بعـد ذلـك، فتذكـر الروايات أن ابن عباس كان يُكثر من الكتابة حتى خلف وراءه كتباً كثيرة[3].

وقـد كانـت كتابته بـيده إمـا لنفـسه وإمـا إمـلاءً علـى تلامـيذه كمجاهد، فمن الأول ما روي عن عبيد الله بن أبي رافع أنه قال: "كـان ابـن عباس يأتي أبا رافع فيقول: ما صنع رسول الله -ﷺ- يـوم كـذا؟ مـا صنع رسول الله -ﷺ- يوم كذا؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها"[4]. ومن الثاني ما روي عن ابن أبي مُليكة قال: رأيـت مجاهـداً سـأل ابـن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتى سأله عن التفسير كله[5].

---

(1) الثقات ٧/ ١٩٨١.

(2) ينظر: تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٩١.

(3) ينظر: مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٢٦.

(4) تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ٩١-٩٢.

(5) تفسير الطبري ١/ ٦٥، و مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ٢٨.

فحصل لابن عباس ثروة كبيرة مما كتبه عن الصحابة، فقد رُوي عن موسى بن عقبة، أنه قال: "وضع عندنا كُريب حمل بعير من كتب ابن عباس. فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه: ابعث إليّ بصحيفة كذا وكذا فينسخها ويبعث بها"[1].

ومن ثم يمكن أن يكون علي بن أبي طلحة قد أخذ هذه الصحيفة ورواها عن ابن عباس من غير أن يلقاه أو يسمعها منه، وهذا ما يُسمّى في علم مصطلح الحديث "بالوجادة"[2].

قال ابن الصلاح: "ومثال الوجادة أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه، أو لقيه ولكن لم يسمع منهُ ذلك الذي وجده بخطه، ولا له منهُ إجازة ولا نحوها، فلهُ أن يقول: وجدتُ بخط فلان، أو قرأتُ بخط فلان، أو في كتاب فلان بخطه: أخبرنا فلان بن فلان "ويذكر شيخهُ ويسوق سائر الإسناد والمتن معاً"[3].

ورأى ابن الصلاح جواز العمل اعتماداً على ما يوثق به منها، فقد روى عن بعض المالكية أن معظم المحدثين والفقهاء من المالكيين وغيرهم لا يرون العمل بذلك. وحكى عن الشافعي وطائفة من نظار أصحابه جواز العمل به[4].

---

(1) ينظر: السابق ص ١٣٦.

(2) ينظر: مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٢٦.

(3) ينظر: مقدمة ابن الصلاح في "علم الحديث" ص ١٥٨.

(4) ينظر: مقدمة ابن الصلاح في "علم الحديث" ص ١٥٨.

وخلاصة ذلك أنه يمكن القول: إن التفسير الذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقد رواه علي بن أبي طلحة، عنه بطريق الوجادة[1].

(ب) **معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي، قاضي الأندلس، روى عن علي بن أبي طلحة ويحيى بن سعيد الأنصاري، وغيرهم**[2].

قال في التقريب: "...صدوق له أوهام ..."[3].

وقال في التحرير: "بل: ثقة، وثقه الأئمة: أحمد بن حنبل، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو زرعة، والعجلي، والنسائي، وابن سعد، والترمذي، والبزار واختلف فيه قول ابن معين، فروي عنه أنه قال: ثقة، وقال مرة أخرى: صالح، وقال مرة: ليس برضي، وقال مرة: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه. ويتبين من دراسة ترجمته أن يحيى بن سعيد وحده الذي ضعفه، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، حسن الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الترمذي: "معاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث، ولا نعلم أحداً تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان" وقال ابن عدي: "ولمعاوية بن صالح حديث صالح، عند ابن وهب عنه كتاب، وعند أبي صالح عنه كتاب، وعند ابن مهدي ومعن عنه أحاديث عداد، وحدث عنه الليث، وبشر بن السري، وثقات الناس، وما

---

(1) ينظر: مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٢٧.

(2) ينظر تفاصيل ترجمته في: تهذيب الكمال ١٨٦/٢٨.

(3) تقريب التهذيب ت (٦٨١٠).

أرى بحديثه بأساً، وهو عندي صدوق إلا أنه يقع في أحاديثه أفرادات، ومعلوم أن يحيى بن سعيد من المتعنتين جداً"[1].

(ج) عبد الله بن محمد بن مسلم الجهني المصري، كاتب الإمام الليث بن سعد على أمواله[2].

قال في التقريب: "...صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة .."[3].

وقال في تحرير التقريب: "بل: صدوق، في حفظه شيء، حسن الحديث في المتابعات، فقد وثقه عبد الملك بن شعيب بن الليث، وابن معين، وأبو هارون الخربي، وكان أبو حاتم الرازي حسن الرأي فيه، يدافع عنه، وقال أبو زرعة الرازي: حسن الحديث. وضعّفه النسائي وعلي ابن المديني وابن حبان وأبو أحمد الحاكم وغيرهم"[4].

مكانة الصحيفة عند العلماء:

حصلت صحيفة علي بن أبي طلحة فيما رواه عن ابن عباس، قبولاً بين العلماء الأثبات، فقد روى البخاري أكثرها في صحيحه، وإن كان يحذف سندها ويروي معلّقاً عن ابن عباس فيقول: قال ابن

---

(1) تحرير التقريب ت (٦٧٦٢).

(2) ينظر تفاصيل ترجمته في: تهذيب الكمال ١٥/٩٨.

(3) تقريب التهذيب ت (٣٤٠٩).

(4) تحرير التقريب ت (٣٣٨٨).

عباس...، ويوجه النظر إلى أن البخاري لم ينقل كل ما في الصحيفة، فكل الـذي نقلـه مـنها، هـو مفردات غريب القرآن، لا كما توهم السيوطي في الإتقـان، مـن أن مـا نقلـه الـبخاري هـو كمـا في صـحيفة علـي بن أبي طلحة[1].

وقـد فطـن لـذلك الأستاذ محمـد فـؤاد عبد الباقي في أثناء جمعهِ مفـردات غريب القرآن من صحيح البخاري، فقال: إن الإمام البخاري لم يـروِ في صـحيحه كـل الـصحيفة وإنمـا روى ما يتعلق بشرح معنى اللفظ الغـريب فقط، وليُعلَم أيضاً أن ما رواه من شرح اللفظ الغريب ليس كله مما جاء بالصحيفة، فقد روى كثيراً عن غير ابن عباس[2].

كمـا اسـتفاد مـن هذه الصحيفة أبو حاتم الرازي، فروى عن عبد الله بن صالح كثيراً منها، ورواها عنه ابنه عبد الرحمن في تفسيره[3].

أمـا ابـن جرير الطبري، فلم يأخذ هذه الصحيفة عن عبد الله بن صـالح مباشـرة وإنمـا أخـذها مـن الـذين رووهـا عن عبد الله بن صالح ومـنهم علي بن داوود والمثنى بن إبراهيم، وأورد الطبري في تفسيره كثيراً من هذه الصحيفة إن لم يكن أوردها كاملة[4].

وهـناك كـثير مـن العلماء أفادوا من هذه الصحيفة فنقلوا عنها- وإن تفـاوت حظهـم في هـذا الـنقل بـين مقـلٍ ومكثر- منهم: البلاذري، والآجـري، وأبـو الـشيخ الأصـبهاني، وأبـو القاسم السهمي، والبيهقي،

(1) ينظر: مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٢٩.

(2) مقدمة معجم غريب القرآن ص (ج،ي).

(3) ينظر: السابق.

(4) نفسه.

والبغوي، وهو آخر من نقل عن هذه الصحيفة بالإسناد الموصل إلى علي بن أبي طلحة.

كما يورد منها أبو جعفر النحاس، بعض المرويات في الناسخ والمنسوخ وفي القطع والائتناف ((الوقف والابتداء))، ويرويها عادة عن بكر بن سهل الدمياطي، من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس[1].

وقد تناول العلماء هذه الصحيفة بالثناء عليها إجمالاً، فقد ثبت عن أحمد بن حنبل أنه قال: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً[2]. ويقول الذهبي في ((الميزان)): روى معاوية بن صالح عنه- يعني علي بن أبي طلحة- عن ابن عباس تفسيراً كثيراً ممتعاً[3].

أما من حيث الإسناد فجل ما قيل فيها إن هذه الطريق منقطعة ما بين علي بن أبي طلحة وابن عباس، فإن علياً لم يلقَ ابن عباس، لكن علياً أخذ عن ثقات أصحاب ابن عباس كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة.

ويرد الحافظ ابن حجر على من زعم الانقطاع، فيقول: بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك[4].

ويدافع أبو جعفر النحاس عن صحة هذا الإسناد، فيقول والذي يطعن في إسناده يقول: إن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير

---

(1) ينظر: مقدمة معجم غريب القرآن ص (ج،ي).

(2) الإتقان ٢/ ٢٠٧.

(3) ميزان الاعتدال ٣/ ١٣٤.

(4) السابق.

وإنما أخذ عن مجاهد وعكرمة، وهذا القول لا يُوجب طعناً لأنه أخذه عن رجلين ثقتين، وهو في نفسه صدوق[1].

فالملاحظ أن مُجمل الآراء تدور في عدم قبول هذا الإسناد من حيث الانقطاع، والمثبتون يرونَ أنه لا يضر الانقطاع بمعرفة الواسطة، فإذا كان دوران هذا الخلاف في الانقطاع دونَ ذكر أي طعن في الرواة لإسقاط سند الصحيفة، فكأنهم قد ارتضوا هذه الطريق لهذه الصحيفة وعدوها من أحسن الطرق عن ابن عباس في التفسير وعليه الأئمة الحفاظ، كالبخاري فيما يعلقهُ عن ابن عباس في التفسير، وابن أبي حاتم وابن جرير الطبري وغيرهم.

سمات هذه الصحيفة:

تعد صحيفة علي بن أبي طلحة من أهم مصادر الدرس اللغوي عند ابن عباس، وهي ثروة ثمينة بما تحويهِ من تفسير للألفاظ الغريبة التي وردتْ في القرآن الكريم، وهي ترسم لنا صورة واضحة لما كان يتمتع به ابن عباس من فهم عميق لأسرار العربية الأمر الذي مكنّهُ من الاعتماد عليها في فهم القرآن فهماً صحيحاً.

ولا يقتصر ما وجد في هذه الصحيفة على تفسير المفردات الغريبة تفسيراً لغوياً موجزاً بسيطاً، بل يتعدى إلى شرح المفردات اللغوية إلى جانب آخر من التفسير فضلاً عن بعض الأحكام الفقهية التي استنبطها ابن عباس من القرآن، كما تذكر لنا المرويات أسباب نزول الآيات، والناسخ والمنسوخ منها، وكذلك اجتهادات ابن عباس وآرائه التي تظهر

---

(1) ينظر: الناسخ والمنسوخ نقلاً عن مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٤٦.

في مُجملـها مكانـة ابـن عباس مفسراً مثالياً، كما تظهر لنا تكامل تفسيره الذي رواه علي بن أبي طلحة عنه[١].

أمـا مـا نقلـهُ الإمـام البخاري في كتاب التفسير من صحيحهِ عن هـذه الـصحيفة مـن شـرح معنى اللفظ الغريب، فلم يكن نقله للصحيفة كاملاً، وإنما اقتصرَ على بعض المرويات من هذه الصحيفة[٢].

وقـد وهـم السيوطي في الإتقان أن ما نقله البخاري هو كل ما في صـحيفة علـي بن أبي طلحة، فقال : وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه، فإنه وُرد عنهم ما يستوعب تفسير غـريب القـرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة، وها أنا أسوقُ هنا ما وردَ من ذلـك، عـن ابـن عـباس من طريق علي بن أبي طلحة خاصة فإنها أصح الطرق عنه وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتباً على السور[٣].

ولإثـبات شمـول الـصحيفة لجوانب التفسير نضرب الأمثلة على ذلك:

فمـن أمـثلة مـروياته في أسباب النزول ما قاله في قوله تعالى: ﴿يَآأَيُّهـا الَّـذِيْنَ آمَـنُوْا كُـتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِيْ الْقَتْلَى الحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى ...﴾ [البقرة/ ١٧٨].

وذلـك أنهـم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة، ولكن يقتلون الرجل بالـرجل والمـرأة بالمرأة، فأنزل الله تعالى: ﴿النفسَ بالنفسِ والعينَ بالعينِ﴾ فجعل الأحرار في القصاص سواء فيما بينهم في العمد رجالهم ونساؤهم،

---

(١) ينظر: مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٣٤.

(٢) ينظر: مقدمة معجم غريب القرآن ص (ج،ي).

(٣) الإتقان٢/ ٥.

في الـنفس ومـا دون النفس، وجعل العبيد مستوين فيما بينهم من العمد، وفي النفس وما دون النفس رجالهم ونساؤهـم[1].

ومـن أمـثلة مـا رواه في الناسـخ والمنـسوخ، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة/ ٢٢١]. قال: ثم استثنى نساء أهل الكتاب، فقال جل ثناؤه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة/ ٥][2].

ومـن أمـثلة مـا رواه في الأحكـام، ففـي قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة/ ١٩٦]. يقول: من احرم بالعمرة في أشهر الحج فما استيسر من الهدي[3].

أمـا أشهر الحج في قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة/ ١٩٧]. فـيقول: وهنَّ شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، جعلهنَّ الله سبحانهُ وتعالى للحج وسائر الشهور للعمرة، فلا يصح أن يُحرم أحد بالحج إلا في أشهر الحج، والعمرة يُحرم بها في كل شهر[4].

فهـذه الأمثلة تثبت أن صحيفة علي بن أبي طلحة لم تقتصر على شـرح الألفاظ الغريبة فقط، وإنما تعدت إلى تفسير الأحكام وتبين أسباب النـزول وتُوضّـح الناسـخ والمنـسوخ، واعـتمادها على المأثور وعلى وفق قـواعد كـلام العـرب وهـذا هـو التفـسير المعتد به عند العلماء، قال ابن خلـدون في مقدمـته: إن التفسير صار على صنفين: تفسير نقلي مسند إلى

(١) تفسير الطبري ٢/ ١١٠.
(٢) نفسه ٢/ ٣٨٨.
(٣) نفسه ٢/ ٢٥٥.
(٤) نفسه ٢/ ٢٦٨.

الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي، وكل ذلك لا يُعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين ..."[1].

فهل نستطيع إذن أن نقول: إن صحيفة علي بن أبي طلحة فيما يرويه عن ابن عباس، هي أول تفسير مدوّن جامع لآيات القرآن، ومرتب على وفق ترتيب المصحف؟[2].

إن الإجابة عن ذلك تحتاج إلى نظر دقيق في الأدلّة المثبتة التي تُشير إلى تحديد أول تفسير مدوّن يفسر القرآن كله مرتباً حسب السور، وقد تأنى الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه 'التفسير والمفسرون' ولم يقطع في المسألة، فقال: ليس من السهل معرفة أول من دوّن تفسير كل القرآن مرتباً[3].

لكن ابن النديم ذكر في كتابه 'الفهرست' قول أبي العباس ثعلب في سبب تأليف الفراء لكتابه 'معاني القرآن'، فقال: إن عمر بن بكير كان من أصحابه- يعني الفراء- وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل فكتب إلى الفراء أن الأمير الحسن بن سهل ربّما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحظرني فيهِ جوابٌ فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت، فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرأ بالناس في الصلاة، فالتفت إليه الفراء فقال له:

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص ٣٥.

(2) مقدمة صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٣٥.

(3) التفسير والمفسرون ١/ ١٥٣.

اقرأ بفاتحة الكتاب نفسّرها ثم نوفي الكتاب كله، فقرأ الرجل، ويُفسر الفراء، قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله مثله ولا أحسبُ أن أحداً يزيدُ عليه[1]. فكأنه أقر بذلك. فتعقبه الذهبي بقوله: فهل نستطيع أن نستخلص من ذلك أن الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، هو أول من دوّن تفسيراً جامعاً لكل آيات القرآن مرتباً على وفق ترتيب المصحف؟ فأجاب بقوله: لا[2].

ولعل أبا العباس ثعلباً لم يقصد بقوله: لم يعمل أحد قبله مثله، ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه أنه أول من دوّن التفسير، وإنما هو من باب إبداعه في تأليفه لا من باب ابتدائه في التأليف، وعلى فرض إرادته الابتداء، إنما هو على سبيل معرفته بما وصل إليه من مؤلفات في هذا الباب، وإلا فالأدلة تنقضُ هذا الادعاء، منها، ما ذكره الحافظ ابن حجر في ترجمته عطاء بن دينار، قال: قال علي بن الحسن الهسنجاني، عن أحمد بن صالح: عطاء بن دينار، من ثقات المصريين، وتفسيره فيما يروي عن سعيد بن جبير صحيفةً، وليس له دلالة على أنه سمع من سعيد بن جبير، وقال أبو حاتم: صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان، وكان عبد الملك بن مروان يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه، فأرسله عن سعيد بن جبير[3].

فهذا صريح في أن سعيد بن جبير- رضي الله عنه- جمع تفسير القرآن في كتاب، وأخذه من الكتاب عطاء بن دينار، ومعروف أن سعيد

---

(1) الفهرست ص ٩٩.

(2) السابق ١/ ١٥٤.

(3) تهذيب التهذيب ٧/ ١٧٩.

بن جبير قتل سنة ٩٤ أو سنة ٩٥ هـ، على الخلاف في ذلك، ولا شك أن تأليفه هذا كان قبل موت عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ٨٦ هـ[١].

وفي وفيات الأعيان: أن عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة، كتب تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري[٢]. ومعلوم أن الحسن توفي سنة ١١٦هـ[٣].

وبعد ذلك قال الذهبي- رحمه الله-: نستطيع أن نقول: إن الفراء لم يسبق إلى هذا الاستيفاء والتقصي، بل هو مسبوق بذلك وإن كنا لا نستطيع أن نعين من سبق إلى هذا العمل على وجهِ التحقيق ولو أنهُ وقع لنا كل ما كتب من التفسير من مبدأ عهد التدوين. لأمكننا أن نعين المفسر الأول الذي دون التفسير على هذا النمط[٤].

أقول: إذا كان الذهبي- رحمه الله- قد حار في تعيين أول تفسير متكامل، ونقض قول أبي العباس ثعلب في زعمهِ أن معاني القرآن هو أول تفسير، فلعمر الله لماذا لا يجزم أن صحيفة علي بن أبي طلحة- مع اعتقاده بصحة نسبتها إلى ابن عباس- هي أول تفسير متكامل حتى يأتي ما ينقض ذلك بالدليل؟ وإلا فليبقَ السبق لهذه الصحيفة في التفسير، مع اعتقادنا أن ابن عباس قد أملى تفسيراً متكاملاً من فاتحة الكتاب حتى خاتمتهِ لأحد تلاميذه وهو مجاهد، والأثر في ذلك صحيح كما أورده ابن جرير في تفسيره بسنده عن ابن أبي مليكة، قال: رأيت مجاهداً يسأل ابن

---

(١) ينظر: تهذيب التهذيب ١/ ١٤٤.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان ٣ / ٤٦٢.

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون ١ / ١٥٥.

(٤) نفسه.

عـباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتى سأله عن التفسير كله[1].

ولعـل الـذي كتبه مجاهـد هـي الصحيفة التي رواها علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بطريق الوجادة، والعلماء يثبتون أن الواسطة مجاهد أو سـعيد بن جبير أو عكرمة، فالمهم أن هناك تفسيراً كتبه ابن عباس بيده أو أمـلاه علـى تلامـيذه تمثل بأيدينا في صحيفة علي بن أبي طلحة، وهو أول مؤلف في التفسير ويبقى الأمر هكذا حتى ينقض بمثله.

ثانياً: سؤالات نافع بن الأزرق:

تنـسب هـذه الـسؤالات إلى ابـن عـبا س قدمها نافع بن الأزرق ممتحـناً ابـن عباس فيها لما ظنه أنه يجترئ على كتاب الله بما لاعلم لهُ فيه، فألقـى علـيه نحواً من مائتي مسألة يسأل فيها عن غريب القرآن مطالباً ابن عـباس بـشاهدٍ مـن شـعر العرب ليؤكد صدق ما ادعاه أن هذه المفردات عربية.

وقـد أخـرج بعـضها ابن الأنبا ري في كتاب الوقف والابتداء[2]، والطبراني في معجمه الكبير[3].

وقـد ذكـر السيوطي في الإتقان بسنده مبدأ هذا الحوار الذي كان بين نافع وابن عباس، فقال:

---

(1) تفسير الطبري ١/ ٦٥.

(2) ينظر: الإتقان ٢/ ٥٥.

(3) ينظر: معجم الطبراني الكبير ١٠/٢٤٨ برقم (١٠٥٩٧).

أخبرني أبو عبد الله محمد بن علي الصالحي بقراءتي عليه عن أبي إسحاق التنوخي عن القاسم بن عساكر، أنبأنا أبو نصر محمد بن عبد الله الشيرازي، أنبأنا أبو المظفر محمد بن أسعد العراقي، أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب، أنبأنا أبو علي ابن شاذان، حدثنا أبو الحسين عبد الصمد بن علي بن محمد بن مكرم المعروف بابن الطستي، حدثنا أبو سهل السريُّ بن سهل الجنديسابوري، حدثنا يحيى ابن أبي عُبيدة بحر بن فروخ المكي، أنبأنا سعيد ابن أبي سعيد، أنبأنا عيسى بن داب عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال: بينا عبد الله ابن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونهُ عن تفسير القرآن، فقال نافع ابن الأزرق لنجدة بن عُويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه، فقالا: إنا نريدُ أن نسألكَ عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِيْنِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِيْنَ﴾ [المعارج/ ٣٧]، قال: العزون: حلق الرفاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص، وهو يقول:

فَجَاءوا يُهرَعونَ إليهِ حتَّى ... يكونوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا

[الوافر]

قال: أخبرني عن قوله: ﴿وَابْتَغُوْا إِلَيْهِ الوَسِيْلَةَ﴾ [المائدة/ ٣٥]، قال: الوسيلة: الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إنْ الـرِّجَالَ لهُـم إلَـيْكِ وَسَـيْلَةٌ إنْ يَأخُـذُوكِ تَكَحَّلِـيْ وَتَخَضَّبِي
[الكامل]

إلى آخر المسائل وأجوبتها[1]. وهي تدل على قوة ابن عباس في معرفتهِ بلغة العرب، وإلمامهِ بغريبها، إلى حد لم يصل إليه غيره، مما جعلهُ- بحق- إمام التفسير في عهد الصحابة، ومرجع المفسرين على الخصوص، حتى لقد قيل في شأنه إنه هو الذي أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن[2].

وقد أخرج الأئمة أفراداً منها بأسانيد مختلفة إلى ابن عباس. وأخرج ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء منها قطعة، وهذا سنده، قال: حدثنا بشر بن أنس، أنبأنا محمد بن علي ابن الحسن بن شقيق، أنبأنا أبو صالح هدبة بن مجاهد، أنبأنا مجاهد بن شجاع، أنبأنا محمد بن زياد اليشكري عن ميمون بن مهران قال: دخل نافع بن الأزرق المسجد فذكره[3].

وأخرج الطبراني في معجمهِ الكبير منها قطعة من طريق جويبر عن الضحاك بن مُزاحم قال: خرج نافع بن الأزرق، فذكره[4].

---

(1) ينظر: الإتقان ١/ ٥٥.

(2) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ٨١.

(3) ينظر: السابق.

(4) ينظر: معجم الطبراني الكبير ١٠/٢٤٨ برقم (١٠٥٩٧).

صحة نسبة سؤالات نافع بن الأزرق إلى ابن عباس:

اشتهرت هذه السؤالات بنسبتها إلى ابن عباس اشتهاراً كبيراً بين العلماء، وتناولتها الدراسات الأدبية واللغوية دراسةً مستفيضة، وتعد هذه السؤالات مصدراً مهماً من مصادر الدرس اللغوي عند ابن عباس، وقد اعتمدت عليها المعاجم اللغوية في الأخذ من مفرداتها، وتوضيح كثير من غريب الكلمات، كما اعتمدت عليها الكتب التي ألفت في غريب القرآن ومشكله، وقد تابعه في كثير منها جماهير أهل العلم من المفسرين واللغويين، وإن كانوا يختلفون معه أحياناً في بعضها لكن تبقى مسألة مهمة وهي: هل تصح نسبة هذه السؤالات حقاً إلى ابن عباس؟!

إن الإجابة عن هذا السؤال تتيح لنا الفرصة في تتبع أسانيد هذه الروايات التي تذكر هذه المسائل، فإن صح السند فقد حصلنا على ثروة كبيرة من المفردات اللغوية الثابتة عن ابن عباس، وهي حريةٌ بالدراسة المستفيضة، وإن لم تصح أسانيدها، فلا يسعنا إلا ردها على قائليها، ولا كرامة؛ فإن ذلك لا ينقص من مقام ابن عباس بل يزيده رفعةً لاسيما وقد ثبت عنه من غير هذه الطرق أشباهها، ويزيدني شرفاً أن أسعى في إزالة الزيف والاختلاق على إمام اللغة ورائد المفسرين مما هو منه بُرَاءٌ.

الحكم على الأسانيد:

ذكرنا آنفاً ثلاثة أسانيد خرجت هذه المسائل عن ثلاثة كتب مشهورة وهي:

١- **الإتقان:** وقد ذكر السيوطي بسنده هذه المسائل من طريق عيسى بن دأب عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه فذكر القصة[١].

وعند تتبع رجال سند هذه المسائل نجد:

(أ) أول رجال السند هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم؛ ثقة عابد[٢]. لكنه لم يسمع من ابن عباس، ولأن أحداً من العلماء لم يُثبت له السماع.

(ب) ويروي عنه ابنه عبد الله، قال عنه أهل الحديث، ثقة ثبت[٣].
وكذلك يروي عنه- أي أبا بكر- حميد الأعرج وهو ثقة[٤]. ولم يثبت له سماع من أبي بكر بن محمد.

(ج) ويروي عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر، عيسى بن دأب، وقد نُسِبَ إلى جده الأعلى، واسمه عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب؛ ذكره الذهبي في (المغني). قال: قال خلف الأحمر: كان يضع الحديث. وقال البخاري وغيره: منكر الحديث[٥].
فيتّضح لنا من سلسلة رجال السند أن فيه عيسى بن دأب وهو ضعيف، وبه لا يصح سند هذه الرواية.

---

(١) ينظر: الإتقان ١/ ٥٥.
(٢) ينظر: التقريب ترجمة رقم (٧٩٨٨).
(٣) ينظر: تهذيب الكمال ١٤/ ٣٥١.
(٤) ينظر: تحرير التقريب ١/ ٣٢٩.
(٥) المغني في الضعفاء ٢/ ٩٠ ترجمة (٤٨٤٠).

٢- الوقف والابتداء لابن الأنباري:

قد ذكر السيوطي في الإتقان السند لهذه المسائل مما أخرجه ابن الأنباري في كتابه (الوقف والابتداء) من طريق:

مجاهد بن شجاع عن محمد بن زياد اليشكري عن ميمون بن مهران قال: وذكر القصة[١] ... وعند تتبع رجال سند هذه الرواية نجد:

(أ) أول رجال السند هو ميمون بن مهران، وهو ثقة روى عن ابن عباس[٢].

(ب) وروى عن ميمون بن مهران محمد بن زياد اليشكري الميموني، ذكره الذهبي في (المغني)، فقال: محمد بن زياد اليشكري الميموني الطحان عن ميمون بن مهران وغيره. قال أحمد: كذاب خبيث يضع الحديث. قال الدارقطني: كذاب[٣]. وبمحمد بن زياد اليشكري تسقط هذه الرواية.

٣- المعجم الكبير للطبراني:

ذكر إسناد هذه المسائل من طريق، جويبر عن الضحاك بن مزاحم، قال: فذكر القصة[٤]...

وعند تتبعنا رجال هذا السند وجدنا:

(أ) الضحاك بن مزاحم، صدوق كثير الإرسال، لم يثبت له السماع عن أحد من الصحابة، وأنكر كثير من أهل العلم سماعه عن ابن عباس، بل ما رآه قط وإنما اشتهر بالتفسير[٥].

---

(١) ينظر: الإتقان ١/ ٨٨.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال ٢٩/ ٢١٠.

(٣) المغني في الضعفاء ٢/ ١٩٧ ترجمة رقم (٥٥١٨).

(٤) ينظر: معجم الطبراني الكبير ١٠/ ٢٤٨ برقم (١٠٥٩٧).

(٥) ينظر: تهذيب الكمال ١٣/ ٢٩٢.

وعلى هذا تكون رواية الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة، وهذه علة ترد بها هذه الرواية ولا يصح نسبتها إلى ابن عباس.

(ب) وروى عن الضحاك جويبر بن سعيد البلخي، المفسر المعروف، وقد ذكره الذهبي في (المغني)، فقال: قال: الدارقطني وغيره: متروك[1]. وقال ابن حجر في (التقريب): ضعيف جداً[2].

وذكر الحافظ ابن حجر في (العجاب) ممن روى التفسير من الضعفاء عن ابن عباس، فقال: ومنهم جويبر بن سعيد، وهو واهٍ، روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم وهو صدوق عن ابن عباس ولم يسمع منه شيئاً[3].

وهذه علة أخرى ترد بها هذه الرواية، ولا يصح نسبتها إلى ابن عباس لما ذكر.

فتبين من تتبع رجال السند في الروايات الثلاث أن واحدة منها لم تصح ولا ترتقي إلى درجة الحسن فضلا عن الصحة، وليس لها متابع يقويها، وبهذا نجزم أن هذه المسائل لا تصح نسبتها إلى ابن عباس لا من قريب ولا من بعيد.

---

(١) المغني في الضعفاء ١/ ٢١٠ ترجمة (١٢٠٨).

(٢) ينظر: التقريب ترجمة (٩٨٧).

(٣) العجاب ١/ ٢١١.

فهل ضعف هذه الروايات يعني أن ابن عباس لم يثبت عنه أنه استشهدَ بالشعر في تفسير القرآن الكريم؟

إن ضعف الروايات التي ذكرت في مسائل نافع بن الأزرق لا تعني أن ابن عباس لم يثبت عنه شيء في تفسير القرآن مستشهداً بالشعر، بل أخرجَ ابن جرير في مواضع من تفسيره استشهاد ابن عباس على تفسير القرآن بالشعر العربي، وهذا هو ما اشتهر به ابن عباس، وصار منهجاً لمدرسته التي أسسها في مكة. لكن ليس بالصورة التي جاءت بها هذه المسائل على نحو هذا الترتيب، ولعل هذا مما زاده الرواة.

وهذا لا يعني– أيضاً– أن ابن عباس لا يقدر على مثلها، فهو لها ولأمثالها، وقد رد كثير من الباحثين هذه المسائل من قبل، لكنها ردود جاءت رجماً بالغيب، وسوء ظن بابن عباس؛ لم تعتمد على الطريقة العلمية في رد هذه الروايات.

فقد ذكر الدكتور محمود أحمد نحلة في كتابه لغة القرآن الكريم في جزء عمّ هذه المسائل، فقال: "ونحن نرتاب في أن يكون ابن عباس قد أجاب عن هذه المسائل كلها في جلسة واحدة، وأن تكون الشواهد الشعرية أسعدته هذا الإسعاد، رغم ما عُرفَ من قوة حفظه، وما ذكره من أن نافعاً "جعل يُسائله حتى أملّه".

ونرتاب أيضاً في أن يكون ابن الأزرق قد أعدّ نحواً من مائتي مسألة فسألها متتابعة كما يروون. ويؤكد ذلك أن الأمر بدا وحي الساعة عند نافع. ثم ذكر بداية القصة"[1].

فالدكتور يرتاب في صحة نسبتها من حيث:

---

(1) كتاب لغة القرآن الكريم في جزء عمّ ص ٩٤.

الكيفية التي تمكن بها نافع بن الأزرق من استحضار نحو من مائتي مسألة في مجلس واحد وبهذا الترتيب؟! وأن ابن عباس كيف استطاع أن يردَ عليه بإجابات موثقة بأبيات شعرية لشعراء جاهليين وإسلاميين، وفي الغالب يذكر مسمياتهم؟! وهذا لا يكون إلا في مجالس متعددة لا في مجلس واحد، فضلاً عن أن يرد ابن عباس على تلك المسائل كلها ولا تعجزهُ مسألة.

أقول: إن نافع بن الأزرق لم يأتِ مستفتياً، حتى نقول: كيف استطاع استحضار كل هذه المسائل في مجلس واحد؟! وإنما جاء ممتحناً ابن عباس لظنه بجرأته على تفسير كتاب الله- على حد زعمه-، والممتحن يكون مستعداً لطرح أسئلته التعجيزية، والدليل ما بينتهُ الروايات لهذه المسائل، ففي رواية السيوطي: "فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ..."[1].

فلا يكون مستفتياً، وهو يصف مفتيه بأنهُ لا علم له بكتابِ الله، وإنما أراد أن يوقعهُ في عجز حتى يعرف مقامه ولا يجترئ على تفسير كتاب الله العظيم، فاختار من الأسئلة ما يظن أنها كفيلة بتعجيزهِ، ولم يكتفِ بذلك بل طلب منه أن يأتيه بمصادقه من كلام العرب، فقال: "إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ..."[2]. فإذا كان ذلك من نافع- أي أنه جاء ممتحناً- فلا غرابة في أن يضع نحواً من مائتي مسألة على حبر الأمة ابن عباس واسترسل فيها ليوقعه فيما يريد، فلم يكن له ذلك.

---

(1) الإتقان ٥٦/١.

(2) نفسه.

وعلى فرض أنهُ كان مستفتياً، أليس من حق المستفتي أن يجمع مسائله ويرتبَها حتى لا يفوته منها شيء؟ لا سيما وأنه سيسأل الحبر البحر عبد الله بن عباس. فهذا ليس بقادح في رد الرواية.

وأما إنكاره إجابات ابن عباس بهذه الصفة وعلى نحو موثق بالأبيات الشعرية لكل مفردة لغوية، فهذا من الظن السيئ بابن عباس، وما أحسن ما قاله ابن جني: "ينبغي أن يُحسَنَ الظنُّ بابن عباس؛ فيقال: إنه أعلم بلغة القوم من كثير من علمائهم"[1].

فإذا كان الدكتور يستكثر على ابن عباس علمه بهذه المفردات التي لا تتجاوز مائتي مسألة، فما فائدة لقبه بترجُمان القرآن، وهو لا يُحسن الاستشهاد لكل مفردة؟! وما فائدة دعاء النبي -ﷺ- بأن يعلمه الله الكتاب والحكمة وأن يفقهه في الدين؟! إنما كان علمه عن حفظ وقّاد وذاكرة قوية، فهو يحفظ القصيدة تُلقى عليه لأول مرة، وإنها لثمانون بيتاً[2]. فكيف لا يحضرهُ مثل هذه الإجابات، وهي تختص بكتاب الله العزيز؟!

إن مثل هذه الردود على تلك المسائل إنما هي مجرد إثارة الشكوك في أصحابها من غير حجة ولا برهان، وما قدمناه كفيل برد هذه المسائل من غير طعن ولا سوء ظنٍ.

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٤٢.

(٢) ينظر: الكامل للمبرد ٣/ ١١٥٢.

تفسيره القرآن بالشعر:

كان ابن عباس -ﷺ- يرجع في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن إلى الشعر الجاهلي، وكان غيرهُ من الصحابة يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم؛ ليستعان بهِ على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة، فهذا عمر بن الخطاب -ﷺ- يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل/ ٤٧]، فيقوم له شيخ من هُذَيل فيقول له: هذه لغتنا؛ التخوف: التنقص، فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيقول له: نعم، ويروي قول الشاعر:

تَخوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً   كَمَا تَخوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

[البسيط]

فيقول عمر -ﷺ- لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم[1].

وقد تأثر ابن عباس بهذا الأسلوب بأستاذهِ عمر -ﷺ- غير أن ابن عباس، امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره، فكثير ما كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، وقد رُوي عنه الشيء الكثير من ذلك، و أوعب ما رُوي عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها غير أنها ضعيفة، وقد وجدتُ بعضاً مما يوافق ما جاء فيها مفرقاً في كتب التفسير.

---

(١) الموافقات للشاطبي ١/٥٨، ٢/ ١٤٠، والقصة فيها ضعف.

وقد بين لنا ابن عباس -رضي الله عنه- مبلغ الحاجة إلى هذه الناحية في التفسير، وحض عليها من أراد أن يتعرف على غريب القرآن، فقد روي عنه أنه قال: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"[1].

وروي عنه- أيضاً- أنه قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب[2]. كما روي عنه أنه كان يُسأل عن القرآن، فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير[3]. وروي عنه من طريق سعيد بن جبير ويوسف بن مهران قالا: ما نحصي ما سمعنا من ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن. فيقول: "هو كذا، أما سمعت الشاعر يقول: كذا وكذا"[4].

فابن عباس -رضي الله عنه- كان يرى رأي عمر في ضرورة الرجوع إلى الشعر الجاهلي، للاستعانة به على فهم غريب القرآن، بل كان أكثر الصحابة إلماماً بهذه الناحية وتطبيقاً لها.

وقد استمرت هذه الطريقة إلى عهد التابعين ومن يليهم، إلى أن حدثت خصومة بين متورعي الفقهاء وأهل اللغة، فأنكروا عليهم هذه الطريقة، وقالوا إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن، وقالوا: كيف يجوز أن نحتج بالشعر على القرآن، وهو مذموم في القرآن والحديث[5].

---

(1) الإتقان ١/ ٥٥.

(2) ينظر: الإتقان ١/ ٥٥.

(3) نفسه.

(4) ينظر: تاريخ الإسلام ٥/ ١٥٩، والطبقات الكبرى ٢/ ٤٣٥.

(5) ينظر: الإتقان ١/ ٥٥، والتفسير والمفسرون ١/ ٨٢.

والحق أن هـذه الخصومة التي وجدت في الأجيال المتأخرة لم تقم علـى أسـاس، فالأمـر لـيس كمـا يـزعمه أصحاب هذا الرأي، من جعل الـشعر أصـلاً للقـرآن، بل هو في الواقع بيان للحرف الغريب من القرآن بالـشعر؛ لأن الله تعـالى يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [الزخرف/ ٣]، وقـال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء/ ١٩٥]، ولهذا لم يتحرّج المفسرون إلى يومـنا هـذا مـن الرجوع إلى الشعر الجاهلي للاستشهاد بهِ على المعنى الذي يذهبونَ إليه في فهم كلام الله تعالى[1].

نماذج من استشهاده بالشعر:

اتسم ابن عباس بهذه الصفة، فكان لا يُسأل عن شيء من القرآن أو غـيره إلا استـشهد بالـشعر الجاهلي، ونحن نذكر بعضاً من ذلك دليلاً عليه، منها:

مـا روي عن مجاهد قال: سُئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه: ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان/ ٧٠]، قال:

بُـــدِّلْنَ بَعْـــدَ حَـــرِّهِنَّ خَـــرِيفاً وَبَعْـدَ طُـوْلِ الـنَّفَسِ الوَجِيْفَا[2]

[الكامل]

وأخرج الطبري في تفسيره أن ابن عباس سُئل عن القسورة، قال: جمع الرجال، ألم تسمع ما قالت فلانة في الجاهلية:

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ٨٢.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٤١٩.

يَـا بِـنْتَ لُـؤَيٍّ خَيْـرَةً لِخَيْـره   أَحْـوَالُها في الحيِّ مِثْلُ القَسْوَرَه[1]
[الرجز]

وعند تفسير ابن عباس (لفومها) قال: الحنطة، وأنشد قول أحيحة بن الجلاح:

قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاس شَخْصاً واحِداً   وَرْدُ المدينةِ عَنْ زِرَاعَةِ فُومِ[2]
[الكامل]

ولما فسّر ابن عباس (النجم) في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن/ ٦]، بأنه ما لا ساق له من النبات والشجر ما له ساق، أنشد عليه قول صفوان بن أسد التميمي:

لَقَدْ أَنجمَ القَاعُ الكَبِيرُ عِضَاهَه   وَتَمَّ بِهِ حَيًّا تَمِيمٍ وَوَائِلِ[3]
[الطويل]

ولا يقف استشهاده بالشعر على تفسير القرآن، وإنما يتعدى إلى جوانب متعددة حسب ما تقتضيه الأسئلة أو الحوادث، فقد روي عنه أن معاوية سأله، فقال: لِمَ سُمّيت قريش قريشاً؟ قال: لدابة تكون في البحر هي أعظم دواب البحر خطراً، لا تظفر بشيء من دواب البحر إلا أكلته،

(١) نفسه ١٢/ ٣٢٢.
(٢) المحرر الوجيز ١/ ١٥٣.
(٣) تفسير القرطبي ١٧/ ١٤٩.

فسميت قريشاً لأنها أعظم العرب فعالاً. فقال: هل تروي في ذلك شعراً؟ فأنشده قول المشمرج بن عمرو الحميري:

وقريشٌ هي التيْ تسكنُ البَحْـ ـرَ بها سُمِّيتْ قريشٌ قُريشا
تأكلُ الغثَّ والسمينَ ولا تتـ ـرُكْ لِذِيْ الجَنَاحَيْنِ ريشَا
هكذا في البلادِ حيُّ قُريشٍ يأكلونَ البلادَ أكلاً كَشِيشَا
ولهمْ آخرُ الزمانِ نبيٌّ يُكثرُ القتلَ فيهم والخُمُوشَا
يملأُ الأرضَ خيلُهُ ورجالٌ يحشُرونَ المَطِيَّ حشراً كَمِيشَا[1]

[الخفيف]

ولما خرج الحسين بن علي إلى الكوفة، اجتمع ابن عباس وعبد الله بن الزبير بمكة، فضرب ابن عباس جنب ابن الزبير، وتمثل:

يالكِ منْ قُنْبُرَةٍ بِمَعْمَرِ خَلاَ لَكِ الجَوُّ فَبِيْضِي واصْفِرِيْ
ونقِّريْ ما شِئْتِ أنْ تُنَقِّرِيْ[2]

[الرجز]

وهكذا يستشهد بالشعر حين عَمِيَ في آخر عمره، فقال:

إنْ يأخذِ اللهُ منْ عينيَّ نورهُمَا ففي لسَاني وقلبي منهما نُورُ
قلبِيْ ذكيٌّ وعقليْ غيرُ ذيْ دخلٍ وفي فميْ صارمٌ كالسيفِ مأثورُ[1]

[البسيط]

---

(1) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٣٢٤، شفاء الغرام ٢/ ٦٥.

(2) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩٥، ومختصر تاريخ ابن عساكر ١٢/ ٣٢٥.

فهـذه الآثـار تدل على أن ابن عباس كان يستشهد بالشعر دائماً، وإنـه مـع ذلـك كان يحفظ من الشعر الكثير ويتذوقه ويوازن بين الشعراء مـن جـيد شـعرهم، فقد روي عنه أن عمر سأله عن أشعر الشعراء، قال: قلـت: زهـير بـن أبـي سلمى، فقال: هلمّ من شعره ما نستدل به على ما ذكرت، فقلت: امتدح قوماً من بني عبد الله بن غطفان، فقال:

لَـوْ كَـانَ يَقْعُـدُ فـوقَ الـشمسِ مِـنْ كَرَمٍ ... قَـوْمٌ بِـأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْـدِهِم قَعَـدُوا

قَـوْمٌ أَبُـوهُمْ سِـنَانٌ حِـينَ تَنْـسِبُهُم ... طَابُوا وَطَـابَ مِـنَ الأولادِ مَـا وَلَدُوا

إِنْـسٌ إذا أَمِـنُوا جِـنٌّ إذا فَـزِعُوا ... مُـرَزَّؤونَ بِهَـا لُـيلٌ إذا حَـشَدُوا

مُحَـسَّدُونَ علـى مـا كـانَ مِـنْ نِعَـمٍ ... لا يَنْـزِعُ اللهُ مِـنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا مأثورُ(٢)

[البسيط]

وأما من حيث حفظه لشعر، فعجيب أيما عجب فقد ذكر المبرد في كـتابه (الكامـل) أن نافـع بن الأزرق أتى ابن العباس يوماً، فجعل يسألهُ حتـى أملـه، فجعـل ابن عباس يظهر الضجر، وطلع عمر بن عبد الله بن أبـي ربـيعة علـى ابن عباس– وهو يومئذ غلام– فسلم، وجلس، فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيئاً من شعرك؟ فأنشده:

أمِـنْ آلِ نُعـمٍ أنـتَ غـادٍ فمُبْكِـرُ ... غَـداةَ غَـدٍ أمْ رائِـحٌ فَمُهَجِّـرُ

[الطويل]

---

(١) ينظر: الاستيعاب ٣/ ٧٠، وأسد الغابة ٣/ ٢٩٥.

(٢) تـاريخ الطـبري ٢/ ٥٧٧– ٥٧٨، والكامـل لابـن الأثـير ٢/ ٢١٨ وفي الأبيات اختلاف في بعض ألفاظها في الكامل عن تاريخ الطبري.

حتى أتمها وهي ثمانون بيتاً . فقال له ابن الأزرق : لله أنت يا ابن عباس ! أنضرب إليك أكباد الإبل، نسألك عن الدين فتعرض، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه؟! فقال تالله ما سمعتُ سفهاً، فقال ابن الأزرق: أما أنشدك:

رَأتْ رَجُلاً أمّا إذا الشّمسُ عارضتْ فيخـزى وأمّـا بالْعَـشِي فيخـسِرُ
[الطويل]

فقال ابن عباس: ما هكذا قال: إنما قال: "فيضحى وأما بالعشي فيخصر"، قال: أو تحفظ الذي قال؟ قال : والله ما سمعتها إلا ساعتي هذه، ولو شئت أن أردها لرددتها قال: فارددها. فأنشده إياها كلها[1].

وتعويل ابن عباس على الشعر بصورة أساسية في شرح الغريب والاستشهاد به؛ كان نابعاً من نظرته إلى الشعر والشعراء نظرة إكبار وتقدير، ومن كون الشعر أسهل حفظاً من النثر وأكثر علوقاً بالذاكرة. هذا إضافة إلى قلة المحفوظ لديهم من النثر إذا ما قورن بالشعر[2].

ثالثاً: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس:

نسب هذا الكتاب إلى ابن عباس في جزء كبير من التفسير، وقد طبع مراراً باسم "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس" وأخطأ بعضهم في تسميته "تنوير المقياس من تفسير ابن عباس" وهو تصحيف، جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي، صاحب القاموس المحيط.

---

(1) الكامل للمبرد ٣/ ١١٥٢.

(2) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ١٢٦.

قـدم الدكـتور فخر الدين قباوة مع محمود الصغير- أحد المعيدين في جامعة حلب- بحثاً نفيساً في تحقيق نسبة هذا الكتاب إلى ابن عباس[1]، وقـد أفـدت مـنه كثيراً بعد اطلاعي على الكتاب، ودراسة رجال السند، فـوجدت ما قدماه في هذا البحث جديراً بأن يُنقل لتتم الفائدة، مع حذف بعض الفقرات والتصرف في بعض العبارات بما تقتضيه الحاجة.

صـدر الفيروز آبادي كتابه بمقدمة موجزة، ثم شرع بتفسير القرآن الكـريم مبـتدئاً بسورة الفاتحة مختتماً بسورة الناس. وكان يذكر في بدء كل سـورة نـوع الآيات من مكي ومدني، ويُحددها ويحصي عددها وكلماتها وحروفها. ومن ذلك قوله: "ومن السورة التي تذكر فيها البقرة، وهي كلها مدنية ويقال مكية أيضاً. آياتها مئتان وثمانون، وكلماتها ثلاثة آلاف ومائة وحروفها خمسة وعشرون ألفاً"[2].

تحقيق نسبة هذا الكتاب:

شـك كثير من الباحثين في نسبة هذا الكتاب إلى ابن عباس، لكن هذا الشك يفتقر إلى أهم قوام التحقيق، وهي دراسة رجال الإسناد الذين اعـتمد علـيهم الفـيروز آبـادي في نقل مادة الكتاب، ومقابلة نصوصه بما وصـل إلينـا مـن كـتب التفسير الأخرى التي ذاعت شهرتها. وهما أمران

---

(1) ينظر: صلة ابن عباس بكتاب "تنوير المقباس"، فخر الدين قباوة ومحمود الصغير، مجلة بحوث جامعة حلب، ص ٦٩ وما بعدها، العدد (١٦) – ١٩٨٩م.

(2) تنوير المقباس ص ٣.

تيسّر لنا حلهما في أثناء دراسة كتب التفسير في مجال الأدوات النحوية. وسنتناول أولاً أهم حلقات الإسناد، ثم نعرض الجوانب النحوية واللغوية مستفيدين من القرائن العامة وبعض الوجهات المنطقية والتاريخية.

أولاً: حلقات الإسناد:

ذكر الفيروز آبادي في مطلع الكتاب سلسلة الرجال الذين اعتمد عليهم في النقل عن ابن عباس، فقال: "أخبرنا عبد الله الثقة ابن المأمون الهروي، قال: أخبرنا أبي. قال: أخبرنا أبو عبد الله، قال: أخبرنا أبو عبيد محمود بن محمد الرازي، قال: أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي، قال: أخبرنا علي بن إسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس"[1]. ثم قال في إسناد سورة البقرة: "وبإسناده عن عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا علي بن إسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس"[2]. واكتفى بذلك، وأخذ في مطلع كل سورة يُوجز، فيقول: "وبإسناده إلى ابن عباس"[3]. ثم شرع في تفسير الآيات على وفق ترتيبها المعروف في المصحف.

ومن الواضح في هاتين السلسلتين اعتماد المؤلف في النقل على ثلاثة رجال تباعاً، وهم:

---

(1) تنوير المقباس ص ٢.

(2) نفسه ص ٣.

(3) ينظر: على سبيل المثال ص ٣٤، ٥٢، ٧٠، ٨٤ من نفس الكتاب.

أبو صالح، والكلبي، ومحمد بن مروان، وهذا تفصيل القول فيهم:

أ- أبو صالح:

يذكر الحافظ ابن حجر أنه باذام مولى أم هانئ بنت أبي طالب وأنه روى عن رجال كثيرين منهم ابن عباس، وروى عنه كثيرون منهم الكلبي[1]. وهذا يُطابق تماماً ما ذكره الفيروز آبادي، ولكن الحافظ ابن حجر يؤكد أن معظم العلماء طعنوا في هذا الرجل، إذ ترك بعضهم حديثه وبعضهم أخذه ولكنه لم يحتج به. وذكر أن النسائي لم يوثقه، وأن الأزدي قال فيه: إنه كذاب، والجوزجاني قال: إن له رأياً غير محمود، وعبد الحق: إنه ضعيف جداً[2].

فعدم توثيق الرجل في مجال الحديث النبوي يتصل اتصالاً قوياً بموضوع التفسير، لأن التفسير- كما هو معلوم- نشأ إلى جنب الحديث النبوي، وكان القدماء يروونه في شكل الأحاديث، والناس ينظرون إلى المفسر نظرتهم إلى راوي الحديث، بل كان القائمون على الحديث هم أنفسهم القائمون على التفسير. ومن ذلك يبدو لنا الشك مشروعاً فيما نقله أبو صالح عن ابن عباس.

ويتعاظم هذا الشك فيصل إلى درجة الطعن، إذا تفحصنا أقوال العلماء فيما يروون عنه في مجال التفسير نفسه. فهذا ابن عدي يقول: 'عامة ما يرويه تفسير، وما أقل ما له من المسند، وفي ذلك التفسير ما لم

---

(1) ينظر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٦٤.

(2) نفسه ١/ ٣٦٥.

يتابعه عليه أهل التفسير، ولم أعلم أحداً من المتقدمين رضيه[1]. وقال زكريا بن أبي زائدة: كان الشعبي يمر بأبي صالح فيأخذ بأذنه فيهزها، ويقول: ويلك تُفسِّر القرآن وأنت لا تحفظ القرآن[2]. وقال ابن حبان: يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه[3].

وقد ضعّف آخرون تفسيره وتعجب بعضهم ممن يروي عنه، حتى نقل الثوري عن الكلبي أن أبا صالح اعترف له مرة، فقال: كل ما حدثتك كذب[4].

فهذا كله يقوي الطعن على أول حلقة من السلسلة التي بنى عليها الفيروز آبادي إسناده ويؤدي إلى عدم صدق هذه النسبة إلى ابن عباس.

ب- الكلبي:

فهو محمد بن السائب بن بشر، أبو النضر الكوفي النسابة المفسّر، ويذكر ابن حجر أنه روى عن عدد من الناس منهم، أبو صالح باذام. وروى عنه عدد غفير منهم محمد بن مروان[5]. وهذا يُطابق أيضاً ما جاء في سلسة الفيروز آبادي. والرجل عند العلماء مثل صاحبه بل يفوقه في صفتي الضعف والكذب. قال أبو المعتمر بن سليمان عن أبيه: كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي[6].

---

(1) ينظر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٦٤.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه ٩/ ١٥٧-١٥٩.

(5) نفسه١/ ٣٦٥.

(6) نفسه.

وفيما يتصل بالتفسير ذكر ابن حجر أن أبا صالح حلف أنه لم يقرأ على الكلبي من التفسير شيئاً، وأن الثوري نقل عنه قوله: "ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه"[1]. وقال ابن حبان: "وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه"[2].

فالكلبي روى عن أبي صالح التفسير وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، فهو ينقل إذاً تفسيره عن أبي صالح ، والناس تتهم هذا التفسير وتستطيله.

ج- محمد بن مروان:

وهو السدي الصغير، كوفي روى عنه عدد من الرجال، وروى عن الكلبي صاحب التفسير، ذكره علماء الجرح والتعديل بأوصاف قادحة منها:

قال عبد السلام بن حازم بن جرير بن عبد الحميد: "كذاب". وقال الدوري عن ابن معين: "ليس بثقة"، وقال ابن نمير: "ليس بشيء"، وقال أبو حاتم: "ذاهب الحديث، متروك الحديث، لا يكتب حديثه البتة". وقال ابن عدي: "الضعف على رواياته بيّن". وقال أبو جعفر الطبري: "لا يحتج بحديثه". وغيرها من الأقوال[3].

وقال السيوطي في "الإتقان": "فإن انضم إلى ذلك- أي طريق الكلبي- رواية محمد بن مروان السُّدي الصغير، فهي سلسلة الكذب"[4].

---

(1) ينظر: تهذيب التهذيب ٩/ ١٥٨.

(2) نفسه.

(3) نفسه ٩/ ٣٨٧.

(4) الإتقان ٢/ ٢٠٩.

إذاً فاتهـام العلمـاء ثلاثة من أهم رجال السلسلة التي بنيت عليها نـسبة الكـتاب، ونعـتهم لهـم بالوضـع والكذب عموماً والشك فيما جاء عـنهم في التفسير عن ابن عباس خصوصاً، وهو الأقرب إلى عصر الرجل الـذي نـسبه إلـيه، وانقطـاع السلـسلة بـين أبي صالح و ابن عباس لعدم الاتـصال بيـنهما، كـل ذلـك يدعـونا إلى الطعـن بقـوة في نـسبة مثل هذا التفسير المطول إلى ابن عباس.

ثانياً: الجوانب النحوية واللغوية:

ويقـع الـباحث في هـذا الكـتاب علـى ملاحظات نحوية وأحكام لغـوية مـتعددة في مجـال الأدوات ومعانـيها، وعلـى بعـض المـصطلحات العلمية التي يزعم المؤلف أنها مرفوعة جميعاً بالسند المتصل إلى ابن عباس، وقـد رأيـنا أن نعـرض هـذه المـادة علـى بعـض كـتب التفـسير الأخرى المـشهورة، كمجـاز القـرآن لأبـي عُبـيدة، ومعاني القرآن للفراء، ومعاني القـرآن للأخفـش، ومعانـي القـرآن وإعـرابه للـزجاج، وجامـع البـيان للطـبري، والكشّاف للزمخشري، ومجمع البيان للطبرسي، وتفسير الرازي، والقـرطبي، والبيـضاوي، والنسفي، وبحر أبي حيّان وغيرها. وعند عرض بعض ما جاء فيها من آراء ابن عباس على ما ورد في "التنوير" سنقف على أوجه اللقاء والافتراق، ونضع ذلك في موضعه من هذه النسبة.

وقـد يكـون هـناك بعض التفسيرات يصح أن تنسب إليه. وذلك لأن بعـض الكـتب، قـد روت مـا يقـرب مـنها أو يُماثلها. فالطبري مثلاً يروي عنه بسنده تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الـصافات/ ١٤٧]، يقـول: "وذكـر عـن ابـن عباس أنه كان يقول: معنى قوله (أو): بل يزيدون"، ثم ذكر رواية عنه في قوله: قال: بل يزيدون، كانوا

مائة ألف وثلاثين ألفاً[1]. وفي (التنوير): بل يزيدون عشرين ألفاً[2].
وجاء في البحر المحيط في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُوْنَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُوْنَ﴾ [الشعراء/ ١٢٩]، وقال ابن عباس: المعنى: كأنكم خالدون[3]. وفي التنوير: كأنكم[4].

فهذه النصوص وما يُماثلها يُمكن أن تنسب إليه، ولكن صدق نسبتها مرهون بالتحقيق والتحديد فيها، وذلك من طريق جمع كل ما روي عن هذا الرجل ثم دراسته وغربلته.

فمعظم هذه التفسيرات التي وردت فيه كانت غريبة عن أشهر كتب التفسير، بل شاذة في معظم الأحيان، فكتاب التنوير هو الوحيد الذي فسّر قوله تعالى: ﴿مَثَلاً مَاْ بَعُوْضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة/ ٢٦] يعني فكيف ما فوقها[5].

وهو الوحيد الذي قال في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أُوْتُوا نَصِيْباً مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النساء/ ٤٤] عن الكتاب[6]. وهناك نصوص أخرى كثيرة، لم نجد لها أثراً في كتب التفسير المذكورة، فلا يُعقل أن تحمل هذه التفسيرات على ابن عباس من دون أن يكون لها أثر في هذه الكتب.

وقد وُجِدَ بعضُ التلاقي بين تفسيرات التنوير ونصوص بعض هذه الكتب، وحاولنا أن نعثر على أثر ابن عباس فيها، فكان ذلك بلا جدوى. لقد كان تلاقياً عفوياً لا رجاء منه، إذ جاء في بعض المواضع من

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٠/ ٥٣١، والبحر المحيط ٧/ ٣٦٠.
(٢) ينظر: التنوير ص ٢٧٩.
(٣) ينظر: البحر المحيط ٧/ ٣١.
(٤) ينظر: السابق ص٢٣٢.
(٥) التنوير ص٥.
(٦) نفسه ص٥٧.

"التنوير" نصوص لها ما يوازي معناها في بعض الكتب من دون نسبة إلى كتاب "التنوير" أو إشارة إليه حيث جاء في "التنوير" أن معنى قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة/ ١٢]: "بلى إنهم"[١]، وجاء في "البحر المحيط" في الحديث عن "ألا" في هذه الآية: "وتكون حرف جواب، يقول القائل: ألم تقم؟، فيقول: ألا بمعنى بلى"[٢]. نقل ذلك صاحب كتاب "رصف المباني في حروف المعاني، وهو قليل شاذ"[٣].

فأبو حيّان لا يذكر ابن عباس، ولدى العودة إلى مصدره لم نجد المالقي ينسب هذا الرأي. فلو كان لابن عباس مثل هذا الرأي النادر لاحتفلت به كتب التفسير، أو لذكره واحد منها على الأقل، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

وفسر في "التنوير" قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة/ ٣٠] بـ"وقد قال"[٤].

وجاء في "البحر المحيط": "وذهب بعضهم إلى أنها بمعنى "قد"، التقدير: وقد قال ربك، وهذا ليس بشيء ... وأجاز ذلك الزمخشري وابن عطية وناسٌ قبلهما وبعدهما"[٥]، ولم يذكر ابن عباس.

ولدى العودة إلى الكشّاف لم نجد هذا الرأي ولا ذكراً لابن عباس، وهناك مواضع أخرى كثيرة من هذا القبيل لا أمل في العثور على صلة ابن عباس بها.

---

(١) التنوير، ص٤.

(٢) البحر المحيط ١/ ١٩٢.

(٣) ينظر: رصف المباني ص٧٩.

(٤) ينظر: التنوير ص٦.

(٥) البحر المحيط ١/ ٢٨٦.

ثـم عُرضَتْ بعـض مـا روتـه كتب التفسير الأخرى لابن عباس على تنوير المقباس، فوجد أنه يأبى أغلب هذه الروايات. فقد نقل الطبري عـنه بإسـناده، تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص/ ٢٤] أي الذين هـم[1]. ولم نجـد في التنويـر أثـراً لـذلك. وروى عـنه الزمخشري والرازي والقرطبي وأبو حيان تفسير كثير من المواضع، ولم نجد لذلك أثراً أيضاً.

ثالثاً: أسلوب الكتاب وعباراته:

ولعـل مـن دلائـل بطـلان هـذه النسبة -أيضاً- أسلوب الكتاب وعباراته، فقد اتصفت عبارات "التنوير" بالاقتضاب اللغوي الزائد والإيجاز الشديد في التعبير. وهذا يدل على صقل في الأداء واختصار بعد اختصار لا يتناسب وروح اللغة في عصر ابن عباس، ولا يتناسب -أيضاً- وحاجة المسلمين المُلحّة إلى معرفة معاني التنزيل بأسلوب عفوي مستفيض كما لا يُماثـل أسـلوب ابـن عـباس المعـروف في التفسير القـائم على الإشراف والبـيان والمـوازنة بالأسـاليب اللغـوية الأخـرى مـن شـعر ونثـر وغيره. وأغلـب الظـن -عـندي- أن هـذه التفسيرات من صنع الرواة المتعددين الـذين تلقفـوا بعض تفسيراته الصحيحة فزادوا عليها، بدوافع مختلفة، ثم صقلوها واختصروها فجاءت منحوتة على هذا النحو الغريب.

زيـادة علـى ذلـك أن "تنويـر المقـباس" كـتاب يعـج بالمـصطلحات اللغـوية والـنحوية، مثل: النصب[2]، والضـم[3]، والكسر[4]، والخفض[5]،

---

(1) ينظر: تفسير الطبري ١٠/ ٥٦٩.

(2) ينظر: التنوير ص١٠٦، ١٦٣، ١٩٠، ٢٠٩.

(3) نفسه ص١٨٧، ٢١٥.

(4) نفسه ص١٠٦، ١٦٥، ١٩٠، ١٩٢.

(5) نفسه ص١٦٣، ٢٧٧.

والشدّ[1]، والتشديد[2]. وهي مصطلحات كبيرة نسبياً على عصر ابن عباس العلمي المبكر، مع علمنا أن ابن عباس كان على معرفة جيدة بالعربية ومعانيها، ولكنه لم يصل إلى هذه الدرجة الثابتة والمتطورة من معرفة هذه المصطلحات. وقد ورد بعض ما يُماثلها عن عصره، ولكنها المصطلحات التي لا تبرأ من جهود المتأخرين الذين اعتمدوا على عبارات القدماء في تنفيذها وبلورتها.

كما نلاحظ في أسلوب "التنوير" سمة التنظير والمعرفة الدقيقة بلهجات العرب– وإن كان ابن عباس على حظٍ منها كما سنلاحظهُ في بحثنا عن نسبة كتاب لغات القرآن إليه– ففي تفسير قراءة ابن عامر[3]، في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه/ ٦٣]، قال: "بلغة بني الحارث بن كعب، وإنما قال: إن هذان على اللغة لا على الإعراب"[4].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج/ ٤٥]، "حصين طويل ليس فيه مساكن، إن قُرِئت بنصب الميم، ويقال: مُحصَّن إن قُرِئت بضم الميم وتشديد الياء"[5].

فهل يمكن أن تُحمل مثل هذه العبارات المنظمة على ابن عباس؟ وهل يمكن أن تكون من أسلوب حبر الأمة الفصيح وترجمان القرآن؟

إن معظم الظن أن تكون من صنيع القرون اللاحقة التي يُلائمها التقعيد والتنظيم والاقتصاد ورسم الحدود الواضحة.

---

(١) ينظر: التنوير، ص ٣٨٦.

(٢) نفسه ص٢٠٩.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات ص٤١٩ نقلاً عن مجلة بحوث جامعة حلب.

(٤) ينظر: التنوير ص١٩٦.

(٥) نفسه ص٢٠٩.

ولو تتبعنا كتاب "التنوير" لرأينا في صفحاته مئات التفسيرات الساذجة والمكررة، وكأننا بها تسويد أوراق متكاثرة تستمد أهميتها وقدسيتها إلى ابن عم رسول الله -ﷺ-.

إن طعن العلماء على أهم رجال إسناد هذا الكتاب واتهامهم في التفسير خاصة واستغرابهم لهذا التفسير المطوّل، ونفور أشهر كتب التفسير مما جاء فيه، كل ذلك يعني أن نسبة هذا الكتاب إلى ابن عباس غير صحيحة، ويمكن جعلها لمؤلفها الفيروز آبادي وجامعها حملاً عن المفسرين الذين تقدموه وعاصروه حتى يكشف النقاب عن أصحابها.

رابعاً: كتاب لغات القرآن (غريب القرآن) المنسوب إلى ابن عباس:

وقع في يدي كتاب غريب القرآن المنسوب إلى عبد الله بن عباس حققه الدكتور أحمد بولوط، وجاء -أيضاً- بعنوان "اللغات في القرآن" حققه الدكتور صلاح الدين المنجد، غير أني لم أقف على هذا الأخير لأعمل موازنة بينهما.

والدكتور أحمد بولوط عمل فيه دراسة متواضعة تتمثل في ترتيب الكلمات وحصرها وفهرسة الألفاظ، وجُل ما فعله -وهو يُشكر على ذلك- أن أخرج المخطوطة من أدراج المكتبات إلى أيدي القارئين، ولم يُحقق المخطوطة التحقيق العلمي سوى الموازنة بين نسخ المخطوطة المتعددة. فلم يُصحح الألفاظ، ولم يوازن بينها وبين ما جاء في التفسير منها، ولم يُحقق الأسانيد فيها.

جمع هـذا الكتاب محمد بن محمد المرتضى الشافعي في سنة اثنتين وخمسين وستمائة بمدينة مصر، جاء هذا القيد في إحدى نسخ المخطوطة كما بينه المحقق[1].

وأسانيد الكتاب كلها انتهت إلى محمد بن محمد المرتضى الذي قام بروايتها وجمعها في كتاب أو أملاها على تلاميذه، فكان يقول في كل سند: أخبرنا[2].

أسانيد النسخ المخطوطة:

وجـد لهـذا الكـتاب ثـلاث نسخ من مخطوطته، وفي كل نسخة لها إسناد، وقد سمّى النسخة الأولى (أ)، وسندها[3]:

أ- أخـبرنا أبوبكـر القـباب عـبد الله بـن محمد، قال: حدثنا أبو عمرو عـثمان بـن موسى بن محمد، قال: حدثني محمد بن يحيى بن عيسى بـن عبـيد لـي بقـزوين، قـال: حدثنا أبو الحسن علي بن أبي علي المقـرئ القرشـي الهمداني، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن أبـان القرشـي مـولى عـثمان بن عفوان[4]. المقرئ مؤدب جعفر بن مـسلمة عـن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج عن عطاء عن ابن عباس.

---

(1) ينظر: غريب القرآن ص٨٢.

(2) نفسه ص٣٦، ٣٧.

(3) نفسه.

(4) نفسه، هكذا جاء في أصل الكتاب، والصحيح أنهُ مولى عثمان بن عفان كما جاء في ترجمته، ينظر: تاريخ بغداد ٥/ ١٢ وسير اعلام النبلاء ١٢/ ٦١٢.

وفي إسناد هذا الكتاب من نسخة المخطوطة الأخرى التي سماها المحقق (ع) وسندها[1]:

ب- أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر المقرئ بالمدينة الوزيرية الصفوية السعيدة المحروسة ذميرة، قال: حدثنا الشيخ الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الغفار ابن أبي نصر بن أحمد المقدسي قراءة عليه، وأنا أسمع في أول رجب سنة ثلاث وستمائة بروايته عن الشيخ الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني والشهاب أبي عبد الله محمد بن يوسف الغزنوي، قالا:

حدثنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل المقرئ بمصر، قال: حدثني أبو أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد ابن عبيد، قال: أخبرنا الحسين بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد ابن أبان القرشي، قال: حدثنا أبو جعفر بن أيوب المقرئ عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج عن عطاء عن ابن عباس- رضي الله عنهما-.

وفي إسناد نسخة المخطوطة الثالثة والتي سماها المحقق (ظ)، وسندها[2]:

---

(1) ينظر: غريب القرآن ص ٨٢.

(2) نفسه ص٣٧.

ج- أخبرنا الشيخ أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل بن راشد الحداد المقرئ قراءة عليه، قال: حدثني أبو أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن عبيد، قال: حدثنا الحسين بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن أبان القرشي، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن أيوب المقرئ عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج عن عطاء عن ابن عباس.

ثم يبدأ الكتاب بتفسير قول الله عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء/ ١٩٥]، قال: بلسان قريش، ولو كان غير عربي ما فهموه، وما أنزل الله عز وجل من السماء كتاباً إلا بالعربية، فكان جبرائيل- عليه السلام- يُترجم لكل نبي بلسان قومه ليُبيّن لهم، وذلك أن الله- تبارك وتعالى- يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم/ ٤]. وليس لسان من ألسنة الأمم أوسع من لسان العرب. والقرآن ليس فيه لغة غير لغة العرب؛ وربّما وافقت اللغة اللغات. فأمّا الأصل والجنس فعربي لا يُخالطه شيء، والقرآن عربي[1].

ثم شرعَ في توضيح مفردات كل سورة وموازنتها بلغات العرب، مبتدئاً بسورة البقرة، وانتهى بسورة العاديات[2]. ولم يستوعب السور جميعها لما تقتضيهِ المفردات الموافقة بعض اللغات.

---

(١) ينظر: غريب القرآن، ص٣٨.

(٢) نفسه، ص ٧٨.

تحقيق نسبة هذا الكتاب:

أولاً: رجال الإسناد:

إن مدار الروايات الثلاث على أربعة رجال، وهم:

أ- **أحمد بن محمد بن سعيد بن أبان القرشي:**

ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ووثقه[1]، وقال ابن أبي حاتم: صدوق[2]. ووصفه الإمام الذهبي في السير بأنه الإمام الثقة[3].

لم يثبت له أحد من العلماء السماع عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. وقد عنعن في هذه الروايات. والظاهر أنه أرسل الرواية عن ابن جريج لاحتمال عدم اللقية بينهما، فقد مات ابن جريج سنة مائة وخمسين[4]، بينما ذكر الخطيب البغدادي وابن أبي حاتم والذهبي أنه- أي أحمد بن محمد- توفيَ سنة سبع وستين ومائتين، فمنذ وفات ابن جريج إلى وفات أحمد بن محمد مائة وسبع عشرة سنة، وهذه فترة زمنية كبيرة لا يُحتمل معها اللقية فضلاً عن السماع، ولو قيل: إنه رُبما لقيه لكان عمره كبيراً، وحري بأن يذكرهُ العلماء في التراجم، فروايته عن ابن جريج منقطعة، وهذه علة ترد بها الرواية.

---

(1) ينظر: تاريخ بغداد ٥/١٢.

(2) ينظر: الجرح والتعديل ٢/٧٢.

(3) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٦١٢.

(4) ينظر: تهذيب التهذيب ٦/٣٥٩.

ب- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج:

اتفق علماء الجرح والتعديل على فضله وجلالة قدرهِ، فقد قال الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل[1]. وكذا في تهذيب التهذيب[2]، إلا أنه كان يرسل ويدلس[3]، لذا كان كثير من العلماء يحذرون من تدليسه ويستقبحونه[4]؛ إلا في عطاء بن أبي رباح فقد لزمه سبعة عشرة عاماً[5]، وكان أثبت الناس فيه، فقد قال الإمام أحمد: ابن جريج أثبت الناس في عطاء[6]. وقال سُفيان الثوري: ما تركَ ابن جريج أحداً سمعَ من عطاء إلا فضحه[7].

وفي هذه الروايات قد روى ابن جريج عن عطاء بصيغة تحتمل السماع وغيره، وهي لفظ (عن)، فهل تزيل ملازمته شيخه علة ذلك التدليس؟

قال صاحب كتاب إتحاف النبيل إجابة عن ذلك:

المدلس إذا لازم الشيخ وأكثر عنه- مع ثقته وتيقظهِ- فالفرض أنه قد استوعب حديث شيخهِ وعرفهُ وميّزهُ من حديث غيرهِ، فإذا سمع أحداً يُحدث عن شيخهِ حديثاً لا يعرفه؛ استنكره بل وربُما كذّب راويه.

---

(1) ينظر: التقريب ترجمة (٤٢٢١).

(2) السابق.

(3) ينظر: تهذيب التهذيب ترجمة (٤٢٢١).

(4) نفسه.

(5) نفسه.

(6) نفسه.

(7) معرفة الرجال ١/ ١١٥ ترجمة (٥٥٤).

فإذا روى الحديث عن شيخه بصيغة محتملة، فهو أحد أمرين: إما أن يكون قد سمعه من شيخه، وفي هذه الحالة فلا إشكال. وإما أن يكون سمعه من غيره عن شيخه، وهو يعلم أنه من حديث شيخه؛ لأن الفرض معرفته لحديث شيخه؛ فإن حدّث به عن شيخه بدون واسطة، فلا يضر الحديث؛ لأن القصد من معرفة ثقة الواسطة، عدم الكذب في الحديث، فدينه ومعرفته يمنعانه من نسبة الحديث المكذوب على شيخه إلى شيخه"[1].

وقد قال العلامة المعلمي- رحمه الله- في "التنكيل" في المسألة الرابعة عشرة من المسائل الفقهية: "وهذا ابن جريج أعلم أصحاب عطاء، وألزمهم له، جاء عنه أنه قال: لزمت عطاء سبع عشرة سنة، وقال: جالست عمرو بن دينار بعد ما فرغت من عطاء، وكان يدلس عن غير عطاء، فأما عطاء فلا، قال: إذا قلت: "قال عطاء" فأنا سمعته منه، وإن لم أقل: "سمعت". وإنما هذا لأنه كان يرى أنه قد استوعب ما عند عطاء، فإذا سمع رجلاً يخبر عن عطاء بما لم يسمعه منه، رأى أنه كذب، فلم يستحل أن يحكيه عن عطاء، وهذا كما قال أبو إسحاق: قال أبو صالح ذكوان وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج: ليس أحد يحدث عن أبي هريرة إلا علمنا أصادق هو أم كاذب؟ يريدان أنه إذا حدث عن أبي هُريرة بما لم يسمعاه عنه، علما أنه كاذب، لإحاطتهما بحديث أبي هُريرة، وقال الإمام أحمد: ابن جريج أثبت الناس في عطاء ..."[2].

(1) إتحاف النبيل ٢/ ٢١٢.

(2) التنكيل ٢/ ١١١-١١٢.

وجاء في "تهذيب التهذيب" أن ابن جريج قال: إذا قلت: "قال عطاء" فأنا سمعته منه، وإن لم أقل: "سمعت"[1].

قال الألباني- رحمه الله- في "الإرواء": فهذا نص منه: أن عدم تصريحه بالسماع من عطاء، ليس معناه أنه قد دلسه عنه، ولكن هل ذلك خاص بقوله: "قال عطاء" أم لا فرق بينه وبين ما لو قال: "عن عطاء"؟ ثم قال: الذي يظهر لي الثاني، وعلى هذا: فروايات ابن جريج كلها عن عطاء محمولة على السماع، إلا ما تبين تدليسه فيه، والله أعلم[2].

فهذا يدل على قبول رواية ابن جريج عن عطاء مطلقاً، صرّح ذلك بالسماع أم لم يُصرّح، كما تقدّم.

فتبقى مسألة مهمة، وهي هل سمع ابن جريج من عطاء بن أبي رباح التفسير كما سمع منه الحديث؟

أقول: قد أخذ ابن جريج التفسير عن عطاء بن أبي رباح لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران، وما عدا ذلك يكون هو الخراساني، وهو- أي الخراساني- لم يسمع من ابن عباس، فيكون منقطعاً، إلا إن صرح ابن جريج بأنه عطاء بن أبي رباح[3].

ففي رواية الأسانيد الثلاثة، ذُكِرَ عطاء من دون تمييز، فكيف نُميز بين عطاء بن أبي رباح وعطاء بن أبي مسلم الخراساني؟

---

(1) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦٠.

(2) إرواء الغليل ٣/ ٩٧ رقم الحديث (٦٢٩)، والسلسلة الصحيحة ١/ ٥٢ حديث رقم (٣٦).

(3) ينظر: العجاب ١/ ٢٠٨.

ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح هذا التفصيل، وبيّن كيف حصل اللبس بين الرجلين، فقال: قال الإسماعيلي: أُخبرتُ عن علي بن المديني أنه ذُكرَ عن تفسير ابن جريج كلاماً معناه أنه كان يقول: عن عطاء الخراساني عن ابن عباس، فطال على الوراق أن يكتب الخراساني في كل حديث، فتركه فرواه من روى على أنه عطاء بن أبي رباح انتهى. وأشار بهذه القصة التي ذكرها صالح بن أحمد عن علي بن المديني ونبّه عليها أبو علي الجياني في تقييد المهمل[1]، قال ابن المديني: سمعت هشام بن يوسف يقول: قال لي ابن جريج: سألت عطاءً عن التفسير من البقرة وآل عمران ثم قال: اعفني من هذا. قال: قال هشام: فكان بعد إذا قال عطاء عن ابن عباس، قال عطاء الخراساني. قال هشام: فكتبنا ثم مللنا، يعني كتبنا الخراساني. قال ابن المديني وإنما بينت هذا لأن محمد بن ثور يجعلها- يعني في روايته عن ابن جريج- عن عطاء عن ابن عباس، فيظن أنه عطاء بن أبي رباح[2].

هذا يعني أن ابن جريج سمع التفسير من عطاء بن أبي رباح، لكن ليس التفسير كله وإنما فيما يخص البقرة وآل عمران، ثم قال له عطاء بن أبي رباح: اعفني، وقوله هذا يُحمل على عدة أمور منها:

١- أن عطاء بن أبي رباح كان متورعاً في قول التفسير ولا يريد أن يكون من المكثرين، وكل مسألة لا يعرفها يحيلها إلى علم الله، فقد قال عبد العزيز بن رفيع: سُئل عطاء عن مسألة،

---

(١) ينظر: التنبيه على الأوهام ص ٢٧٣.

(٢) فتح الباري ٨/ ٨٥١ رقم الحديث (٤٩٢٠).

فقال: لا أدري فقيل له: ألا تقول فيها برأيك؟ قال: إني أستحي من الله أن يدان في الأرض برأيي[1].

٢- أن عطاء بن أبي رباح كان مشتغلاً عنه، فطلب إعفاءه.

٣- أن يكون عطاء بن أبي رباح ليس معه من علم التفسير إلا هاتين السورتين، وهذا بعيد جداً، فقد سمع التفسير من ابن عباس، وكان أعلم أهل مكة به. ومع هذا فقد ثبت عن ابن جريج في غير موضع من القرآن أنه سأل عطاء بن أبي رباح في التفسير فأجابه.

وعلى هذا يحمل كلام الحافظ ابن الحجر أنه إن صرح ابن جريج بالسماع عن عطاء بن أبي رباح في غير البقرة وآل عمران يقبل، وإن لم يصرح فهو عطاء بن أبي مسلم الخراساني.

وفي كتاب "غريب القرآن" سورة البقرة وآل عمران وغيرهما، فيكون عطاء هو الخراساني وليس ابن أبي رباح؛ لأن رواية ابن جريج بلفظ كانت لم يصرح فيه بالسماع، فقد قال: "عن عطاء"، ولهذا قد يقول قائل: إذا كانت رواية ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح مقبولة فيما يرويه من التفسير في سورتي البقرة وآل عمران، فلماذا لا نقبل ما جاء في السورتين من هذا الكتاب على أنه من عطاء بن أبي رباح، وما زيد عليها، فهي لعطاء بن أبي مسلم الخراساني، أضافها الرواة وهماً منهم أنه عطاء بن أبي رباح؟

---

(1) ينظر: تهذيب التهذيب ٧/ ١٨١.

أقول: وعلى فرض ذلك فإنه قد وجدت علة الانقطاع ما بين أحمد بـن محمـد بـن سعيد بن أبان القرشي وبين ابن جريج، وهذا كفيل برد الرواية على من جمعها بهذا الإسناد.

مبلغ رواية ابن جريج عن عطاء الخراساني من الصحة:

روايـة ابـن جـريج عـن عطـاء بن مسلم الخراساني ضعيفة لأنه لم يـسمع منه التفسير، وإنما أخذ كتابه من ابنه فرواه. قال الحافظ ابن حجـر في الفتح: "وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني وإنما أخذه من ابنه عثمان بن عطاء فنظر فيه. وذكر صالح بن أحمد بـن حنـبل في "العلـل" عـن علي بن المديني قال: سألت يحيى القطان عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني، فقال: ضعيف. فقلت: إنـه يقـول: أخـبرنا. قـال: لا شـيء، وإنمـا هـو كـتاب دفعـه إليه، انتهى"[1].

وجـاء في "جامع التحصيل": "وقال يحيى بن سعيد القطان: ابن جريج عن عطاء الخراساني ضعيف، إنما هو كتاب دفعه إليه"[2].

وبهـذا ترد رواية ابن جريج لأنه روى ممن لم يسمع منه، وهو عطاء بن أبي مسلم الخراساني ورواية هذا الكتاب من هذه الطريق.

---

(1) فتح الباري ٨/ ٨٥١ برقم (٤٩٢٠).

(2) جامع التحصيل ص ٢٣٠ ترجمة (٤٧٢).

ج- عطاء:

ثالث رجال السند هو عطاء، فإما أن يكون عطاء بن أبي رباح، فهو ثقة فقيه فاضل[1]، وقد روى عنه ابن جريج التفسير في سورتي البقرة وآل عمران، وما عدا ذلك فلم يسمع منه التفسير إلا إن صرح بالسماع منه[2].

وإما أن يكون عطاء بن أبي مسلم الخراساني، فقد وثقه الأئمة الحفاظ، وضعفه بعضهم من جهة حفظه وربما بسبب إرساله عن الصحابة، فهو لم يسمع من أحد من الصحابة.

وعلى هذا تكون روايته عن ابن عباس منقطعة فهو ثقة في نفسه ولم يلقَ ابن عباس ولم يسمع منه[3].

وبهذه العلة -أي الإرسال- ترد رواية الأسانيد الثلاثة لكتاب "غريب القرآن" ولا تصح نسبتها إلى ابن عباس، وتبقى منسوبة إلى جامعها محمد بن محمد المرتضى إلى أن يكشف عن أصحابها الحقيقيين.

ثانياً: محتوى الكتاب:

تصدر كتاب "غريب القرآن" بتفسير قول الله- تعالى-: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء/ ١٩٥] فقال ابن عباس: بلسان قريش، ولو كان

---

(١) ينظر: التقريب ص٦٧٧ ترجمة (٤٦٢٣).

(٢) ينظر: العجاب ١/ ٢٠٨.

(٣) ينظر: شرح علل الترمذي ٢/ ٨٧٧، وجامع التحصيل ص٢٣٨ ترجمة (٥٢٢)، وفتح الباري ٨/ ٨٦٥ رقم الحديث (٤٩٢٤)، وميزان الاعتدال ٣/ ٧٣-٧٥.

غير عربي ما فهموه، وما أنزل الله- عز وجل- من السماء كتاباً إلا بالعربية، فكان جبرائيل- عليه السلام- يترجم لكل نبي بلسان قومه ليُبيّن لهم وذلك أن الله- تبارك وتعالى- يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم/ ٤] وليس لسان من ألسنة الأمم أوسع من لسان العرب. والقرآن ليس فيه لغة غير لغة العرب، ورُبما وافقت اللغة اللغات. فأما الأصل والجنس فعربي لا يُخالطهُ شيء، والقرآن عربي[1].

وعند موازنة هذا النص بكتب التفسير المشهورة بالمأثور وغيره عند الآية {٤} من سورة إبراهيم، والآية (١٩٥) من سورة الشعراء؛ المذكورتين في النص لم نجد هذا التفسير مطلقاً منسوباً إلى ابن عباس، وبعضها تذكر قول ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه[2].

وبعضها تذكر قول سفيان الثوري: لم ينزل وحي إلا بالعربية، ثم يُترجم كل نبي لقومه بلسانهم قال: ولسان يوم القيامة السريانية، ومن دخل الجنة تكلم بالعربية[3].

أما في تفسير (الدر المنثور) فقد ذكر السيوطي، أثراً نحواً من ذلك، فقال: أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس؛ قال: كان جبريل- عليه السلام- يُوحى إليه بالعربية، وينزل هو إلى كل نبي بلسان قومه[4]. وهذا الأثر ضعيف لأنه من

---

(١) غريب القرآن ص٣٧-٣٨.

(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٣/ ٣٩٨، وزاد المسير ٦/ ٥٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٦٣.

(٤) الدر المنثور ٣/ ١٣١.

طريق الكلبي عن أبي صالح، وقد عُرِفَت هذه الطريق بالضعف كما مر بنا سابقاً.

وجاء نحوه في (موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة): "ما أنزل الله وحياً إلا بالعربية، ثم يبلغه إلى قومه بلسانه"[1]. وذكره ابن الجوزي في (الموضوعات) من حديث أبي هُريرة، قوله: "والذي نفسي بيده ما أنزل الله من وحي قط على نبي بينه وبينه إلا بالعربية ثم يكون هو بعد يبلغه قومه بلسانهم"[2].

فعدم شهرة هذا التفسير عن ابن عباس في الكتب المعتمدة، وضعفها من هذه الطريق، إضافة إلى كونها جاءت من طريق آخر عن أبي هُريرة، يُضعف نسبتها إلى ابن عباس لما عرف عنه في كتب التفسير مخالفاً لذلك. وكذلك ما جاء في بعض نسخ المخطوطة لكتاب "غريب القرآن" أن ابن عباس قال بدل العربية: العبرية، وهذا من الاضطراب في القول مما يدعم رد الرواية عنه[3].

وفي العبارة الأخيرة يُلاحظ فيها التكلّف في إثبات عربية الألفاظ في القرآن الكريم، فقوله: "وليس لسان من ألسنة الأمم أوسع من لسان العرب، والقرآن ليس فيه غير لغة العرب، ورُبما وافقت اللغة اللغات، فأما الأصل والجنس فعربي لا يُخالطهُ شيء، والقرآن عربي"[4] فيها تناقض بيّن بين محتوى الكتاب وهو اللغات في القرآن

---

(1) موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة ٨/ ٤٧٥ رقم (٢١٦٣٢).

(2) الموضوعات ١/ ١١٢، وذخيرة الحفاظ ٤/ ٢٠٦٦، والكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٢٥١.

(3) ينظر: غريب القرآن ص٣٧.

(4) نفسه ص٣٧-٣٨.

وبـين قوله نزل بلغة قريش، وبينه وبين قوله: "والقرآن ليس فيه غير لغـة العـرب" ثـم يعتذر، فيقول: "وربما وافقت اللغة اللغات" ويعود، فـيقول: "فأمـا الأصـل والجـنس فعربـي لا يُخالطهُ شيء"، ثم يُؤكد بقـوله: "والقـرآن عربـي". هـذه التراكيب كلها ليست من صنيع ابن عباس فإنه لم يتكلّف هذا التركيب لعدة أسباب منها:

١- أن خـلاف العلمـاء في جـنس بعـض مفـردات القرآن، أهي عـربية أم لا؟ لم يكـن في عـصر ابـن عـباس وإنمـا كان وليد العصور المتأخرة.

٢- أن علـم ابـن عباس بلغة القرآن أنه نزل بلغة قريش، وبعض لغـات القبائل، لم يحمله على الجزم بعدم وجود لغات أجنبية عن العربية، فقد ثبت أنه قال في عدة مواضع من القرآن: إنه نزل بالحبشية، والعبرية، والسريانية، دون قوله: وافق لغة كذا وكذا.

٣- أن قول ابن عباس في هذا الكتاب عند تفسير بعض المفردات فيما هو من لغات العرب: هو بلغة كذا، وإذا جاء على لفظ بغـير لغـة عربية، قال: وافقت لغة العرب في هذا الحرف لغة كـذا[1]. وهـذا يُعَـدُ مـن تحـرّي التمييز بين ما هو لغة عربية وأخـرى أعجمـية فلم يؤثر عن ابن عباس فيما اشتهر به من تفسير، وإنما أثر عنه أنه إن وجد لفظاً بلغة تُخالف لغة قريش قـال: هـو بمعنى كذا بلغة كذا، سواء كان اللفظ والمعنى بلغة عربية أم أعجمية.

---

(١) ينظر: غريب القرآن، ص ٣٧.

وضعف هذا الكتاب لا يُفقدهُ القيمة العلمية التي فيه ، وإنما الشيء الذي لا قيمة فيهِ هو نسبتهُ إلى ابن عباس ، ولا يعني هذا أنه لم يتناول اللهجات العربية واللغات الأعجمية التي وردت في القرآن فقد ورد عنه الشيء الكثير في كتب معتمدة ترفع إلى ابن عباس بعض الأقوال التي تعبّر عن معرفة حسنة بشيء من لهجات العرب، لأن عناية ابن عباس بتفسير القرآن وتأويلهِ وحل مُشكلهِ واهتمامهِ البالغ برواية الشعر يجعل صدور بعض الملاحظات اللهجية عنهُ أمرا طبيعياً ومتوقعاً، بل إن ابن عباس نفسهُ أفاد من تعدد اللهجات العربية في الإمكانات التنويعية للدلالات المعجمية والسياقية[1].

وهذه الروايات -إن صح عشرها- كانت كفيلة لعمل دراسات لهجية للغة العربية، وكذا دراسات موازنة بين العربية وغيرها من اللغات الأعجمية كالحبشية والسريانية والعبرية. وتأكيداً لهذه الحقيقة يُمكن أن نسوق جملة من الأمثلة التي نرى فيها تمثيلاً لهذا الجانب من ذلك نذكر:

ما ورد عنه يشير إلى اهتمامه البالغ بالوقوف على معاني الكلمة الواحدة عند قبائل مختلفة، ومن ذلك ما ذكره القرطبي عن ابن عباس أنه قال: (الكنود) بلسان كندة حضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومضر: الكفور، وبلسان كنانة: البخيل السيئ الملكة[2]. وذكر نحوه الحافظ ابن حجر في الفتح[3].

---

(١) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص٩٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٦٠.

(٣) ينظر: فتح الباري ٨/ ٩٢٩.

وأخرج أبو عبيد من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُوْنَ﴾ [النجم/ ٦١]، قال: الغناء وهي يمانية[١].

وأجمل من ذلك ما رواه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر/ ٥١]، قال: هو بالعربية الأسد، وبالفارسية شار، وبالنبطية أريا، وبالحبشية قسورة[٢]. فهو لا يكتفي بذكر معنى الكلمة من أي لغة كانت، بل يوازن بينها- إن كانت عربية- وبين أخواتها من العربية، وبينها وبين لغات أخرى إن كانت غير عربية، فلله درهُ من عالم!

ويزاد على ذلك الآثار العلمية التي نُسِبَتْ إلى عبد الله بن عباس كتب جمعت أقواله على نحو من التفسير والفتوى منها:

١- كتاب في الوجوه والنظائر ينسب إلى عكرمة عن ابن عباس[٣].

٢- كتاب آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٤]. وهذان الكتابان ذكرهما ابن الجوزي في كتابه نُزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ولعله يقصد بهما كتابي التفسير. وقد ذكر الحافظ ابن حجر ممن روى التفسير عن ابن عباس فكان منهم عكرمة مولاه[٥].

---

(١) الإتقان ٢/ ٨٩، والدر المنثور ٦/ ١٣٧.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٣٢٢.

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر ص٨٢.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العجاب ١/ ٢٠٤.

٣- تفسير ابن عباس مختصر وممزوج[(١)]. ولعله يقصد به تنوير المقباس، أو التفسير الذي روي من طريق أبي روق عن الضحّاك عن ابن عباس[(٢)].

٤- تفسير العوفي، وهو من الكتب التي أسندت إلى ابن عباس[(٣)].

٥- تفسير الكلبي، وقد نسب إسناد هذا الكتاب من جميع طرقهِ إلى ابن عباس[(٤)].

٦- تفسير الضحاّك بن مزاحم مسنداً إلى ابن عباس[(٥)].

٧- تفسير سعيد بن جُبير بروايته عن ابن عباس[(٦)].

٨- تفسير مجاهد بن جبر المكي بروايته عن ابن عباس[(٧)].

٩- التفسير الذي جمعه موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني، وهو قدر مجلدين يسندهُ إلى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وهو من التفاسير الواهية لوهاء رواتها[(٨)].

١٠- تفسير السدّي الكبير جمع التفسير من طُرق عن ابن عباس[(٩)].

١١- تفسير عطاء بن دينار روى عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس تفسيراً وفيهِ لين[(١٠)].

---

(١) ينظر: كشف الظنون ١/٤٣٨.

(٢) ينظر: أبو زرعة وجهوده في السنة النبوية ١/ ١٩٥.

(٣) ينظر: السابق ١/ ٤٥٤.

(٤) ينظر: العجاب ١/ ٢٠٩، وكشف الظنون ١/ ٤٥٧.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: أبو زرعة وجهوده في السنة النبوية ١/ ١٩٤.

(٧) ينظر: العجاب ١/ ٢٠٤.

(٨) نفسه ١/ ٢٢٠.

(٩) العجاب ١/ ٢١١، و أبو زرعة وجهوده في السنة النبوية ١/ ١٩٣.

(١٠) العجاب ١/ ٢١٤.

١٢- تفسير عطاء بن أبي رباح بسنده إلى ابن عباس[(١)].

١٣- تفسير عطاء بن أبي مسلم الخراساني، وهو تفسير جمعهُ عثمان بن عطاء عن أبيه وأسنده إلى ابن عباس. ولم يسمع أبوه من ابن عباس[(٢)].

١٤- التفسير الذي جمعهُ إسماعيل بن أبي زياد الشامي، وهو ضعيف، وهو تفسير كبير فيهِ الصحيح والسقيم، وهو في عصر أتباع التابعين، يروي هذا التفسير عن ابن عباس[(٣)].

١٥- تفسير إبراهيم بن الحكَم بن أبان العدني، وهو من الضُعفاء يروي التفسير عن ابن عباس[(٤)].

١٦- تفسير قتادة فيما يرويهِ عن ابن عباس[(٥)].

١٧- تفسير مُقاتل بن حيّان يسند بعضها إلى ابن عباس[(٦)].

١٨- تفسير مُقاتل بن سُليمان يسند بعضها ابن عباس[(٧)].

١٩- ويُنسب إلى ابن عباس كتابٌ جُمعت فيهِ فتاويهِ في عشرين مجلداً، جمعها أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون، ذكرها عبد القادر في فرائد الجواهر، وغيره[(٨)].

---

(١) العجاب ١/ ٢١١، وأبو زرعة وجهوده في السنة النبوية ١/ ١٩٣.

(٢) السابق.

(٣) نفسه ١/ ٢١٣.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه ١/ ٢١٤، و أبو زرعة وجهوده في السنة النبوية ١/ ١٩٥.

(٦) العجاب ١/ ٢١٦.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: اعلام الموقعين ١/ ٢١، وكشف الظنون ٢/ ١٢٢٦، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٤٩.

٢٠- وهـناك كتاب بعنوان (الإسراء والمعراج) منتشر في الأسواق مجهول المـصدر ينـسب إلى ابن عباس، وعند النظر في محتوى الكتاب وجد فيه كثير من المخالفات للروايات الثابتة عن الإسراء والمعراج يطول الحـديث في ذكرها؛ حتى أن بعض الكتَّاب قد أضاف أحاديث من الصحيحين إلى الكتاب ليكتسب قبولاً عند العامة ويلقى رواجاً في الأسواق[1].

وهـذا الكـتاب لا تـصح نـسبته إلى ابن عباس، وكأنه مقتبس من أحـد الكتب التي تحدثت عن الإسراء والمعراج، غير أني لم أعثر على تلك الكتب سالفة الذكر التي تجعلني أجزم في المسألة.

وهـذه الكـتب كلها التي جمعها أصحابها ونسبُوها إلى ابن عباس، مـنها مـا هو الصحيح ومنها ما هو الضعيف، ومنها ما يقف بها أصحابها علـى أقـوالهم، ويُنـسب بعضها إلى ابن عباس، وبعضهم ينسِبها إليه دون سماعهـا عـنهُ. فهذه الكتب تُنسَبُ إليه وهي مختلطة بأقوال أصحابها ولا يتميّز قول ابن عباس إلا بصحة الرواية عنهُ.

---

(١) ينظر: الإسراء والمعراج المنسوب إلى ابن عباس.

الفصل الثالث

(آراؤه الصرفية والنحوية)

المبحث الأول

آراؤه الصرفية

يُعد علم التصريف من أجلّ علوم العربية، وهو الركيزة الأساسية في معرفة المعاني المتشعبة عن المعنى الواحد وتكمن فائدته في هذا. قال الزركشي: "وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد؛ فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة؛ لأن التصريف في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها"[1].

وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر، قال ابن فارس: "من فاته علمه فاته المعظم؛ لأنا نقول "وَجَدَ" كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت، فقلنا في المال: "وُجْداً" وفي الضالة: "وُجْدَاناً" وفي الغضب "مَوْجِدَةً" وفي الحزن "وَجْداً"، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن/ ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات/ ٩]؛ فانظر كيف تحول المعنى في التصريف من الجور إلى العدل"[2].

والتصريف هو تصيير الكلمة على خلاف ما كانت عليه في الصيغة وهذا يندرج تحته القياس اللغوي، والاشتقاق، وأبواب التصريف المعروفة من إعلال وإبدال وزيادة وحذف ونحوها[3].

---

(١) البرهان ١/ ٢٩٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: مناهج الصرفيين ومذاهبهم ص ١٦.

وقال ابن عصفور: "وقد كان ينبغي أن يُقدم علم التصريف عن غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلمة في أنفسها من غير تركيب. ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب إلا أنه أُخِّر للطفه ودقته، فجعل ما قدم عليه من ذكر العوامل توطئة له، حتى لا يصل إليه الطالب، إلا وهو قد تدرب، وارتاض للقياس"[1].

وعند البحث عن آراء ابن عباس في مجال التصريف وفروعه لا نجد تلك المصطلحات الناضجة لهذا الفن، ولكن هناك لمسات لطيفة له بينت مدى معرفته بهذا العلم؛ إذ إن مصطلحات الصرف لم تظهر في عهده، لكن آراؤه وأقواله في الاشتقاق وتوجيه القراءات والاحتجاج لها كان نابعا عن الحس المرهف بهذا الفن لذلك اعتمد كثير ممن جاء بعده ممن أصلّ لعلم التصريف على أقواله وآرائه.

وقد جمعتُ من أقواله ما كان في باب الاشتقاق أو الاحتجاج للقراءات التي تعتمد على البنية الصرفية للمفردات القرآنية، وإن كان بعض الباحثين يعد أمر الاشتقاق من مباحث فقه اللغة، لكني لم أتناول تقسيماته كالاشتقاق الصغير والكبير والأكبر، وإن كان بين الاشتقاق والتصريف واللغة نسب وثيق، فقد عقد ابن جني في كتابه "المنصف" فصلاً يوضح فيه الصلة بين التصريف والاشتقاق والنحو واللغة، فقال: "وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسباً قريباً واتصالاً شديداً، لأن التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى،

(1) الممتع في التصريف ١/ ٣٠-٣١.

مثال ذلك أن تأتي إلى ضرب فتبني منه مثل جعفر فتقول: ضَرْبَب، ومثل قِمَطْر: ضِرَبْ ومثل دِرْهَم: ضِرْبَب، ومثل عَلِم: ضَرِب، ومثل ظَرُف: ضَرُبَ. أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة؟[1].

وقال: وكذلك الاشتقاق أيضاً، ألا ترى أنك تجيء إلى الضَرْب الذي هو المصدر فتشتق منه الماضي، فتقول: ضَرَبَ، ثم تشتق منه المضارع فتقول: يَضْرِبُ ثم تقول في اسم الفاعل: ضَارِبٌ؟ وعلى هذا ما أشبه هذه الكلمة فمن ها هنا تقاربا واشتبكا[2].

وقال: إلا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق، يدلك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا و التصريف في آخره، والاشتقاق إنما يمر بك في كتب النحو منه ألفاظ مشردة لا يكاد يعقد لها باب[3].

وكذلك قال محمد صديق حسن خان: واعلم أن مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة، وانتساب بعض إلى بعض على وجه كلي؛ إن كان في الجوهر فالاشتقاق، وإن كان في الهيئة فالصرف.

فظهر الفرق بين العلوم الثلاثة– يعني اللغة والاشتقاق والصرف– وأن الاشتقاق واسطة بينها، ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف وتأخيره عن اللغة في التعليم.

---

(1) المنصف لابن جني ١/ ٣ وما بعدها.

(2) نفسه ١/ ٤.

(3) نفسه.

ثـم إنه كثيراً ما يذكر في كتب التصريف، وقلما يدوّن مفرداً عنه؛ إما لقلة قواعده، أو لاشتراكها في المبادئ. حتى أن هذا من جملة البواعث على اتحادهما. والاتحاد في التدوين لا يستلزم الاتحاد في نفس الأمر[1].

فـيكون بـذلك التـصريف أعم من الاشتقاق وهو داخل فيه، قال الـسيوطي : قـال في شـرح التـسهيل أيضاً: التصريف أعم من الاشتقاق؛ لأن بـناء مـثل قَـرْدَدَ من الضرب يسمى تصريفاً، ولا يسمى اشتقاقاً لأنه خاص بما بنته العرب[2].

لذا رتبتُ آراء ابن عباس في الصرف ابتداءً من الاشتقاق وملحقاً به أقواله في حجة القراءات وغيرها.

آراؤه في الاشتقاق:

١- في اشتقاق (إنسان):

روي عـن ابـن عباس أنه قال: إنما سُمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فنسي[3].

فهـو يرى اشتقاق الإنسان من النسيان، وقوله هذا جاء من تفسير قـوله تعـالى: **﴿وَلَقَـدْ عَهِـدْنَا إِلَـى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَـمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾** [طه/ ١١٥].

قـال ابـن الجـوزي: وذهـب إلى هـذا قـوم من المفسرين من أهل اللغـة، واحـتجوا في ذلـك بتصغير إنسان، وذلك أن العرب تصغره على

(١) العلم الخفاق من علم الاشتقاق ص ٦٨.

(٢) المزهر ١/ ٢٧٨.

(٣) الطبري ٨/ ٤٦٥، وتفسير القرآن للسمعاني ٣/ ٣٥٨، وأضواء البيان ٤/ ٣٩٣.

"أنيسيان" بزيادة ياء، كأن مكبره "إنسيان" إفعِلان، من النسيان، ثم تحذف الياء مكبرة استخفافاً لكثرة ما يجري على اللسان، فإذا صغر رجعت الياء ورُدَّ ذلك إلى أصله؛ لأنه لا يكثر مصغراً كما لا يكثر مكبراً"[1].

وهذا مذهب أهل الكوفة، أما البصريين فإنهم ذهبوا إلى أنه مأخوذ من "الإنس" وسُمي الإنس إنساً لظهورهم، كما سُمي الجن جناً لاجتنانهم. وقالوا: يجوز أن يكون سمي الإنس إنساً لأن هذا الجنس يستأنس به، ويوجد فيه من الإنس وعدم الاستيحاش ما لا يوجد في غيره من سائر الحيوان[2].

وذهب ابن سيدة في (المخصص)، وكذا ابن القيم في (بدائع الفوائد) مذهب البصريين، وقد ناقش ابن سيدة المسألة في كتابه (المخصص) إلا أنه قد وجد في أصل كتابه بياض يحول دون الإفادة من كلامه كاملاً، أما ابن القيم فقد ذكر في كتابه (بدائع الفوائد) نحو ما قال ابن سيده وناقش المسألة ورجح قول البصريين وانتصر له، فقال: "وأما الناس فبينه وبين الإنس مناسبة في اللفظ والمعنى، وبينهما اشتقاق أوسط، وهو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد، والإنس والإنسان مشتق من الإيناس، وهو الرؤية والإحساس ومنه قوله: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾ [القصص/ ٢٩] أي رآها، ومنه: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً﴾ [النساء/ ٦] أي أحسستموه ورأيتموه، فالإنسان سُمي إنساناً لأنه يونس أي يُرَى بالعين، والناس فيه قولان: أحدهما أنه مقلوب من أنس، وهو بعيد، والأصل عدم القلب، والثاني وهو الصحيح أنه من النوس وهو الحركة

(١) نزهة الأعين النواظر ص ١٧٧.

(٢) ينظر: الإنصاف ٢/ ٨١١-٨١٢.

المتـابعة فـسمي الـناس ناساً للحركة الظاهرة والباطنة، كما سمي الرجل حارثاً وهماماً، وهما أصدق الأسماء كما قال النبي -ﷺ- لأن كل أحد له هـم وإرادة، وهـي مـبدأ وحـرث وعمـل هـو منتهـى، فكل أحد حارث وهمام، والحرث والهم حركتا الظاهر والباطن، وهو حقيقة النوس وأصل نـاس نـوَسٌ، تحركت الواو وقبلها فتحة فصارت ألفاً. هذان هما القولان المـشهوران في اشـتقاق الناس، وأما قول بعضهم إنه من النسيان، وسمي الإنـسان إنـساناً لنـسيانه، وكـذلك الـناس سمـو أناساً، فليس هذا القول بـشيء، وأين النسيان الذي مادته (ن س ي) إلى الناس الذي مادته (ن و س)؟، وكذلك أين هو من الإنس الذي مادته (أ ن س)؟.

وأمـا إنـسان فهـو فِعْـلان من (أ ن س) والألف والنون في آخره زائدتان لا يجوز فيه غير هذا البتة إذ ليس في كلامهم أنسن حتى لا يكون إنــساناً وإفعـالاً منه، ولا يجوز أن يكون الألف والنون في أوله زائدتين إذ لـيس في كلامهــم انفعل فيتعين أنه فِعلان من الإنس، ولو كان مشتقاً من نـسي لكان نسياناً لا إنساناً، فإن قلت فهلاً جعلته إفعلالاً، وأصله إنسيان كلـيلة إضـحيان ثـم حـذفت الـياء تخفـيفاً فصار إنساناً، قلت: يأبى ذلك إفْعِـلال[1] في كلامهـم وحـذف الـياء بغـير سـبب ودعوى ما لا نظير له وذلك كله فاسد على أن الناس قد قيل إن أصله الأناس فحذفت الهمزة، فقيل الناس، واستدل بقول الشاعر:

إنَّ المَنَايَا يَطْلَعْنَ عَلَى الأُنَاسِ الْغَافِلِينَا

(1) الـصحيح (إفْعِـلان) لأن المحـذوف هـو لام الكلمة (الياء) التي تقابل في الوزن اللام أي أن (إنسيان) على (إفعلان).

ولا ريب أن أناساً فعال، ولا يجوز فيه غير ذلك البتة فإن كان أصل ناس أناساً فهو أقوى الأدلة على أنه من أنس، ويكون الناس كالإنسان سواء في الاشتقاق، ويكون وزن ناس على هذا (عال) لأن المحذوف فاؤه، وعلى القول الأول يكون وزنه (فعل) لأنه من النوس. وعلى القول الضعيف يكون وزنه (فلع) لأنه من نسي فقلبت لامه إلى موضع العين فصار ناساً ووزنه (فلعاً)"[1]. وعلى نحو ما قاله ابن القيم ذكره ابن سيدة في (المخصص)[2].

وقال الأزهري: "وإنسان في الأصل إنسيان، وهو فِعْلِيان من الإنس والألف فيه فاء الفعل، وعلى مثاله حِرْصِيَان لأنه يحرص أي يقشر؛ ومنه أخذت الحارصة من الشِّجاح، يقال: رجل حِذْرِيَان إذا كان حَذِراً"[3].

وقال الجوهري: "وتقدير إنسان فِعْلان، وإنما زيد في تصغيره ياء كما زيد في تصغير رَجُل فقيل: رُوَيْجل. وقال قوم: أصله إنسيان على إفْعِلان، فحذفت الياء استخفافاً لكثرة ما يجري على ألسنتهم، فإذا صغروه ردوها، لأن التصغير لا يَكْثُر؛ واستدلوا عليه بقول ابن عباس– رضي الله عنهما– إنه قال: إنما سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسي"[4].

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٢٦٤–٢٦٥.

(٢) ينظر: المخصص لابن سيدة ١/ ١٦.

(٣) لسان العرب مادة (أنس) ١/ ٢٣٢.

(٤) الصحاح مادة (أنس) ١/ ٧٢٠.

وقال أبو منصور: إذا كان الإنسان في الأصل إنسيان، فهو إفعِلان مـن النسيان، وقول ابن عباس حجة قوية له، وهو مثل: ليل إضحيان من ضَحِيَ يَضْحَى، وقد حذفت الياء فقيل إنسان[1].

وقول ابن القيم: "... وحذف الياء بغير سبب، ودعوى ما لا نظير لـه وذلـك كلـه فاسد ..." فيه نظر؛ لأن العرب قد حذفت حروفاً من غير سبب عـبر عـنه الصرفيون بقولهم: حذف اعتباطاً، نحو: يد، ودم، وأب، وأخ، وفـم، وغيرهـا كـثير. وقد حذفت العرب حروفاً تخفيفاً كالهمزة من مـضارع (أكرم)، فنقول: يكرم، ولم يكن ذلك فاسداً وكون حذف الياء لا نظـير لـه بعـيد جداً، فقد وجد لها نظير ذكر منها هو نفسه: ليلة إضحيان ومع ذلك فإن العرب قاطبة قالوا في تصغير إنسان: أنيسيان، ومعروف أن التـصغير يـرد الكلمـات إلى أصـولها، وقـد ردت الـياء في التصغير فقيل: أنيـسيان للدلالـة علـى أصـلها، فـالأولى للتـصغير والثانية أصلية حذفت تخفيفاً.

ويـؤكد مـا ذهب إليه ابن عباس أن الإنسان من النسيان، ما رواه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: لما خلق الله آدم مسح علـى ظهـره، فـسقط مـن ظهـره كـل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القـيامة، وجعـل بـين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، عرضهم على آدم فقـال: أي رب مـن هـؤلاء؟ قـال: هـؤلاء ذريتك. فرأى رجل منهم فأعجـبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود. قال: رب وكم جعلتَ عمره؟

---

(1) الصحاح مادة (أنس) ١/ ٧٢٠.

قـال: سـتين سنة- وفي رواية أربعين سنة- قال: أي رب زدهُ من عمـري أربعـين سنة- وفي رواية ستين سنة-، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملـك المـوت، فقال: أولم يبقَ من عمري أربعون سنة؟- وفي رواية ستون سـنة- قـال: أولم تعطهـا لابـنك داود؟ قال: جحد آدم، فجحدت ذريته، ونسي آدم ونسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته"[1].

وعمـوماً قـد يـصدق اشـتقاق الإنـسان علـى الكـل، وقد يكون بعضها أوجه في الحجة من بعض، وأيًا كان اشتقاق الإنسان من النوس أو الإنـس أو النسيان، فإننا نستطيع أن نقول إن ابن عباس قد ساهم في هذا الجانب وكان رأيه أساس مذهب الكوفيين ومن أخذ برأيهم.

٢- في اشتقاق آدم:

روي عـن ابن عباس أنه قال: "بعث رب العزة ملك الموت، فأخذ مـن أديم الأرض، من عذبها ومالحها، فخلق منه آدم، ومن ثم سمي آدم؛ لأنه خلق من أديم الأرض"[2].

ويـؤيد ما روي عن ابن عباس ما أخرجه الترمذي في جامعه عن أبـي موسـى الأشـعري قـال: قال رسول الله -ﷺ-: "إن الله خلق آدم من قبـضة قبـضها مـن جميع الأرض، فجـاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود والسهل والحزن والخبيث والطيب"[3].

---

(١) تحفـة الأحـوذي ٩/ ٢١٥ بـرقم (٣٥٩١)، ٨/ ٣٦٣ برقم (٣٢٧٣)، والصحيح المسند من دلائل النبوة ص ٢٤٧.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٥١، والدر المنثور ١/ ١٠٠.

(٣) تفسير الطبري ١/ ٢٥١، وتحفة الأحوذي ٨/ ٢٩٠، والصحيح المسند من دلائل النبوة ص ٢٤٦-٢٤٧.

قال ابن جرير الطبري: "فعلى التأويل الذي تأول آدم من تأوله، بمعنى أنه خلق من أديم الأرض، يجب أن يكون أصل آدم فعلاً سمي به أبو البشر، كما سمي أحمد فالفعل من الإحماد وأسعد من الإسعاد، فلذلك لم يجز ويكون تأويله حينئذ: آدمَ الملكُ الأرضَ، يعني به بلغ أدمتها، وأدمتها وجهها الظاهر لرأي العين، كما أن جلدة كل ذي جلدة له أدمة. ومن ذلك سمي الإدام إداماً؛ لأنه صار كالجلدة العليا مما هي منه، ثم نقل من الفعل فجعل اسماً للشخص بعينه"[1].

قال القرطبي: "واختلف في اشتقاقه؛ فقيل: هو مشتق من أدمة الأرض وأديمها وهو وجهها، فسمي بما خلق منه؛ قاله ابن عباس. وقيل: إنه مشتق من الأُدْمَة وهي السمرة. واختلفوا في الأُدْمَة، فزعم الضحاك أنها السمرة، وزعم النَّضْر أنها البياض، وأن آدم- عليه السلام- كان أبيض؛ مأخوذ من قولهم: ناقة أدْماءُ، إذا كانت بيضاء. وعلى هذه الاشتقاق جمعه أُدْمٌ وأَوَادِم؛ كحُمْر وأحَامِر، ولا ينصرف بوجه. وعلى أنه مشتق من الأَدَمَة جمعه آدمون؛ ويلزم قائلو هذه المقالة صرفه"[2].

قال الألوسي: "و(آدم) صرح الجواليقي وكثيرون أنه عربي ووزنه أفعل من الأدمة- بضم فسكون- السمرة، ويا ما أحيلاها في بعض، وفسرها أناس بالبياض أو الأدَمَة- بفتحتين- الأسوة والقدوة أو من أديم الأرض ما ظهر منها. وقد أخرج أحمد والترمذي وصححه غير واحد أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها، فخلق منها آدم

(1) تفسير الطبري ١/ ٢٥٢.

(2) تفسير القرطبي ١/ ٢٩٤.

فلذلك تأتي بنوه أخيافاً، أو من الأدم أو الأدمة، الموافقة والألفة، وأصله أأدم- بهمزتين- فأبدلت الثانية ألفاً لسكونها بعد فتحة، وضع صرفه للعلمية ووزن الفعل. وقيل أعجمي ووزنه فاعَل- بفتح العين- ويكثر هذا في الأسماء كشالخ وآزر، ويشهد له جمعه على أوادم- بالواو- لا آادم- بالهمزة-، وكذا تصغيره على أوديم لا أؤيدم، واعتذر عنه الجوهري بأنه ليس للهمزة أصل في البناء معروف، فجعل الغالب عليها الواو، ولم يسلموه له، وحينئذ لا يجري الاشتقاق فيه لأنه من تلك اللغة لا نعلمه ومن غيرها لا يصح، والتوافق بين اللغات بعيد، وإن ذكر فيه فذاك للإشارة؛ إلا أنه بعد التعريف ملحق بكلامهم، وهو اشتقاق تقديري اعتبروه لمعرفة الوزن والزائد فيه من غيره ومن أجراه فيه حقيقة كمن جمع بين الضب والنون، ولعل هذا أقرب إلى الصواب[1].

قال الجوهري: وآدم- عليه السلام-: أبو البشر، وأصله بهمزتين لأنه أفعل، إلا أنهم لينوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واواً، وقلت: أوادم في الجمع، لأنه ليس لها أصل في الياء معروف، فجعلت الغالب عليها الواو- عن الأخفش[2].

وقال الزجاج: يقول أهل اللغة إن اشتقاق آدم لأنه خلق من تراب، وكذلك الأُدْمة إنما هي مشبهة بلون التراب[3].

وقال الزمخشري: (آدم) من الأدمة، ومن أديم الأرض نحو اشتقاقهم (يعقوب) من العقب، و(إدريس) من الدرس، و(إبليس) من

---

(1) روح المعاني ١/ ٣٥٦.

(2) الصحاح مادة (ادم) ٢/ ١٣٨٠.

(3) اللسان مادة (ادم) ١/ ٩٨.

الإبلاس. وما آدم إلا اسم أعجمي؛ وأقرب أمره أن يكون على فاعَل، كآزَر، وعازَر وعابَر وشالَخ، وفالَغ وأشباه ذلك[1].

ويرجح القرطبي أنه مشتق من أديم الأرض، وهو الصحيح عنده[2]، ويقول في موضع آخر: فآدم مشتق من الأديم والأدَم لا من الأدْمة؛ والله أعلم. ويحتمل أن يكون منهما جميعاً[3].

وقال النحاس: آدم لا ينصرف في المعرفة بإجماع النحويين لأنه على أفعل وهو معرفة. ولا يمتنع شيء من الصرف عند البصريين إلا لعلتين. فإن نكرته ولم يكن نعتاً لم يصرفه الخليل وسيبويه، وصرفه الأخفش سعيد؛ لأنه كان نعتاً وهو على وزن الفعل، فإذا لم يكن نعتاً صرفه. قال أبو إسحاق الزجاج: القول قول سيبويه، ولا يفرق بين النعت وغيره لأنه هو ذاك بعينه[4].

إن متابعة علماء العربية ابن عباس فيما ذهب إليه من اشتقاق (آدم) من أديم الأرض يدل على رسوخ قدمه في اللغة، وما متع به من حس لغوي صادق قد مهَّد الطريق لمن بعده من العلماء في هذا المجال فكان قوله حجة لمن ذهب مذهبه.

٣- في اشتقاق (نَقْدِرُ):

أخرج ابن عساكر في تاريخه أن معاوية بن أبي سفيان قال يوماً لعبد الله ابن عباس: إنه ضربتني البارحة أمواج القرآن في آيتين لم أعرف

---

(١) الكشاف ١/ ١٥٤.

(٢) تفسير القرطبي ١/ ٢٩٤.

(٣) نفسه ١/ ٢٩٥.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٠٨-٢٠٩.

تأويلهما، ففزعت إليك. فقال ابن عباس: ما هما؟ فقال معاوية: قول الله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء/ ٨٧]، فقلت: يونس رسول الله ظن بقوتهِ إذا أراده، ما ظن هذا مؤمن؟!، وقول الله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف / ١١٠]، فقلت: سبحان الله! كيف يكون هذا أن يستيئس الرسل من نصر الله، أو يظنوا أنهم كذبهم ما وعدهم؟! إن هاتين الآيتين تأويلاً ما نعلمه. قال ابن عباس: أما يونس- عليه السلام- فظن أن خطيئته لم تبلغ أن يقدِّر الله عليه تلك البلية، ولم يشك أن الله عز وجل إذا أراده قدر عليه.

وأما قوله: "حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظن من أعطاهم الرضا في العلانية أن يكذبهم في السريرة، وذلك أطول البلاء عليهم، ولم يستيئس الرسل من نصر الله، ولم يظنوا أنهم كذبهم ما وعدهم. فقال معاوية: فرجت عني، فرج الله عنك[1].

ففي تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ...﴾، إشارة إلى اشتقاق (نقدر) من القَدْر أي التضييق وليس من القُدْرة أي الاستطاعة، فقد ذكر ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية من سورة الأنبياء، قال:

"قال بعضهم: معناه فظن أن لن نعاقبه بالتضييق من قولهم: قَدَرْتُ على فلان، إذا ضيقت عليه، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾ [الطلاق / ٧]. ثم ساق من ذكر هذا المعنى، ومنهم ابن عباس في قوله:

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٢/ ٣١٤.

- ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه.

- وفي رواية أخرى: ظن أن لن نقضي عليه عقوبة... "[1].

وفيما ذكره القرطبي في تفسير الآية نفسها قال: "وذكر الثعلبي، وقال عطاء وسعيد بن جبير وكثير من العلماء معناه: فظن أن لن نضيق عليه، قال الحسن: هو من قوله تعالى: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد/ ٢٦].

قلت: وهذا الأشبه بقول سعيد والحسن. وَقَدَرَ وقُدِرَ وقَتَرَ وقُتِرَ بمعنى، أي ضُيِّق وهو قول ابن عباس فيما ذكره الماوردي والمهدوي. وقيل هو من القَدْر الذي هو القضاء والحكم؛ أي فظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة؛ قال قتادة ومجاهد والفراء. مأخوذ من القدر وهو الحكم دون القدرة والاستطاعة"[2].

فرواية التضييق أو القضاء في قول ابن عباس تنبئ عن قدرة عجيبة في تحسس دقائق العربية واشتقاقاتها، فمعاوية عربي أصيل، وذكي من دهاة العرب ومع ذلك لم يخدمه السياق في التمييز بين اشتقاق (نقدر) التي من القَدْر أي التضييق أو القضاء، وبين (نقدر) التي من القدرة والاستطاعة.

ومعلوم أن الصرف قوالب مختلفة، لكل مفردة وزن تميز بها من أختها؛ كوزن الفاعل يميز من وزن المفعول وغيرها من الأوزان. وإذا اشتبهت القوالب يتم التمييز بينها بسياق الكلام، مثل (مختار) فإنها تصلح

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٧٥.

(٢) تفسير القرطبي ١١/ ٣٣١-٣٣٢.

أن تكـون اسـم فاعل لأن أصلها (مُخْتَيِرٌ) فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلـبت ألفـاً، فـصارت (مختار)، وتصلح -أيضاً- أن تكون اسم مفعول؛ لأن أصـلها (مُخْتَيَـرٌ) فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصارت (مخـتار)، ومع تشابه الوزنين؛ فإننا نستطيع أن نميز بين معنى الكلمتين من سياق الكلام، ففي قولنا: أنت مختار في أمرك، فهي اسم فاعل، وفي قولنا: الكتاب مختار من قبلك ، فهي اسم مفعول.

فـإذا لم يخدمـنا الـسياق مـثل مـا حصل لمعاوية، فلابد من معرفة سـابقة بهـذه المفـردات ليعلم معناها؛ فلذلك اختار معاوية بن أبي سفيان ابن عباس من بين الصحابة ليفرج عنه الضيق الذي وجده في صدره إذ لم يجـد لها تأويلاً حسناً يحمل عليه، فابن عباس لها ولأمثالها. وعلى قول ابن عـباس درج المفـسرون مـن بعـده كتلامـيذه وغيرهـم، ورجحه أكثر أهل التفسير ولم يبغوا عنه حولاً، فقد قال الطبري- رحمه الله-:

"وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب قول من قال: عـني بـه: فظـن يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه، عقوبة له على مغاضبته ربه.

وإنمـا قلـنا ذلـك أولى بـتأويل الكلمة؛ لأنه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر، وقد اختاره لنبوته، ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به، ولا يقـدر علـيه، وصـف بأنه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر، وغير جائـز لأحـد وصـفه بـذلك، وأمـا مـا قالـه ابن زيد؛ فإنه قول لو كان في الكـلام دلـيل علـى أنـه اسـتفهام حسن، لكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كـذلك، والعـرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دلـيلاً علـى أنـه مراد في الكلام، فإذا لم يكن في قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ

عَلَيْهِ﴾ دلالة على أن المراد به استفهام، كما قال ابن زيد؛ كان معلوماً أنه ليس به. وإذا فسد هذان الوجهان، صح الثالث وهو ما قلنا[1].

٤- في اشتقاق (قريش)[2]:

روي أن عمرو بن العاص سأل ابن عباس في حضرة معاوية: لِمَ سميت قريش قريشاً؟ فقال: لدابة تكون في البحر هي أعظم دواب البحر خطراً، لا تظفر بشيء من دواب البحر إلا أكلته، فسميت قريشاً لأنها أعظم العرب فعالاً. فقال: هل تروي في ذلك شعراً؟

فأنشده قول المشمرج بن عمرو الجمحي:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْـ ... ـرَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا
تَأْكُلُ الغَثَّ وَالسَّمِينَ وَلا تَتْرُ ... كُ فِيهِ لِذِي الْجَنَاحَيْنِ رِيشَا
هَكَذَا فِي البِلادِ حَيُّ قُرَيْشٍ ... يَأْكُلُونَ البِلادَ أَكْلاً كَمِيشَا
وَلَهُمْ آخِرُ الزَّمَانِ نَبِيٌّ ... يُكْثِرُ القَتْلَ فِيهِمْ وَالْخُمُوشَا
يَمْلأُ الأَرْضَ خَيْلُهُ وَرِجَالٌ ... يَحْشُرُونَ الْمَطِيَّ حَشْراً كَشِيشَا[1]

[الخفيف]

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٧٦.

(٢) ينظر: القاموس المحيط مادة (قرش) ١/ ٨١٩، والصحاح مادة (قرش) ١/ ٧٩٩، ولسان العرب مادة (قرش) ١١/ ١٠٨، والقرطبي ٢٠/ ٢٠٣، والبغوي ٨/ ٥٤٦، والكشاف ٤/ ٨٠٧، ومختصر ابن عساكر ١٢/ ٣٢٤، ونظم الدرر ٢٢/ ٢٦١، وروح المعاني ١٦/ ٤٢٩، ومعجم البلدان ٤/ ٣٨٣، وخزانة الأدب ١/ ٢٠٥، وشفاء الغرام ٢/ ٦٥، والمزهر ١/ ٢٧٣، ٢٧٤.

وجاء في إكمال الإعلام بتثليث الكلام أن:

القَرْشَ: الكسبُ، والقِرْشُ: دابة تأكل دواب البحر[2].

قال البغدادي في الخزانة:

في (العباب): قال ابن دريد: كثر الكلام في قريش، فقال قوم: سميت قريش بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون: قدمت عير قريش وخرجت عير قريش، وقال قوم: سميت قريشاً لأن قصياً قرشها أي: جمعها، فلذلك سمي قصي مجمعاً. قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

أَبُونَا قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعًا ... بِهِ جَمَّعَ اللهُ القَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

[الطويل]

وقال الليث: قريش قبيلة، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه. وقال صاحب العباب: وينقض هذين القولين قول ابن الكلبي؛ لأنه المرجوع إليه في هذا الشأن، وهو أن قريشاً اسمه فهر بن مالك بن النضر، وفي تسميته قريشاً سبعة أقوال: أحدهما سموا قريشاً لتجمعهم إلى الحرم. ثانيها: أنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها. ثالثها: أنه جاء النضر بن كنانة في ثوب له يعني اجتمع في ثوبه فقالوا: قد

---

(1) ينظر: المراجع المتقدمة، وقد وردت هذه الأبيات في المصادر الآنفة الذكر بشيء من التغيير في ترتيب الأبيات، واختلاف في ذكر اسم الشاعر، فتارة يذكرونه الجمحي، وتارة يقولون: تبع، وأخرى يذكرونه باسم المشمرج بن عمرو الحميري.

(2) إكمال الإعلام بتثليث الكلام ٢/ ٥٠٥.

تقرش في ثوبه. رابعها: قالوا: جاء إلى قومه فقالوا: كأنه جمل قَرِيْش أي: شديد. خامسها: قول ابن عباس لما سأله عمرو بن العاص: بمَ سميت قريش؟ قال: بدابة في البحر تسمى قريش لا تدع دابة إلا أكلتها، فدواب البحر كلها تخافها، قال المشمرج بن عمرو الحميري:

وَقُـرَيْشٌ هِـيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْـ ـرَ بِهَـا سُـمِّيَتْ قُـرَيْشٌ قُرَيْـشَا

[الخفيف]

سادسها: قال عبد الملك بن مروان: سمعت أن قصياً كان يقال له القرشي، ولم يسمَّ قرشي قبله. سابعها: أنهم يفتشون الحجاج عن خلتهم فيسدونها.

ويعلم من هذه الأقوال أن كون قريش أباً إنما هو على القول الثالث والرابع والسادس[1].

وذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان) بعض الآراء في اشتقاق قريش، ولما جاء إلى القول المنسوب إلى ابن عباس قال: "وهذا الوجه عندي بارد والشعر مصنوع جامد، والذي تركن إليه نفسي أنه إما أن يكون من التجمع أو تكون القبيلة سميت باسم رجل منهم يقال له قريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة وكان دليل بني النضر وصاحب سيرتهم، وكانت العرب تقول: قد جاءت عير قريش وخرجت عير قريش، فغلب عليهم هذا الاسم[2].

---

(1) خزانة الأدب ١/ ٢٠٥-٢٠٦.

(2) معجم البلدان ٤/ ٣٨٣.

أقول: إن كلام ياقوت الحموي فيه نظر من وجوه:

أحدها: أن أحداً من المتقدمين لم يطعن في صحة نسبة هذه الأبيات إلى الشعر الجاهلي أو أنه مصنوع، ثم إن البيت الأخير يدل على أن الشعر جاهلي، وإلى هذا مال الحافظ ابن حجر وصححه، وقال: "قلت: والذي سمعته من أفواه أهل البحر: القِرْشُ بكسر القاف، وسكون الراء، لكن البيت المذكور شاهد صحيح، فلعله من تغيير العامة، فإن البيت الأخير من الأبيات المذكورة يدل على أنه من شعر الجاهلية ثم ظهر لي أنه مصغر القرش الذي بكسر القاف"[1].

ثانيها: أن النسابين أجمعوا على أن قريشاً هم ولد النضر بن كنانة، أو هم ولد فهر بن مالك بن النضر وعليه الأكثرون، وليس ما ركن إليه ياقوت، قال الألوسي: "وقريش ولد النضر بن كنانة وهو أصح الأقوال وأثبتها عند القرطبي. قيل: وعليه الفقهاء لظاهر ما روي أنه عليه السلام سُئل من قريش؟ فقال: "مَنْ وَلَدَ النَّضْرُ"، وقيل: ولد فهر بن مالك بن النضر، وحكي ذلك عن الأكثرين، بل قال الزبير بن بكار: أجمع النسابون من قريش وغيرهم على أن قريشاً إنما تفرقت عن فهر، واسمه عند غير واحد قريش، وفهر لقبه، ويكنى بأبي غالب، وقيل: ولد مخلد بن النضر وهو ضعيف ..."[2].

وثالثها: أن المعاني المتعددة التي ذكرت في اشتقاق قريش بما فيها قول ابن عباس كلها متقاربة؛ لأنها لا تخلو مادتها في الدلالة على التجمع والشدة والاختلاط والغلبة، قال البقاعي: "واسمها قريش ظاهر الدلالة

---

(1) فتح الباري ٧/ ٢٢١ رقم الحديث (٣٥٠١).

(2) روح المعاني ١٦/ ٤٢٩.

علـى ذلـك، والتعبير بقريش دون قومك أو الحمس مثلاً ونحوه دال على أنهم يغلبون الناس أجمع بقوة كما يدل عليه الاسم[1].

وقـال أيضاً: والمادة كلها للشدة والاختلاط ، والتعبير بهذا الاسم لمدحهم[2]. فظهر بذلك أن قول ابن عباس في اشتقاق قريش لم يكن بعيداً أو مستهجناً.

٥- في اشتقاق (مِنَى):

جاء في القاموس:

ومِنَـى كـإلى: قـرية بمكة، وتصرف سميت لما يمنى بها من الدماء. وعـن ابـن عباس: لأن جبريل- عليه السلام- لما أراد أن يفارق آدم، قال له: تمنَّ، قال: أتمنى الجنة، فسميت مِنىً لأمنية آدم[3].

٦- في اشتقاق (اللات والعزى ومناة):

قـال ياقوت الحموي: (مناةُ): لم أقف على أحد يقول في اشتقاقه، وأنـا أقـول فـيه مـا يـسنح لـي، فـإن وافق الصواب فهو بتوفيق الله وإلا فالمجتهد مصيب ...[4].

فالحموي لم يقف على ما أورده القرطبي عن ابن عباس وغيره في تفسير قـوله تعـالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

---

(١) نظم الدرر ٢٢/ ٢٥٩.

(٢) نفسه.

(٣) القاموس المحيط مادة (منى) ٢/ ١٧٥٠، ومعجم البلدان ٥/ ٢٢٩.

(٤) معجم البلدان ٥/ ٢٣٦.

قال القرطبي:

والإلحاد يكون بثلاثة أوجه: أحدها بالتغيير فيها كما فعله المشركون وذلك أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم: فاشتقوا اللأت من الله، والعُزَّى من العزيز، ومناة من المنان. قاله ابن عباس وقتادة[1].

وجاء عنه في تفسير سورة النجم في قوله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾** [النجم/ ١٩، ٢٠]، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وأبو صالح ”اللاَّتّ“ بتشديد التاء، وقالوا: كان رجلاً يَلُتُّ السويق للحجاج، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه[2].

وكلا الروايتين تبين مدى معرفة ابن عباس بالاشتقاق وأنه كان من الأسبقين إليه.

٧- في اشتقاق (العالمين):

قال ابن عباس: ”العالمون كل من يعقل من الإنس والجن والملائكة، وقال في رواية أخرى: العالمون كل ذي روح“[3].

قال ابن الجوزي:

”قال شيخنا[1]: وقيل: إن العالم مشتق مما هو علامة؛ لأنه دال على خالقه. وهذا يقوي قول من رآه واقعاً على الكائن كله، وقيل: إن اشتقاقه من العلم، وهذا يقوي ما ذكرناه عن ابن عباس“[2].

---

(١) تفسير القرطبي ٧/ ٣٢٨.

(٢) نفسه ١٧/ ١٠٠.

(٣) نزهة الأعين النواظر ص ٤٤٥.

فهـذه أمثلة وغيرها لم يكشف النقاب عنها توضح وضوحاً كاملاً جهـود ابـن عـباس في مجـال علم الاشتقاق، وتدل- أيضاً- على ما لابن عـباس مـن جهـد مأمـول في هذا المجال، وأن أقواله كانت من بواكير هذا العلـم وقـد اعـتمد علـيها كـثير مـن العلمـاء في تدعيم ما ذهبوا إليه من اشتقاق بعض المفردات التي ذكرت آنفاً.

حجة القراءات:

إن تأسـيس علـم الاحـتجاج في القـراءات نابع عن معرفة عميقة بعلـم الـصرف إذ إن الحجـة في قـراءة المفـردات يعتمد على معرفة أصل المفـردة اللغـوية وماهـية تـركيبها ومعـرفة أصول حروفها مع معرفة تامة بلغـات العرب، وما هو الأفصح فيها من تشديد وتخفيف وغيره، واختيار البنية المناسبة، واتخاذها قراءة إنما يكون بإحساس مرهف وعلم سليم بهذا الفن.

وقـد اعتمد العلماء في تأسيس هذا الفن على كثير من أقوال ابن عـباس، وكانت أقواله محط ترجيح على الأغلب، وبهذا نستطيع أن نقول إن ابـن عـباس قـد كـان علـى معرفة بهذا الفن وهذه أمثلة من أقواله في ذلك:

١- في قـوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ * صِرَاطَ الَّذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَـيْهِمْ﴾ [الفاتحـة/ ٥-٦]، قرأ ابن كثير في رواية القواس: "السراط" و"سـراط" بالـسين وحجـته هـي أن الـسين الأصـل، ولا ينـتقل عن

(١) قوله: شيخنا هو علي بن عبيد الله، ينظر: نزهة الأعين النواظر ص ١٠٤.

(٢) نفسه ص٤٤٥.

الأصل إلى ما ليس بأصل، وروي أن ابن عباس كان يقرؤها بالسين[1].

٢- قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة/ ١٠]، بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد من (كذَّب يكذِّب تكذيباً) أي أنهم يكذِّبون النبي -ﷺ- والقرآن وحجتهم ما روي عن ابن عباس قال: إنما عوتبوا على التكذيب لا على الكذب. وفي التنزيل ما يدل على التثقيل: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وحجة أخرى: أن وصفهم بالتكذيب أبلغ في الذم من وصفهم بالكذب؛ لأن كل مكذِّب كاذب، وليس كل كاذب مكذب[2].

٣- قرأ نافع وعاصم والكسائي: (تُفَادُوْهُمْ) بالألف، وحجتهم أن هذا فعل من فريقين أي يفدي هؤلاء أسَاراهم من هؤلاء، وهؤلاء أساراهم من هؤلاء. وكان أبو عمرو يقول: تفادوهم تعطوهم ويعطوكم، وتفدوهم: تعطوهم فقط.

وقرأ الباقون: تُفْدُوْهُمْ أي تشترونهم من العدو. وحجتهم في ذلك: أن في دين اليهود ألا يكون أسير من أهل ملتهم في إسار غيرهم وأن عليهم أن يفدوهم بكل حال، وإن لم يفدوهم القوم الآخرون، كذا قال ابن عباس[3].

٤- وفي قوله تعالى: ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ...﴾ [البقرة/ ٢٣٣]. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لاَ تُضَارُّ

---

(١) حجة القراءات ص (٨٠).

(٢) نفسه ص ٨٨-٨٩.

(٣) حجة القراءات ص ١٠٤-١٠٥.

وَالِـدَةٌ﴾ بالـرفع علـى الخـبر.. وقرأ الباقون ﴿لاَ تُضَارَّ﴾ بفتح الراء علـى النهـي. وحجـتهم قراءة ابن مسعود و ابن عباس، قرآ ذلك: (لاَ تُضَارَرْ) براءين في الثانية، وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين وهذا هـو الاختـيار في التـضعيف إذا كـان قـبله فتح أو ألف، الاختيار: (ضارَّ يا رجلُ)[1].

٥- وفي قـوله تعـالى: ﴿قَـدْ نَعْلَـمُ إِنَّـهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِيْ يَقُوْلُوْنَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُـوْنَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِيْنَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُوْنَ﴾ [الأنعام/ ٣٣]. قرأ نافع والكسائي: ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكْذِبُوْنَكَ﴾ بإسكان الكاف وتخفيف الذال.

وقـرأ الباقون: ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُوْنَكَ﴾ بالتشديد. قال ابن عباس: لا يسمُّونك كذاباً، ولكنهم ينكرون آيات الله بألسنتهم وقلوبهم موقنة بأنها من عند الله.

وحجـتهم مـا رواه اليـزيدي عن أبي عمرو، فقال: وتصديقها قوله بعـدها: ﴿وَلَقَـدْ كُـذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوْا عَلَى مَا كُذِّبُوْا﴾. فـتأويل أبـي عمـرو: فـإن الكفـار لا يكذّبونك جهلاً منهم بصدق قـولك، بـل هـم موقـنون بأنـك رسـول مـن عـند ربهـم ولكنهم يكذّبونك قولاً.

وقال الزجاج: وتفسير (لا يكذّبونك) أي لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم: (كَذَبْتَ).

---

(١) حجة القراءات، ص ١٣٦.

ووجه آخر: أنهم لا يكذّبونك بقلوبهم أي يعلمون أنك صادق والذي يدل على هذا القول أنهم لا يكذّبونك بقلوبهم قوله: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِيْنَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُوْنَ﴾. والجحد أن تنكر بلسانك ما تستيقنه في نفسك. ألا ترى أنك تقول: جحدني حقي. قال الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل/ ١٤] وكان ابن عباس يحتج بهذا.

وقد اختلف في هذا أهل العربية فقال عبد الله بن مسلم:

(فإنهم لا يكذبونك) أي لا ينسبونك إلى الكذب، تقول: كذبتُ الرجل أي نسبته إلى الكذب، وظلوته أي نسبته إلى الظلم.

وقال بعض أهل العربية: (فإنهم لا يكذبونك) أي لا يصححون عليك الكذب، تقول: كذبته أي صححت عليه الكذب[١].

٦- وفي قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُوْلُوْا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام/ ١٠٥]. قرأ أبو عمرو وابن كثير: (دَارَسْتَ) بالألف أي: ذاكرت أهل الكتاب. وعن ابن عباس: قارأت وتعلمت[٢].

٧- وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيْثُوْنَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّيْ مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِيْنَ ...﴾ [الأنفال/ ٩]. قرأ نافع: (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال مفعول بهم، أي الله أردفهم أي بعثهم على آثار من تقدمهم. قال أبو عبيد: تأويله أن الله تبارك وتعالى أردف المسلمين بهم. وكان مجاهد يفسرها: (مُمَدِّين) وهو تحقيق هذا المعنى.

---

(١) حجة القراءات ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) نفسه ص ٢٦٤.

وقرأ الباقون: (مُرْدِفِين) بكسر الدال، أي جاءوا بعدهم على آثارهم أي (رَدِفُوا) أصحاب رسول الله -ﷺ-، و(أردف) بمعنى (رَدِفَ)، قال الشاعر:

إذَا الْجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا

[الوافر]

قال أبو عبيد: أراد بقوله (أَرْدَفَتْ): (رَدِفَتْ) أي جاءت بعدها. ألا ترى أن الجوزاء تطلع بعد طلوع الثريا وعلى أثرها؟

وقال ابن عباس: (مُرْدِفين أي متتابعين).وقال آخرون منهم أبو عمرو: (مُرْدِفِين) أي أردف بعضهم بعضاً، فالإرداف أن يحمل الرجل صاحبه خلفه، تقول: (رَدِفْتُ) الرجل أي ركبتُ خلفه، وأردفته إذ أركبته خلفي. وقال آخرون منهم أبوبكر بن مجاهد: مُرْدِفِين أي متقدمين لمن وراءهم، كأنَّ من يأتي بعدهم ردفٌ لهم أي أتوا في ظهورهم. فعلى هذا الوجه لا يكون (أردف) بمعنى (ردف)، لأنهم أردفوا خلفهم[1].

٨- وفي قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ [هود/ ٥] قرأ الجمهور: (يَثْنُونَ). وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: (تَثْنَوْنِيْ) مضارع (اثْنَوْنَى) على وزن (افعوعل)[2].

(١) حجة القراءات، ص ٣٠٧- ٣٠٨.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٢٠٣.

قال ابن فارس: العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة، فيقولون: (حلا الشيء) فإذا انتهى قالوا: (احْلَوْلَى). ويقولون: (قْلَوْلَى على فراشه)، وينشدون:

وَاقْلَوْلَيْنَ فَوْقَ الْمَضَاجِعِ

وقرأ ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ﴾ على هذا الذي قلناه من المبالغة[1].

وهذا من ابن عباس دليل على معرفته مسالك العرب في إحداث التكافؤ بين اللفظ والمعنى ؛ بزيادة في المبنى إشعاراً بزيادة المعنى[2].

---

(1) الصاحبي ص ٢٥٧-٢٥٨.

(2) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ١٠٩.

المبحث الثاني
آراؤه النحوية

ابن عباس ونشأة النحو العربي:

نشأت اللغة العربية في أحضان جزيرة العرب خالصة لأبنائها مذ ولدت، نقية سليمة مما يشينها من أدران اللغات الأخرى.

لبثت كذلك أحقاباً مديدة كان العرب فيها يغدون ويروحون داخل بلادهم على ما هم عليه من شظف العيش، غير متطلعين إلى نعيم الحياة وزخارفها فيما حولهم من بلاد فارس والروم، وغيرها وإن دفعتهم الحاجة إليها حيناً، وتبادل المنافع حيناً آخر.

على إنه كان في أسواقهم الكثيرة التي تقام بينهم طوال العام غناء في عيشتهم البدوية القانعة، وكان في هذه الأسواق فوق ما تضمه من مرافق الحياة ومتطلبات المعيشة منتديات للأدب، يعقدون فيها المجامع ذات الشأن يتبارى فيها الخطباء، ومفوهو الشعراء من القبائل المتباعدة، يعرضون فيها مفاخراتهم ومناظراتهم ومعاظماتهم وكل ما يعن لهم في جيد الخطب وبديع الشعر.

عاد ذلك كله عل اللغة بتثبيت دعائمها وإحكام رسوخها وجودة صقلها وبقيت كذلك متماسكة البنيان غير مشوبة بلوثة الإعجام، إلى أن سطع نور الإسلام على ما حول الجزيرة العربية بالفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، فوصلت في عهد عمر ابن الخطاب -ﷺ- شرقاً إلى

نهـري السند وجيحون، وغرباً إلى الشام ومصر. فكان من الطبعي هبوط العـرب ومعهـم عـشائرهـم وعمائـرهـم إلى هـذه الأمـصار التي افتتحوها ودخلـت تحـت حـوزتهم وبحكـم الفتح قد كثر تملكهم للموالي في البلاد المفتوحة.

كمـا كـان من الطبعي تقاطر الوافدين من هذه الأمصار المفتوحة إلى الجزيـرة العـربية، إذ فيها المدينة المنورة حاضرة الإسلام، ومقر الخلفاء الراشـدين وعِلِّيَّة الدولة وفيها مكة المكرمة وبها الكعبة المشرفة التي يؤمها كل من أدان بدين التوحيد.

وهكـذا ازداد هـذا النـزوح مـن الجانـبين كلما توالت الفتوحات تـترى في عهـد بني أمية، فلقد بلغت الفتوحات في عهدها مشارق الأرض ومغاربهـا. فهـذه المملكـة المترامـية الأطـراف كانـت تخفـق علـيها الراية الإسـلامية الـتي تآخـي تحـت ظلها الجميع، وامَّحت بينهم فوارق الجنس والوطن، دينهـم الإسلام وكتابهم القرآن ولغتهم العربية.

وكـان لهـذه الفـتوحات أثـر في اخـتلاط العرب بغيرهـم اختلاطاً مـستمراً في البيوت والأسواق، والمناسك، والمساجد، وتصاهروا واندمجوا في بعـضهم حتـى تكـون مـنهم شعب واحد اجتمع فيه الصريح والهجين اقتـضى أن يـستمع بعضهم من بعض وأن يتفاهموا في كل ما يتصل بهـم، ولغـة الـتخاطب بيـنهم في كل ما يحيط بهم هي العربية، فكان لزاماً على غـير العربـي أن تكـون لغته العربية مهما عالج في ذلك وعانى، كما كان لـزاماً علـى العربـي أن يترفـق بغـير العربـي ويتريـث معه في التخاطب، ضـرورة الـتعاون بـين الطـرفين، فكـل منهما يستمع من الآخر، والسمع سبيل الملكات اللسانية فما اللغة إلا وليدة المحاكاة وما يصل إلى السمع.

تـولد مـن هذا كله أن اللغة العربية تسرب إليها اللحن، ووهنت الملاحظـة الدقـيقة الـتي تمـتاز بهـا وهـي اختلاف المعاني طوعاً لاختلاف شـكل آخر الكلمة، فإن هذه الميزة كانت موفورة لديهم وهم بعيدون عن مخالطة سواهم من ذوي اللغات الأخرى التي خلت منها.

ولقد كان هذا النوع أول اختلال طرأ على اللغة العربية، منذ كان الإسلام وكان الموالي والمتعربون، وطفق يزداد رويداً رويداً ما طال الزمن وتفسحت رقعة الإسلام[1].

وهكذا انتشرت جرثومة اللحن وانتقلت من الحاضرة إلى البادية، قال الجاحظ: "قالوا: وأول لحن سمع بالبادية هذه عصاتي"[2].

ولهـذا وذاك تنبه أولـو البـصر إلى أن الأمـر آيـل إلى إفساد اللغة وضياع العصبية من جهة، وإلى التفريط في صيانة الدين من جهة ثانية، إذ كانـت سـلامة أحكامه موقوفة على حسن فهم المستنبط لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف. وكان في ضعف العربية تضييع لهذا الفهم[3].

قـال ابن خلدون: "فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الـذي كـان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بمـا ألقـى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين، والسمع أبو الملكات اللـسانية، ففـسدت بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع، وخـشي أهـل العلـوم مـنهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها

---

(1) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص٦ وما بعدها (بتصرف).

(2) البيان والتبيين ٢/ ٢١٩.

(3) ينظر: من تاريخ النحو ص ١٨، ١٩.

فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعراباً وتسميته الموجب لذلك التغير عاملاً وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو[1].

وأهابت العصبية العربية بالعلماء في الصدر الأول الإسلامي أن يصدوا هذا السيل الجارف الذي كاد يكتسح اللغة العربية بما قذف فيها من لحن تسربت عدواه إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة بما هدوا إليه وسموه علم النحو، غير أنهم لم تتفق كلمتهم على نوع السبب المفضي إلى وضعه، فبعض المصادر التاريخية تذكر وقائع معينة كانت هي السبب عندهم، وهي مع كثرتها لا تتفاوت عند المقارنة بينها قوة وضعفاً لا من ناحية الرواية ولا من ناحية اقتضاء الوضع ، وبعض المصادر الأخرى لا تقصر السبب على حادثة خاصة بل تعتبره نتيجة لازمة لتلك الحوادث. فغير مقبول في النظر أن ينهض العلماء ويستفرغوا مجهوداً جباراً يؤرقون فيه عيونهم ولا يطبوقون جفونهم الليالي الطويلة لتأسيس فن خطير خالد الأثر على اللغة العربية وأبناء العروبة من جراء حادثة فردية كان يكفي في درئها إصلاحها وكفى.

---

(1) مقدمة ابن خلدون الفصل السادس في العلوم علم النحو.

ومن جهة أخرى أين المؤهلات التي ترجح كفة حادثة جزئية على مثيلاتها؟ وفي ذلك ترجيح بلا مرجح.

فالحق الذي لا ينبغي الحيود عنه أن وضع هذا العلم إنما كان لهذه الحوادث متضافرة[1].

وكان وضع النحو في الصدر الأول للإسلام؛ لأن علم النحو ككل علم تتطلبه الحوادث وتقتضيه الحاجات، ولم يكن قبل الإسلام ما يحمل العرب على النظر إليه فإنهم في جاهليتهم غنيون عن تعرفه لأنهم كانوا ينطقون عن سليقة جلبوا عليها.

وهذا هو التحقيق الذي عول عليه الجمهور، فقد زعم بعض العلماء أن العرب كانوا يتأملون مواقع الكلام، وأن كلامهم ليس استرسالاً ولا ترجيماً، بل كان عن خبرة بقانون العربية، فالنحو قديم أبلته الأيام، ثم جدده الإسلام على يد أبي الأسود الدؤلي بإرشاد الإمام علي -ﷺ- ومن هؤلاء أحمد بن فارس في أوائل كتابه (الصاحبي)، بل غلا غلواً شديداً إذ نسب للعرب العاربة معرفتهم بمصطلحات النحو بتوقيف من قبلهم حتى انتهى الأمر إلى الموقف الأول وهو الله عز وجل الذي علم آدم الأسماء كلها[2].

ونشأ النحو في العراق صدر الإسلام لأسبابه نشأة عربية على مقتضى الفطرة، ثم تدرج به التطور تمشياً مع سنة الترقي حتى كملت أبوابه غير مقتبس من لغة أخرى لا في نشأته ولا في تدرجه، وقد اختلف العلماء في أول ما وضع فيه على رأيين:

---

(1) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص ١١.

(2) نفسه ص ١٣.

أحدهما: أن أول ما وضع من أبوابه هو ما وقع اللحن فيه، ثم استمر الوضع فيما بعد على هذا النمط، وذلك ما ذهب إليه جمهور النحاة اعتداداً بالروايات المستفيضة التي اقترن فيها الوضع باللحن، إلا أن تعيين الباب الموضوع أولاً منوط بالرواية التي قوي سندها من بين الروايات.

والآخر: أن ما وضع منه ما كان أقرب إلى متناول الفكر في الاستنباط، لأن وضعه مبني على أساس من التفكير في استخراج القواعد من الكلام لداعي انتشار اللحن فالموضوع أولاً ما كثر دورانه على اللسان ثم ما يليه وهكذا، ولذا قيل: إن الموضوع أولاً الفاعل ثم ردفه المفعول ثم المبتداء والخبر وهكذا.

وما تقدم هو ما أطبق عليه علماؤنا خلفاً بعد سلف.

وزعم بعض منهم رأياً ثالثاً، فيه بعض موافقة ومخالفة لكل من الرأيين المذكورين، وافق الرأي الأول فيما وضع منه ابتداء فقط، والثاني فيما أحدث فيه بعد دور التكوين من تنظيم في التقسيم والتعريف والتعليل.

هذه هي أقوال ثلاثة والمعول عليه منها الأول، إذ الثاني مجرد اختراص لا سر له إلا الولوع بالانتقاص للعرب، والثالث يناهض الأول فيما خالفه فيه فإنه غير مسلَّم أن يكون علماء العرب عيالاً على غيرهم فيما يتصل بتنظيمه بعد اهتدائهم إلى اختراعه وابتكاره[1].

---

[1] ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص ١٤، ١٥.

فإذا علمنا أن واضعه من رجالات عصر الإسلام على ما قرره علماؤنا من المتقدمين والمتأخرين، فإننا نجد اختلافهم في تحديد الواضع الأول، واضطرب اختيارهم، كابن سلام في طبقات الشعراء، وابن قتيبه في المعارف، والزجاجي في الأمالي، وأبي الطيب اللغوي في مراتب النحويين، والسيرافي في أخبار النحويين البصريين، والزبيدي في الطبقات، وابن النديم في الفهرست، وابن الأنباري في نزهة الألبا، والقفطي في إنباه الرواة.

على أن هذا الاختيار لا يعدو في الواقع أن يكون إما للإمام علي -ﷺ- كما يرى ابن الأنباري والقفطي، أو لأبي الأسود الدؤلي -ﷺ- كما يراه السابقون قبلهما.

ولا ريب أن الاختلاف في المختار من القولين بين الجماعة وابن الأنباري مرجعه إلى الحدس والتخمين، فليس مع أحد المختارين ما يرجحه على الآخر لا من العقل ولا من النقل المتواتر، فما هي إلا روايات يناهض بعضها بعضاً، غير أن الظنون متفاوتة عند الموازنة بين المتكافئين، ويظهر أن الحق في جانب الجماعة، فإن وضع النحو أمر خطير يتقاضى من القائم به عناية مبذولة إليه خاصة، وصروفاً عن مشاغل الحياة عامة، ووقتاً طويلاً يستنزف في التقصي للكلام العربي، وإعمال الفكر واستخراج القواعد، في حياة كلها هدوء واستقرار، يرفرف عليها جناح الأمن والسلام، وحياة الإمام علي -ﷺ- تقضت في النضال العنيف، والشجار المستمر، ملأتها الحوادث المروعة، واكتنفتها أمواج الاضطرابات الشاملة، فبعيد أن الإمام علي -ﷺ- يواتيه الوقت الكافي للنهوض بأعباء هذا العمل الجلل، وإن كنا نرى أن عقليته لا تعجز عن

مثل هذا، ولا نأبى أن له اليد الطولى على أبي الأسود -ﷺ- في الإرشاد له، والإشراف عليه، وتقريره لما صح في استنتاجه، وقد يكون ذلك تقريب للجمع بين الاختلاف في المختار، فللإمام فضل الهداية إلى الأساس ولأبي السود فضل القيام بوضعه على ضوء هدي الإمام[1].

وزعم بعض المستشرقين أن علم النحو منقول من لغة اليونان لأن وضعه في العراق إنما كان بعد خلاط العرب للسريان وتعلمهم ثقافتهم، وللسريان نحو قديم ورثوه عن اليونان[2].

وما قيل في ذلك إنما هي محاولة المستشرقين ليصلوا ما بين نشوء النحو في البصرة والنحو السرياني واليوناني والهندي غير أنه لا يمكن إثبات شيء من ذلك إثباتاً علمياً، لا سيما أن النحو العربي يدور على نظرية العامل وهي لا توجد في أي نحو أجنبي[3].

وقد ذهب بعض المستشرقين الحاقدين، وتابعهم بعض الباحثين العرب أن الحكايات المروية في وضع النحو العربي من قبل الإمام علي-ﷺ- أو أبي الأسود الدؤلي -ﷺ- لا تعدو أن تكون أساطير موضوعة، لا أساس لها من الصحة[4].

وقريباً من ذلك نجد الأستاذ أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) ذكر أن الهنود كان عندهم نحو، ثم ذكر قصة نشوء النحو عندهم، وعلق على هذه القصة بقوله: "وأنا أخشى أن تكون حكاية أبي الأسود قد وضعت في العربية على نمط الحكاية الهندية"[5].

---

(١) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص ١٦، ١٩.
(٢) نفسه ص ١٤.
(٣) ينظر: المدارس النحوية ص ٢٠.
(٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي بروكلمان ٢/ ١٢٣.
(٥) ضحى الإسلام ٢/ ٢٨٥.

وعند ذكره لرواية دفع علي -ﷺ- إلى أبي الأسود رقعة فيها كلام في النحو التي ذكرها ابن الأنباري يلعق ويقول: "وكل هذا الحديث خرافة، فطبيعة زمن علي وأبي الأسود تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية، والعلم الذي ورد إلينا من هذا العصر في كل فرع علم يتناسب مع الفطرة، ليس فيه تعريف ولا تقسيم، وإنما هو تفسير آية، أو جمع لأحاديث ليس فيها ترتيب ولا تبويب، فأما تعريف وأما تقسيم منطقي فليس في شيء مما صح نقله إلينا عن عصر علي وأبي الأسود. وأخشى أن يكون ذلك من وضع بعض الشيعة الذين أرادوا أن ينسبوا كل شيء إلى علي واتباعه"[1].

وقد تولى الدكتور مازن المبارك الرد على هذه الشبه بشيء من التفصيل[2].

ويرى آخرون أن أبا الأسود قد وضع شكل المصحف الذي يعد الخطوة الأولية التي لفتت الأنظار إلى التفكير في الإعراب ووضع قواعد له[3].

والحق أن القدماء كانوا يفرقون بشكل جيد بين أبواب النحو التي ذكروا أنها باكورة هذا العلم وبين شكل المصحف بالنقط، والدليل على ذلك أنهم ينسبون في كثير من الأحيان وضع النحو إلى علي -ﷺ- وشكل المصحف إلى أبي الأسود كما في كتاب (أخبار النحويين

---

(1) ضحى الإسلام ٢/ ٢٨٥.

(2) ينظر: النحو العربي العلة النحوية نشأتها وتطورها ص ٣٥ وما بعدها.

(3) ينظر: من تاريخ النحو ص ٢٨.

البصريين)[1]. ومن القدماء من نسب وضع الأبواب الأولى في النحو ونقط المصحف كليهما إلى أبي الأسود نفسه كما في كتاب (مراتب النحويين)[2] بهذا يدل على إدراك الفرق بينهما دون لبس[3].

وعند تأملنا إلى عصر علي وأبي الأسود نجد صاحبنا ابن عباس قد اشترك معهما في هذا الزمان وكانت بينهم صلات ومحاورات ومشاورات دلت على عمق الصلة بين كل من علي وابن عباس- كما تقدم في الفصل الأول- وبين علي وأبي الأسود كما تذكره كتب نشأة النحو، والجدير بالذكر أن الصلة بين ابن عباس- رضي الله عنهما- وأبي الأسود كانت قوية أيضاً، والمعاصرة بين الرجلين كانت طويلة إذ أن أبا الأسود توفي سنة ٦٩ هـ أي بعد ابن عباس بسنة، وهذه الصحبة قد أوجدت شيئاً من الانسجام بين الرجلين، ولا أدل على ذلك إلا ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني أن رجلاً قام إلى ابن عباس يسأله عن أشعر الناس، فقال ابن عباس: أخبره يا أبا الأسود. فقال: الذي يقول:

فَإِنَّـكَ كَاللَّـيلِ الَّـذِيْ هُـوَ مُدْرِكِـي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ[4]

[الطويل]

وأعجب من هذا ما ذكره القفطي أن أبا الأسود أتى ابن عباس، فقال: إني أرى ألسنة العرب قد فسدت، فأردت أن أضع شيئاً يقومون

---

(١) ينظر: أخبار النحويين البصريين ص ١٢.

(٢) ينظر: مراتب النحويين ص ٢٦، ٢٩.

(٣) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٣٤.

(٤) الأغاني ١١/ ٥.

به ألسنتهم. قال: لعلك تريد النحو، أما إنه حق ، واستعن بسورة يوسف"[1].

فإذا صحت هذه الرواية فهذا يعني أن ابن عباس يعلم من النحو سبيلاً يصلح به ما فسد من ألسنة الناس وأنه قانون يصلح أن يكون ضابطاً للنطق، لكنه لم ترتب أبوابه وتقسيماته، فأرشده إلى ما يعينه على ذلك من سور القرآن لا سيما سورة يوسف.

والأستاذ أحمد أمين يقول: "تاريخ النحو في منشئه غامض كل الغموض، فإنا نرى فجأة كتاباً ضخماً هو كتاب سيبويه. ولا نرى قبله ما يصح أن يكون نواة تبين ما هو سنة طبيعية من نشوء وارتقاء. وكل ما ذكره من هذا القبيل لا يشفي غليلاً"[2].

أقول: فهل لعلم العروض سنة طبيعية من نشوء وارتقاء؟!

والحق أننا إذا كنا لا نستطيع أن ننكر بعض ما يشوب نشأة النحو في تاريخها الأول من الغموض بسبب ضياع حلقات هامة من آثار النحو الأولى وأخبارها، فإننا لا نستطيع أيضاً أن نقر بأن النحو ظهر فجأة في كتاب ضخم ناضج هو كتاب سيبويه ولا شك أن (الكتاب) ثمرة جهد سابق وعلم قطع مراحل[3].

ويقول الدكتور عبد الكريم بكار: "وعندي أن عدم وقوف الكثير من الباحثين على الملاحظات النحوية التي ثبتت عن ابن عباس جعلهم يعدون عمل أبي الأسود ضرباً من النشوز عن المعطيات الثقافية والعقلية

---

(1) إنباه الرواة ١/ ٥١.

(2) ضحى الإسلام ٢/ ٢٨٥.

(3) ينظر: النحو العربي، العلة النحوية نشأتها وتطورها ص ١٠.

في عصره. وأنا لا أستبعد أن يكون قد حصل نوع من التحريف أو التزيد في تسمية الأبواب النحوية الأولى التي نسبت إلى أبي الأسود، إذ هذا من الفرعيات التي قد يقع فيها الخلط والغلط، ولكن أن تكون تلك الروايات الكثيرة جميعاً مصنوعة مزورة فهذا غير مقبول[1].

فإذا كان الباحثون يبحثون عن بداية حقيقية وسليمة لظهور كتاب ضخم في النحو ممثل بكتاب سيبويه، فإن ما أثر عن ابن عباس من أقوال في النحو تمثل البداية المنطقية لظهور هذا العلم، وفي ظني أن أقوال ابن عباس هي الحلقة المفقودة في تاريخ النحو إذ أن عصر أبي الأسود هو عصر ابن عباس وهو سابق لعصر المقننين الذي يقتضي مجرد اتجاهه إلى أبواب هذا العلم إجمالاً حسبما تقتضيه الفطرة العربية.

وعند بحثنا عن آراء ابن عباس النحوية لم نجد ما يظهر لنا تلك المصطلحات الناضجة، لكننا عثرنا على أقوال له تمثل عصره تمثيلاً صادقاً، إذ إنه من المعلوم أن كل علم تكون قواعده وضوابطه كامنة في تطبيقاته الأولى، وتكون- عادة- نشأة المصطلحات متأخرة عن المباشرة العملية له، وهذا ما وجدناه عند ابن عباس حيث شكلت آراؤه المادة اللغوية الخام التي تصرفت على وجه أكثر دقة وأحسن تبويباً وتنظيماً فيما بعد[2]، وهذه بعض من آرائه:

---

(1) ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٣٥.

(2) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٤٥.

مسألة الاستثناء:

اشتهر عن ابن عباس مذهب في الاستثناء، وهي مسألة أصولية فقهية بحتة إلا أن أصلها لغوي.

فقد روي عن ابن عباس أنه قال: "يصح الاستثناء إلى شهر". وروي عنه أيضاً أنه: "يصح ولو بعد سنة". وروي -أيضاً- عنه أنه: "يصح أبداً"[1].

ومعروف أن من شروط صحة الاستثناء أن يكون المستثنى والمستثنى منه صادر من متكلم واحد، لذا كان اعتماد ابن عباس على تقرير هذا المذهب هو ما روي عن النبي -ﷺ- في تحريم مكة بعد قوله: "لا يختلى خلاه" فقال العباس -رضي الله عنه- يا رسول الله إلا الإذخِر، فإنه لقيننا وبيوتنا، فقال النبي -ﷺ-: "إلا الإذخر".

فكان الكلام من النبي -ﷺ-، والاستثناء من العباس -رضي الله عنه-، لكن هذا مؤول بأن العباس أراد أن يذكر رسول الله -ﷺ- بالاستثناء خشية أن يسكت عنه اتكالاً على فهم السامع ذلك بقرينة وفهم منه أنه يريد استثناءه، ولأجل ذلك أعاد النبي -ﷺ- الاستثناء، فقال: "إلا الإذخر" ولم يكتفِ باستثناء العباس، وهذا يرشد إلى اعتبار كونه من متكلم واحد[2].

ومن شروط الاستثناء اتصال معتاد، لذلك اعتبر سكوت النبي -ﷺ- انقطاع بكلام أجنبي وهو كلام العباس، وبهذا كان ابن عباس يقول: "يصح ولو بعد سنة"، فالانقطاع إذا كان من جنس الكلام ليس انقطاعاً عن الاستثناء عند كثير من العلماء فقد قال النبي -ﷺ-: "إلا

---

(1) ينظر: شرح الكوكب المنير ٣/ ٢٩٧-٢٩٨.

(2) نفسه ٣/ ٢٨٤.

الإذخر استثنى بعد سكوته عن الكلام السابق، وانقطع كلامه بكلام أجنبي وهو كلام العباس،وهو في الوقت نفسه من جنس كلام النبي -ﷺ-.

ومع ذلك فإن تراخي الاستثناء في مذهب ابن عباس مرجوح، ولو صح لما قال الله تبارك وتعالى لأيوب- عليه السلام-: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلاَ تَحْنَثْ﴾ [ص/ ٤٤]، بل كان يقول له: استثنِ ولا حاجة إلى التوسل إلى البر بذلك.

إن مذهب ابن عباس في الاستثناء- مع أنه مرجوح- قد اعتمد عليه كثير من العلماء والفقهاء وصار مذهباً مشهوراً عند الناس، ومن لطيف ما يحكى أن الرشيد استدعى أبا يوسف القاضي، وقال: كيف مذهب ابن عباس في الاستثناء؟ فقال: يلحق عنده بالخطاب، ويتغير الحكم به، ولو بعد زمان، فقال: عزمت عليك أن تفتي به ولا تخالفه، وكان أبو يوسف لطيفاً فيما يورده، متأنياً فيما يقوله، فقال: رأي ابن عباس يفسد عليك بيعتك لأن من حلف لك وبايعك يرجع إلى منزله فيستثني، فانتبه الرشيد، وقال: إياك أن تعرّف الناس مذهبه في ذلك واكتمه[1].

نيابة الحروف ومعانيها:

إن إدراك معنى الحرف فرع عن إدراك المعنى العام للآية الذي يقضي به السياق العام، ومن ثم فإن ما وجد عن ابن عباس من تفسير بعض الآيات على وفق ما تقدم يعد جزءاً من نظراته الدلالية التي تضمنها تفسيره كتاب الله سبحانه وتعالى. غير أن النحويين قد درجوا

---

(1) شرح الكوكب المنير ٣/ ٣٠٣.

علـى ذكـر الحـروف في بحـوثهم النحوية على أنه القسيم الثالث للكلام، ولهـذا سـأقدم بعـض أقـواله الـتي تبين بعض معاني الحروف ونيابتها عن بعضها:

١- ففـي قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُوْنَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُوْنَ﴾ [الشعراء/ ١٢٩] قال ابن عباس: (لعلكم تخلدون) كأنكم تخلدون[1]. ففيه أن الحروف الناسخة تنوب عن بعضها.

٢- وفي قـوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيْ آدَمَ مِنْ ظُهُوْرِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَلَـى أَنْفُـسِهِمْ أَلَـسْتُ بِـرَبِّكُمْ قَالُـوْا بَلَـى شَـهِدْنَا﴾ [الأعـراف/ ١٧٢]، روي عن ابن عباس أنه قال: لو قالوا: (نعم) لكفروا[2]. وقد شرح ذلك ابن هشام في (المغني) بقوله: ووجهه أن (نعـم) تـصديق للمخبر بنفـي أو إيجـاب ولـذلك قـال جماعة من الفقهـاء: لو قال: أليس عليك ألف؟ فقال: (بلى) لزمته، ولو قال: (نعم) لم تلزمه[3].

٣- وفي قـوله تعـالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَـيْئاً مَذْكُـوْرًا﴾ [الإنـسان/ ١].ذكر أبو حيان أن ابن عباس وقتادة ذهبا إلى أن (هـل) هـنا بمعنـى (قد)[4]. وقد تنازع النحاة في مجيء (هل) بمعنى (قد) على ثلاثة مذاهب:

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٤٦٢.

(٢) ينظر: الإتقان ٢/ ١٨٧.

(٣) مغني اللبيب ص ١٠٥، ١٥٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٨/ ٣٨٥.

الأول: قـول الزمخشري حيث ذهب إلى أن (هل) تكون بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة على التقرير والتقريب جميعاً[1].

الثاني: هو القول بما قاله ابن عباس.

والثالث: هو منع مجيء (هل) بمعنى (قد)، وقد دعم هذا القول ابن هـشام، وأوَّلَ ما جاء عن ابن عباس بأنه أراد الاستفهام التقريري؛ لا الاستفهام الحقيقي[2].

وإذا قلـنا: إن المـراد هـو الاستفهام التقريري لم تكن ثمة حاجة إلى القول بمجيء (هل) بمعنى (قد)[3].

٤- وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف/ ٢٢]، ذهـب نفـر مـن الـنحويين إلى أن من أقسام الواو أن يؤتى بها بعد العـدد (سـبعة) وتـسمى واو الثمانـية قـال ابن هشام: "واو الثمانية ذكـرها جماعـة من الأدباء كالحريري، ومن النحويين الضعفاء كابن خالـويه، ومـن المفـسرين كالـثعالبي، وزعموا أن العرب، إذا عدوا قالوا: ستة، سبعة، وثمانية إيذاناً بأن السبعة عدد تام، وأن ما بعدها عدد مستأنف"[4].

وقـال أيـضاً: "ويـؤيده قـول ابـن عباس- رضي الله عنهما-: حين جاءت الواو انقطعت العدة أي لم تبقَ عدة عادٌ يُلتفت إليها"[5].

---

(١) ينظر: الكشاف ٤/ ٦٦٥.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ص ٤٦١.

(٣) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص٤٧.

(٤) السابق ص ٤٧٤.

(٥) مغني اللبيب ص ٤٧٥.

٥- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيْدُوْنَ﴾ [الصافات/ ١٤٧]، روي عن ابن عباس أنه ذكر أن معنى (أو يزيدون): بل يزيدون[١]. وقد ذهب الفراء إلى عين ما نقل عن ابن عباس محتجاً بأن التفسير ورد بذلك مع صحته في العربية[٢].

لكن ابن جني لا يوافق الفراء على ذلك ويرى أن (أو) هنا على بابها من إفادة الشك[٣]. وهذا لا يجوز في حق الله- عز وجل- إذ الشك منه ممتنع، وقول ابن عباس أكثر انسجاماً مع ظاهر النص والله أعلم.

٦- وفي قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِيْنَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ [ق/ ١٥]، فقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس تفسيره للاستفهام هنا على أنه في معنى النفي، يقول: لم يعينا الخلق الأول[٤].

قال أبو جعفر النحاس بانياً على إشارة ابن عباس: "وهكذا الاستفهام الذي فيه معنى التقرير والتوبيخ يدخله معنى النفي، أي: لم نعيَ بالخلق الأول[٥].

٧- وفي قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْنَ الَّذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُوْنَ﴾ [الماعون/ ٤، ٥]، روي عن ابن عباس أنه قال: "لو قال في صلاتهم لكانت في المؤمنين"[٦]. فهذا إدراك منه- رضي الله عنه- معنى الحرفين ودلالتهما إذ إن (في) تعني الظرفية و(عن) تعني المجاوزة.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٠/ ٥٣١، والبحر المحيط ٧/ ٣٦٠.
(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٣.
(٣) ينظر: الخصائص ٢/ ٤٦١.
(٤) ينظر: صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٤٦١، وتفسير الطبري ١١/ ٤١٤.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٥.
(٦) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٢، والبحر المحيط ٨/ ٥١٨.

٨- وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِيْنَ﴾ [الزخرف/ ٨١]، روي عنه أنه يرى أن (إنْ) هنا نافية، وكان يقول: لم يكن للرحمن ولد، وتحتمل عند المفسرين أن تكون شرطية إلى جانب وجه النفي[1].

مسائل في الحذف:

(أ) حذف المضاف:

١- ففي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ...﴾ [البقرة/ ٢٥]، قال صاحب (الفوائد في مشكل القرآن): واختلف أيضاً في المحذوف الذي أضيف إليه الظرف، فقيل: من تحت غصونها، وقال ابن عباس: من تحت غرفها؛ لأنه ظهر في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر/ ٢٠]. وقال أبو علي: من تحت ثمارها، إذ هو أبلغ في الامتنان، يؤكده: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوْا﴾ أي من ثمارها ثمرة مرزوقة، قالوا الآية[2].

٢- وأيًّا كان المحذوف، فإن ابن عباس قد أعطى تفسيراً يوضح فيه إمكان تقدير مضاف محذوف يدل عليه سياق الآية الكريمة، ويشهد له القرآن، فهل قوله هذا يقف دليلاً لمن يدعي المجاز في القرآن، ويقول إن تقدير الحذف يمكن أن

---

(١) ينظر: السابق ٣/ ١٠٣.

(٢) ينظر: الفوائد في مشكل القرآن ص ٤٥.

يكـون مجـازاً كمـثل قـوله تعـالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِيْ كُنَّا فِيْهَا...﴾ [يوسـف/ ٨٢]، فإن تقدير الحذف: واسأل أهل القرية كمثل ما قال ابن عباس، وعليه نقول بالمجاز؟

أقـول: إن ابـن عـباس حين فسّر الآية وقدر مضافاً محذوفاً كـان ذلـك نابعـاً من الحس العربي الأصيل، وما قاله كان سـليقة، ولم يكـن ذلـك متحـصلاً في قـوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَـرْيَةَ الَّتِـيْ كُنَّا فِيْهَا ...﴾ إذ إن المعنى واضح أن السؤال سـيوجه لأهـل القـرية لا لبيوتها وجبالها وما يحاط بها فلا حاجـة إلى تقديـر، والعـرب تقـول عـبارات تعـرف مـنها المقـصود ولا تحـتاج إلى تقدير إذ هو من التكلف ولا يلجأ إلـيه إلا مـن قـصر فهمه عن كلام العرب. وما جاء القول بالمجـاز في القـرآن إلا عـند المحـدثين عـندما ضـعفت اللغـة وأكثروا من التقدير الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، فلا يكون كلام ابن عباس من هذا القبيل والله أعلم.

(ب) حذف المعطوف:

١- ففـي قـوله تعالى: ﴿وَقَالُوْا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكـاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُوْنَ﴾ [الأنعام/ ٨]، قال أبو حـيان: "قـال ابـن عباس وقتادة والسدي: في الكلام حذف تقديـره: ولو أنزلنا ملكاً فكذبوه لقضي الأمر بعذابهم، ولم يؤخـروا حـسب ما سلف في كل أمة"[1]. فحذف (فكذبوه) المعطوف تقديراً على الجملة (أنزلنا).

---

[1] البحر المحيط ٤/ ٨٢.

٢- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء/ ١٠١] قال أبو حيان: قال ابن عباس: كلام محذوف، وتقديره: فسأل موسى فرعون بني إسرائيل، أي طلبهم لينجيهم من العذاب[1].

(جـ) حذف الحال:

ففي قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة/ ١٠٦]، اختلف النحاة والمفسرون في تفسير هذه الآية وإعرابها اختلافاً عريضاً، وقد روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قوله: في الكلام حذف تقديره، فأصابتكم مصيبة الموت وقد أشهدتموهما على الإيصاء[2]. ولا يخفى أن جملة (وقد أشهدتموهما) التي قدرها ابن عباس في محل نصب على الحال[3].

التقديم والتأخير:

وهو فرع عن المعنى حيث يلاحظ النحوي ارتباط بعض المفردات أو الجمل بأخرى مع وجود فاصل بينهما، فيدعوه ذلك إلى تقدير يزيل ذلك الفاصل[4]. وهذه أمثلة على ذلك:

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٨٣.

(٢) الدر المصون ٤/ ٤٦٤.

(٣) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٥٣.

(٤) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٥٣.

١- ففي قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُوْنِنَا لاَ يَسْتَطِيْعُوْنَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلاَ هُمْ مِنَّا يُصْحَبُوْنَ﴾ [الأنبياء/ ٤٣]، قال أبو حيان: قال ابن عباس: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم[١] ومراد ابن عباس أن (من دوننا) نعت لآلهة، فكأنه قال: أم لهم آلهة من دوننا أو غيرنا تكف الأذى عنهم[٢].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِيْ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيْداً﴾ [الكهف/ ١،٢]، ذهب ابن عباس– وتابعه مجاهد والأخفش وأبو حاتم وغيرهم– إلى أن في هاتين الآيتين تقديماً وتأخيراً وأن تأويله: الذي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجاً[٣].

٣- وفي قوله تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُوْنَ﴾ [التوبة/ ٥٥]، قال ابن عباس وقتادة: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة[٤]. فيكون (في الحياة) متعلقاً بـ(ليعذبهم)، ويكون (في الآخرة) مقدراً. وهذه التقديرات كلها في الآيات السابقة رائدها المعنى كما لا يخفى[٥].

---

(١) البحر ٦/ ٣١٤.

(٢) ينظر السابق ٥٤.

(٣) ينظر: المكتفي في الوقف والابتداء ص ٣٦٦، ٣٦٧.

(٤) تفسير القرطبي ٨/ ١٥٣.

(٥) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٥٥.

معنى كان وزيادتها:

عرف العرب معنى كان بأنها تفيد اتصاف اسمها بخبرها في الزمن الماضي، وحين وردت في القرآن بهذه الصفة، التبس معناها وصار محيراً فيما يختص بأسماء الله عز وجل وصفاته فيما دخلت عليه كمثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوْراً رَحِيْماً﴾ [النساء/ ٩٦]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيْعاً بَصِيْراً﴾ [النساء/ ١٣] وغيرها، فتواردت أفكار تقول: هل اتصف الله بهذه الصفات قديماً، والآن لا يكون؟! وقد أوردت أثراً عن ابن عباس في الفصل الأول أن رجلاً جاء يسأله عن بعض آيات اشتبهت عليه ومنها ما دخلت عليها (كان) في صفات الله، فقال ابن عباس: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوْراً رَحِيْماً﴾ سمى نفسه بذلك وذلك قوله أي: لم يزل كذلك، فإن الله تعالى لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله[1].

ومعنى كلام ابن عباس أن (كان) تفيد اتصاف اسمها بخبرها في الزمن الماضي إلا في حق الله وصفاته فإنها تفيد الاستمرار ولا تختص بزمان بعينه[2]. واتخذت (كان) معاني كثيرة بسطها أبو البقاء الكفوي في (الكليات) ومنها ما ذكره ابن عباس[3].

أما من حيث زيادتها فقد ورد في تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِيْ كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُوْلَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىْ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة/ ١٤٣]، قال: القبلة في الآية: الكعبة،

---

(١) البخاري مع الفتح كتاب التفسير ٨/ ٧٠٦.

(٢) ينظر: الكليات ص ٧٤٧ وما بعدها.

(٣) ينظر: المعجم المفصل في النحو العربي ٢/ ٨١٧.

و(كنت) بمعنى: أنت كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران/ ١١] بمعنى أنتم[١].

ومقتضى تفسير ابن عباس أن تعد (كان) هنا زائدة، ولما كان النحاة يشترطون شروطاً خاصة لزيادة (كان)[٢]، علق أبو حيان على ما نقل عن ابن عباس في هذا بقوله: وهذا من ابن عباس- إن صح- تفسير معنى لا تفسير إعراب، لأنه يؤول إلى زيادة (كان) الرافعة للاسم والناصبة للخبر، وهذا لم يذهب إليه أحد، وإنما تفسير الإعراب على هذا التقدير ما نقله النحويون أن (كان) تكون بمعنى (صار)، ومن صار إلى الشيء واتصف به صح من حيث المعنى نسبة ذلك الشيء إليه، فإذا قلت: صرْتَ عالماً صح أن تقول: أنت عالم لأنك تخبر عنه بشيء هو فيه، فتفسير ابن عباس (كنت) (بأنت) هو من هذا القبيل، فهو تفسير معنى لا تفسير إعراب، وكذلك مِنْ صار خير أمة صح أن يقال فيه أنتم خير أمة[٣].

عود الضمير:

لابد لضمير الغائب من اسم متقدم عليه مذكور يفسر غموضه ويزيل إبهامه يُسمى عود الضمير، والضمائر كلها لا تخلو من غموض، فلا بد لها مما يفسر غموضها، فالمتكلم والمخاطب يفسرهما وجودهما في وقت الكلام، أما الغائب فلا بد له من اسم متقدم عليه مذكور قبله يكون

---

(١) البحر المحيط ١/ ٥٩٧.

(٢) ينظر: همع الهوامع ١/ ١٢٠.

(٣) السابق ١/ ٥٩٧.

مطابقاً له في الإفراد والتأنيث والتذكير والتثنية والجمع مما يسمى (مرجع الضمير)، ويكون تقدمه إما في اللفظ والرتبة، وإما متقدماً في الرتبة متأخراً في اللفظ[1]. وقد ورد عن ابن عباس إشارات في تفسيره إلى بعض الآيات في هذا الموضوع ومن أمثلتها:

١- في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات/ ٧]، قال ابن القيم: فقال ابن عباس: يريد أن ربه على ذلك لشهيد، وقيل: إن الإنسان لشهيد على ذلك، إن أنكر بلسانه أشهد ربه عليه حاله، ويؤيد هذا القول سياق الضمائر. فإن قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ للإنسان، فافتتح الخبر عن الإنسان بكونه بخيلاً بماله لحبه إياه. ويؤيد قول ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه أتى بعلى، فقال: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي مطّلع عالم به كقوله ﴿ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس/ ٤٦]، ولو أريد شهادة الإنسان لأتى بالباء. فقيل: وإنه بذلك لشهيد، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِيْنَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِيْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة/ ١٧]، فلو أراد شهادة الإنسان لقال: وإنه على نفسه لشهيد، فإن كنوده المشهود به، ونفسه هي المشهود عليها[2].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر/ ١٠]. قال ابن عباس: الكلم الطيب: ذكر الله، والعمل الصالح: أداء فرائضه، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه، حمل

---

(١) ينظر: المعجم المفصل في النحو العربي ٢/ ٧١٧، ٧٢٠.

(٢) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٤١٣، وتفسير الطبري ١٠/ ٣٩٩.

عليه ذكر الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله، ولم يؤدِّ فرائضه، رد كلامه على عمله، فكان أولى به"[1].

قال ابن عطية: "اختلف الناس في الضمير في (يرفعه) على من يعود، فقالت فرقة يعود على (العمل)، واختلفت هذه الفرقة، فقال قوم الفاعل بـ"يرفع" هو (الكلم) أي والعمل يرفعه الكلم وهو قول لا إله إلا الله لأنه لا يرتفع عمل إلا بتوحيد، وقال بعضهم الفعل مسند إلى الله تعالى أي "والعمل الصالح يرفعه هو". وهذا أرجح الأقوال[2].

ثم قال- رحمه الله- في رده على قول ابن عباس من حيث المعنى: "وهذا قول يرده معتقد أهل الحق والسنة ولا يصح عن ابن عباس، والحق أن العاصي التارك للفرائض إذا ذكر الله تعالى وقال كلاماً طيباً فإنه مكتوب له متقبل منه، وله حسناته وعليه سيئاته، والله تعالى يتقبل من كل من اتقى الشرك، وأيضاً فإن (الكلم الطيب) عمل صالح وإنما يستقيم قول من يقول إن العمل هو الرافع لـ(الكلم) بأن يتأمل أنه يزيد في رفعه وحسن موقعه إذا تعاضد معه، كما أن صاحب الأعمال من صلاة وصيام وغير ذلك إذا تخلل أعماله كلم طيب وذكر لله كانت الأعمال أشرف"[3].

فابن عطية -رحمه الله- لا ينفي جواز عود الضمير على العمل الصالح -وهو قول ابن عباس-، ولكن ليس بالمعنى الذي فسره

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز ٤/ ٤٣١.

(2) نفسه.

(3) روح المعاني ١٢/ ٢٥٩.

ابن عباس -إن صح عنه ذلك-، قال الألوسي: "ومثله ما نسبه ابن عباس وأنا لا أظن صحة نسبته إليه، وعلى التسليم يحتمل أنه -رضي الله تعالى عنه- أراد بقوله العمل الصالح يرفع عامله ويشرفه بيان ما تشير إليه الآية في الجملة".

٣- وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيْدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيْهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُوْنَ﴾ [الأنبياء/ ٣١]، قال ابن جرير: "وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول: إنما عني بقوله: "وجعلنا فيها فجاجاً" وجعلنا في الرواسي، فالهاء والألف في قوله: "وجعلنا فيها" من ذكر الرواسي"[١].

فابن عباس– رضي الله عنهما– يجعل الضمير عائداً على أقرب اسم له وهو الرواسي فهو على القاعدة العامة أن الضمير يعود على أقرب متقدم، بينما يذهب ابن جرير إلى أن الضمير يعود على الأرض ويقول: "وإنما اخترنا القول الآخر في ذلك، وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض، لأنها إذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل، وذلك أن ذلك كله في الأرض، وقد جعل الله لخلقه في ذلك كله فجاجاً سبلاً، ولا دلالة تدل على أنه عني بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلاً، دون بعض، فالعموم بها أولى"[٢]. واستحسن ابن عطية عود الضمير على الأرض[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٢٢.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٤/ ٨٠.

مسائل نحوية متفرقة:

١- صرف مصر:

روى سفيان بن عيينة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة/ ٦١]، قال: "مصراً من الأمصار"[1].

قال سيبويه -رحمه الله-: "إذا كان اسم الأرض على ثلاثة أحرف خفيفة وكان مؤنثاً، أو كان الغالب عليه المؤنث كعُمَان، فهو بمنزلة: قِدْر، وشَمْس، ودَعْد.

وبلغنا عن بعض المفسرين أن قوله عز وجل: ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ﴾، إنما أراد مصر بعينها"[2].

وقال ابن قتيبة: "وأسماء الأرضين في المعرفة، وتنصرف في النكرة، إلا ما كان منها مذكراً سُمي به المكان؛ فإنهم يصرفونه، نحو "واسط" وما كان منها على ثلاثة أحرف وأوسطه ساكن؛ فإن شئت صرفته، وإن شئت لم تصرفه، قال الله عز وجل: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف/ ٩٩]، وقال تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾ [البقرة/ ٦١]"[3].

وقال الفراء: "وقوله: اهبطوا مصراً، كتبت بالألف، وأسماء البلدان لا تنصرف خفت أو ثقلت، وأسماء النساء إذا خف منها شيء جرى إذا كان على ثلاثة أحرف وأوسطها ساكن مثل دَعْد وهِنْد

---

(١) تفسير سفيان بن عيينة ص ٢٠٨، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٩٤، وابن كثير ١/ ١٤٦، والدر المنثور ١/ ١٤٢.

(٢) الكتاب ٣/ ٢٤٢.

(٣) أدب الكاتب ص ١٩٤.

وجُمْـل. وإنمـا انـصرفت إذا سمي بها النساء لأنها تردد وتكثر بها التـسمية فتخف لكثرتها، وأسماء البلدان لا تكاد تعود. فإن شئت جعلـت الألـف الـتي في مصراً ألفاً يوقف عليها، فإذا لم تنوّن فيها، كمـا كتـبوا سَلاسـلاً وقواريـراً بالألـف، وأكثـر القـراء علـى ترك الإجراء فيهما. وإن شئت جعلت مصر غير المصر التي تعرف، يريد اهبطوا مصراً من الأمصار، فإن الذي سألتم لا يكون إلا في القرى والأمـصار. والـوجه الأول أحـب إلـيَّ؛ لأنهـا في قـراءة عـبد الله اهبطوا مِصْرَ بغير ألف، وفي قراءة أُبَيٍّ: ﴿اهْبِطُواْ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَاسْكُنُواْ مِصْرَ﴾ وتـصديق ذلك أنها في سورة يوسف بغير ألف: ﴿ادْخُلُواْ مِصْرَ إِنْ شَآءَ اللهُ آمِنِيْنَ﴾[1].

قـال القـرطبي: ومـصراً بالتـنوين منكـراً قراءة الجمهور، وهو خط المـصحف. قال مجاهد وغيره: فمن صرفها أراد مصراً من الأمصار غير معين.

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿اهْبِطُواْ مِصْراً﴾ قال: مصراً مـن الأمـصار. وقالـت طائفـة ممن صرفها أيضاً أراد مصر فرعون بعيـنها. واستدل الأولون بما اقتضاه ظاهر القرآن من أمرهم دخول القـرية، وبمـا تظاهـرت بـه الـرواية أنهـم سـكنوا الشام بعد التيه. واسـتدل الآخرون بما في القرآن من أن الله أورث بني إسرائيل ديار آل فرعون وآثارهم، وأجازوا صرفها. قال الأخفش والكسائي: لخفتها وشبهها بهند ودعد، وأنشد:

لَمْ تَتَلَفَّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ وَلَمْ تُسْقَ دَعْدُ فِي العُلَبِ

---

[1] معاني القرآن للفراء ١/ ٤٢-٤٣.

فجمع بين اللغتين. وسيبويه والخليل والفراء لا يجيزون هذا؛ لأنك لو سميت امرأة بزيد لم تصرف. وقال غير الأخفش: أراد المكان فصرف. وقرأ الحسن وأبان بن تغلب وطلحة: "مِصْرَ" بترك الصرف. وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب وقراءة ابن مسعود. وقالوا: هي مصر فرعون. قال أشهب: قال لي مالك: هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون[1]؛ ذكره ابن عطية[2].

قال الطبري -رحمه الله-: "فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين: اهبطوا مصراً. وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها، لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين، واتفاق قراءة القَرَأَةِ على ذلك. ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه، إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة، فيما جاءت به القراءة مستفيضاً بينها"[3].

ومع كون القراءة الراجحة جاءت بصرف (مصراً) فإن ابن جرير لا يميل إلى أحد القولين المذكورين عن أهل التأويل المتنازع فيهما، ويرى احتمال الأمرين معاً، فقال: "والذي نقول به في ذلك، أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين، ولا خبر به عن الرسول -ﷺ- يقطع مجيئه العذر. وأهل التأويل متنازعون تأويله، فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض -على ما بينه

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ١/ ١٥٤.

(٢) تفسير القرطبي ١/ ٤٣٢-٤٣٣.

(٣) تفسير الطبري ١/ ٣٥٥.

عـز وجل في كتابه- وهم في الأرض تائهون، فاستجاب الله لموسى دعـاءه، وأمـره أن يهـبط بمـن معه من قومه قراراً من الأرض التي تنـبت لهـم مـا سـأل لهم من ذلك، إذ كان الذي سألوه لا تنبته إلا القـرى والأمصار، وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه. وجائز أن يكون ذلك القرار مصر وجائز أن يكون الشام[1].

قـال ابن كثير -رحمه الله-: ثم توقف-يعني ابن جرير- في المراد ما هـو أمصر فرعون أم مصر من الأمصار؟ وهذا الذي قاله فيه نظر، والحق أن المراد:

مـصر مـن الأمـصار كما روي عن ابن عباس وغيره، والمعنى على ذلـك لأن موسى -عليه السلام- يقول لهم: هذا الذي سألتم ليس بأمر عزيز بل هو كثير في أي بلد دخلتموه وجدتموه، فليس يساوي مـع دناءتـه وكثـرته في الأمـصار أن أسـأل الله فـيه. ولهـذا قـال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُوْنَ الَّذِيْ هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِيْ هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوْا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَـا سَأَلْتُمْ﴾ أي طلبتم، ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة فيه لم يجابوا إليه والله أعلم[2].

فمعرفة ابن عباس بأن مصراً حين تصرف تكون نكرة أي مصر من الأمـصار دلالـة واضحة على ما متع به من لغة قوية وحس لغوي دقيق.

٢- وفي قـوله تعـالى: ﴿كُـلٌّ آمَـنَ بِـاللهِ وَمَلاَئِكَـتِهِ وَكُتُـبِهِ وَرُسُـلِهِ...﴾ [البقـرة/ ٢٨٥] قـرأ حمزة والكسائي: وكتابه وحجتهما أن الكتاب

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٣٥٥.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٤٦.

هو القرآن فلا وجه لجمعه. وحجة أخرى ، قال ابن عباس: الكتاب أكثر من الكتب. قال أبو عبيد: أراد كل كتاب الله بدلالة قوله: ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة/ ٢١٣]، فوحد إرادة الجنس، وهذا كما تقول: (كثر الدرهم في أيدي الناس) تريد الجنس كله[1]. وهذه إشارة لطيفة من ابن عباس إلى كون الجنس مستغرق لأفراده بخلاف الجمع.

٣- قال الراغب في (المفردات): والمنكر متى أعيد ذكره وأريد به ما تقدم عُرِّف، كقولك: رأيت رجلاً، فقال لي الرجل: كذا. ومتى ذكر ثانياً منكراً أريد به غير الأول، ولذلك قال ابن عباس في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الإنشراح/ ٥، ٦]، لن يغلب عسر يسرين[2].

وهذه القاعدة مشهورة وهي:

إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة أو أعيدت المعرفة معرفة، أو نكرة كان الثاني عين الأول.

وردّ ابن هشام هذه القاعدة على من زعم أنها مطردة بدون قرينة بشواهد قرآنية وقال: فإذا ادعي أن القاعدة فيهن إنما هي مستمرة مع عدم القرينة، فأما إن وجدت قرينة فالتعويل عليها سهل الأمر[3].

---

(١) ينظر: حجة القراءات ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) مفردات الراغب ص ٥٠٧.

(٣) مغني اللبيب ص ٨٦٣.

الفصل الرابع

(آراؤه اللـغـويـة)

المبحث الأول

آراؤه في اللغة

لقد آثار القرآن الكريم كوامن الفكر العربي وقدح زناده حين بعثه من رقاده الطويل، وأنقذه من ظلمات الجاهلية إلى نور الهداية والإسلام.

ولما كان العرب قليلي الممارسة للقراءة والكتابة، وكان القرآن الكريم يخاطب العرب بما جرى عليه أهل اللسن والفصاحة فيهم، لا بما ألفوه في حياتهم الاجتماعية كان إستغلاق بعض كلمات من الذكر الحكيم أمراً واردا. ونظراً لاشتمال الكثير على الكثير من الصور البيانية والأساليب الرفيعة التي لا تستوي لكل عربي كان شرح النبي -ﷺ- لبعض تلك الأساليب والصور أمراً مطلوباً، ولاسيما والعربية تملك من الثراء اللفظي والمرونة الدلالية ما يجعل الحاجة ماسة لتحديد معاني بعض الألفاظ حسب سياقات النص، ومرادات الخالق جلَّ وعلا. ومن ثمَّ فإن ابن عباس لم يبدأ من فراغ، بل كان متفاعلاً مع الجو العام الذي فتح عينيه، ولكن تأخُّر وفاته أتاح له من ذلك ما لم يتح لغيره[1].

وفي الجملة فإن مصطلح (العربية) أخذ يزداد رسوخاً وانتشاراً في النصف الأول من القرن الأول، كما أن، تميز بعض الصحابة على غيرهم بمعرفة العربية وحفظ الشعر صار أكثر وضوحاً[2].

---

(1) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٣٩.

(2) نفسه.

وفي هـذا الوسط نمت معارف ابن عباس اللغوية وكانت إسهاماته ذات فعالـية كبيرة أستفاد منها العلماء من بعده وأسسوا على إثر مقولاته وآرائـه علـوماً مستقلة في مجال العربية وغيرها، بل وربما كان لقوله مذهباً يـسلكه المتأخرون في تقرير بعض الأحكام الفقهية والأصولية بماله ارتباط في جوانب اللغة كما سيأتي في مسألة الاستثناء.

ومـا عثرنا عليه من أقوال لابن عباس في هذا المضمار يمثل عصر ابـن عـباس تمثـيلاً صـادقاً إذ أنـه مـن المعلـوم أن كل علم تكون قواعده وضوابطه كامنة في تطبيقاته الأولى، وتكون- في العادة- نشأة المصطلحات متأخـرة عـن المباشـرة العملـية له. وهنا ما وجدناه عند ابن عباس حيث شكلت آراؤه المادة اللغوية الخام التي تصرفت على وجه أكثر دقة وأحسن تبويباً وتنظيماً فيما بعد[1].

ابن عباس ونشأة اللغة:

إن قضية نشأة اللغة قد شغلت الباحثين قديماً وحديثاً ولم يتوصلوا إلى رأي قاطـع فـيها، فأما القدماء فقد بحثوا فيها بحثاً مستفيضاً من خلال الأدلـة الـشرعية والعقلـية من حيث إثبات مسألة التوقيف والإصلاح في اللغة واختلفوا على أقوال[2]:

القـول الأول: إن الواضـع هـو الله سـبحانه وتعالى؛ وإليه ذهب الأشعري وابن فُورَك، ومن اللغويين ابن فارس.

---

(1) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٤٥.

(2) ينظر: البلغة في أصول اللغة ص ٧٢ وما بعدها.

ودليلهم هو قول الله عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة/ ٣١]، وكذلك ما ذهب إليه المفسرون من الصحابة والتابعين في تفسير هذه الآية في أن اللغة قد علمها آدم من الله وعلى رأسهم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ثم تلاميذه كمجاهد وسعيد ابن جبير وعطاء بن أبي رباح وغيرهم.

قال ابن فارس: "والذي نذهب إليه ما قاله ابن عباس"[١].

القول الثاني: إن الواضع هو البشر، وإليه ذهب أبو هاشم الجُبَّائي ومن تابعه من المعتزلة. وعلى ذلك -أيضاً- اختلفت أقلام ذوي اللغات، كما اختلفت ألسن الأصوات المرتبة على مذاهبهم في المواضعات. والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم/ ٤]، أي بلغتهم. وهذا يقتضي تقدم اللغة على بعثة الرسل؛ فلو كانت اللغة توقيفية لم يتصور ذلك إلا بالإرسال.

القول الثالث: إن ابتداء اللغة وقع بالتعليم من الله سبحانه والباقي بالاصطلاح.

القول الرابع: إن ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح والتتمة من الله، وبه قال الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني. وقيل: إنه قال بالذي قبله[٢].

القول الخامس: إن نفس الألفاظ دلت على معانيها بذاتها، وهو مذهب عباد بن سليمان الصيمري. واحتج بأنه لولا الدلالة الذاتية لكان وضع لفظ من بين الألفاظ بإزاء معنى من بين المعاني ترجيحاً بلا مرجح، وهو محال.

---

(١) الصاحبي ص ٣٢.

(٢) السابق ص ٧٩.

القول السادس: إنه يجوز كل واحد من هذه الأقوال من غير جزم بأحدها، وبه قال الجمهور وإليه ذهب المحققون من أهل الأصول، واللغات، وعلم الألسن. واحتجوا بأن هذه الأدلة التي استدل بها القائلون، لا يفيد شيء منها القطع، بل لم ينهض شيء منها لمطلق الأدلة، فوجب عند ذلك الوقف، لأن ما عداه هو من التقول على الله بما لم يقل، وإنه باطل.

وأما المحدثين فقد تناولوا نشأت اللغة كما فعل القدماء، وأثبتوا بعض ما قاله القدماء وزادوا عليه؛ غير أنهم سموا الأقوال نظريات، ومنها:

١- نظرية الوحي والإلهام:

تقرر هذه النظرية أن الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى إلهام إلهي هبط على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء، وقد ذهب إلى هذا الرأي- على حد زعمهم- في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني هيراقليط، وفي العصور الوسطى بعض الباحثين في فقه اللغة كابن فارس في كتابه (الصحابي)، وفي العصور الحديثة طائفة من العلماء على رأسهم الأب لامي في كتابه (فن الكلام)، والفيلسوف دوبونالد في كتابه (التشريع القديم)[(١)].

٢- نظرية التواضع والاصطلاح:

وهي التي حاولت تفسير نشأة اللغة: بأنها تواضع واتفاق بين الناطقين بها، بحيث كان ارتجال الألفاظ أساساً في بناء اللغة[(٢)].

---

(١) ينظر: علم اللغة ص ٩٧، وفي علم اللغة العام ص ٧٠، ٧١.

(٢) ينظر: في علم اللغة العام ص ٧١.

٣- نظرية المحاكاة:

وخلاصتها أن الإنسان سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها[١]، أو بعبارة أخرى أن تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء[٢].

وقد ذهب إلى هذا الراي معظم المحدثين من علماء اللغة وعلى رأسهم العلامة (وتني). وذهب إلى مثله من قبل هؤلاء كثير من فلاسفة العصور القديمة ومن مؤلفي العرب بالعصور الوسطى كابن جني في كتابه (الخصائص)[٣].

وأول من دافع عن هذا المذهب من علماء الغرب بالتفصيل العالم الألماني (هردر) في كتابه (بحوث في نشأة اللغة)[٤].

٤- نظرية الغريزة الكلامية:

وتسمى أيضاً نظرية الاستعداد الفطري وسماها اللغوي الألماني (مكس مولر) نظرية (دِنج دونج)[٥]، وهي تقرر أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة زود بها في الأصل جميع أفراد النوع الإنساني، وأن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به، كما أن غريزة التعبير الطبيعي عن الانفعالات

---

(١) ينظر: في علم اللغة العام، ص ٩٨.

(٢) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص ١١٢.

(٣) ينظر: علم اللغة ص ١٠٤.

(٤) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص١١٢.

(٥) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ص ١١٦.

تحمل الإنسان على القيام بحركات وأصوات (انقباض الأسارير وانبساطها، ووقوف شعر الراس، والضحك، والبكاء ...الخ) كلما قامت به حالات انفعالية معينة (الغضب، والخوف، والحزن، والسرور ... الخ)، وأنها كانت متحدة عند جميع الأفراد وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الإنسانية الأولى، فاستطاع الأفراد التفاهم فيما بينهم، وأنه بعد نشأة اللغة الإنسانية الأولى لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة فأخذت تنقرض شيئاً فشيئاً حتى تلاشت كما انقرض لهذا السبب كثير من الغرائز الإنسانية القديمة. ومن أشهر من ذهب هذا المذهب العلامة الألماني (مكس مولر)، والعلامة الفرنسي (رينان)[1].

٥- نظرية التنفيس عن النفس:

وتتلخص في أن مرحلة الألفاظ، قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية، التي صدرت عن الإنسان، للتعبير عن ألمه وسروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة، فهذه الأصوات الساذجة، قد تطورت على مر الزمن، حتى صارت ألفاظاً[2].

وتمتاز هذه النظرية عن سابقتها (نظرية المحاكاة) بأنها تعزو نشأة اللغة الإنسانية إلى أمر ذاتي، أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني، وبالحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان، من انفعالات إلى ملاحظة خارجية موضوعية، أي ملاحظة مظاهر الطبيعة ومحاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها؛ ولذلك كانت هذه النظرية، خطوة أخرى في اتجاه

---

(١) ينظر: علم اللغة ص ١٠٠.

(٢) السابق ص ١١٤، ١١٥.

آخر، نحو البحث عن حل للمشكلة؛ فإنها تشرح لنا منشأ بعض الكلمات، التي تعجز النظرية السابقة عن شرح منشئها[1].

٦- نظرية الملاحظة:

صاحبها هو العالم الألماني (جيجر)، فقد برهن هذا العالم أن أقدم ما أمكنه الوصول إليه، من الأصوات اللغوية الأولى، يعبر عن أعمال أو إشارات إنسانية. ومن هذه الحقيقة، استنبط أن تلك الأعمال والإشارات كانت لا محالة، هي التي لفتت نظر الإنسان الأول، وأثارت اهتمامه، وأنها كانت أول ما عرف الإنسان عن أخيه الإنسان؛ ولذا تمكنت من نفسه وحلت منها مكاناً حصيناً؛ فإن مشاهدة الإنسان لغيره، وهو متلبس بعمل من الأعمال الهامة، أو متأثر بحال انفعالية قاسية، أثارت أقصى اهتمامه، وجعلته يتأثر به تأثراً آلياً، بطريق المحاكاة العكسية، فتظهر على وجهه علامات التأثر نفسها، البادية على وجه زميله. وقد حمله هذا الانتباه إلى العمل وملاحظته أخاه وهو يعمل، على أن تصدر منه إشارة تلقائية، أو صوت ساذج معبر عن هذه الملاحظة. وعلى مر الأيام، وبتكرار التجارب المتشابهة، تطورت الأصوات إلى كلمات، واستغنى عن الإشارات كلها، أو بعضها على الأقل[2].

---

(١) مدخل إلى علم اللغة ص ١١٥.

(٢) نفسه ص ١١٧، ١١٨.

٧- نظرية التطور اللغوي:

وقد تأثر واضعو هذه النظرية بنظرية التطور العام، التي أذاعها (دارون) وحاول أن يبرهن على أثرها في جميع النواحي بعامة، وفي حياة الفرد والنوع الإنساني بخاصة. وقد أدت دراسة النمو اللغوي عند الطفل، إلى ادعاء أصحاب هذه النظرية، بأن هذا النمو يشبه تطوّر لغة النوع الإنساني. وهم يزعمون أن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فطرية متعددة، متمشية مع مراحل نموه العقلي.

وهذه المراحل هي:

١- مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية.
٢- مرحلة الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة بالإشارات المتنوعة، التي تساعد الأصوات، مساعدة فطرية في الإبانة عن الأغراض.
٣- مرحلة المقاطع.
٤- مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع.
٥- مرحلة الوضع والاصطلاح.

وقد امتازت هذه النظرية بأمور:

١- أنها أخضعت نشأة اللغة وتطورها إلى سنة التطور العام.
٢- أنها شرحت لنا السر في نمو اللغة , من حيث متنها وأساليبها.
٣- أنها لا تمنع أن يكون هناك أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة وتطورها[1].

---

(1) مدخل إلى علم اللغة ص ١١٩ وما بعدها.

٨- نظرية جسبرسن:

أما أحدث الآراء في تصور نشأة اللغة فهو ما ذهب إليه فريق من اللغويين المحدثين، وعلى رأسهم (جسبرسن) حين اسسوا نظريتهم على أسس ثلاثة:

١- دراسة مراحل نمو اللغة عند الطفل.

٢- دراسة اللغة في الأمم البدائية.

٣- دراسة تاريخية للتطور اللغوي[١].

وهناك نظرية ترى أن اللغة نشأت في صورة رد فعل من الإنسان تجاه الأحداث الطبيعية المحيطة به.

وأخرى ترى أن اللغة نشأت بصورة جماعية[٢]. والى جانب ما ذكر فقد وجدت كثير من النظريات التي تفسّر نشأة اللغة الإنسانية، وما سبق ذكره هي أشهر النظريات وما عداها تتضمن معنى ما تقدم.

ويتضح من خلال عرض آراء القدماء أن أقوى الآراء في نشأت اللغة- عندهم- هما المذهب الأول والثاني، وجمهور العلماء من المتقدمين توقفوا في الجزم بينهما، مع أنهم يرون أن الأدلة النقلية أقرب إلى دلالة الرأي الأول لا سيما تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة/ ٣١][٣].

(١) في علم اللغة العام ص ٧٣، ٧٤.

(٢) نفسه ص ٧٣.

(٣) ينظر: البلغة في أصول اللغة ص ٨٣ وما بعدها.

أما المحدثين فلم يظهر من عرضهم لهذه النظريات شيء يتعلق به الترجيح، وإنما هي مجرد نظريات لا تفيد القطع عندهم، حتى إن الجمعية اللغوية في باريس، قررت عدم مناقشة هذا الموضوع نهائياً، أو قبول أي بحث فيه لعرضه في جلساتها[1].

أقوال وردود:

أولاً: ذهب كثير من العلماء قديماً إلى إسناد القول في أصل نشأة اللغة إلى أبي الحسن الأشعري وعليه غالب أهل الأصول واعتبروا قول أبي الحسن الأشعري ومن وافقه كابن فورك أول قول في نشأة اللغة. بينما عد المحدثون قول ابن فارس إنه أول من قال بالتوقيف في أصل اللغة، وأغفل كل من القدماء والمحدثين أن أول من قال بهذا هو ابن عباس -رضي الله عنهما- وتبعه تلاميذه من المفسرين، عندما فسروا قول الله سبحانه: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّها**﴾ [البقرة/ ٣١]، بما أثر عنهم.

والعلماء جميعاً يستندون في مقولتهم إن اللغة توقيف إلى تفسير ابن عباس -رضي الله عنهما- فكيف يغفلون عن هذا الرأي العظيم وإن لم يقل به صراحة إن اللغة توقيف، ويسندونه إلى غيره؟!

وتفسير ابن عباس -رضي الله عنهما- للآية بأن الله علّم آدم أسماء كل شيء دليل واضح على معرفة ابن عباس أن اللغة

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ص ١٠٩.

كانت إلهاماً من الله لآدم أبي البشر، وعليه يكون ابن عباس أول من قال بهذا القول لا غيره.

ولا أعلم احداً قديماً أو حديثاً أسند الأولوية في نشأة اللغة من حيث إنها توقيف إلى ابن عباس. والسبب -في ظني- أنهم أرادوا صراحة القول بأن اللغة توقيف، وأخذوا قول ابن عباس -رضي الله عنهما- دليلاً على صحة ما ذهبوا إليه.

وإنـي أرى أن الفضل في تأسيس هذا القول -التوقيف في اللغة- يرجع إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- من خلال المعنى الذي أورده في تفسير الآية فليتأمل!

ويعد هذا الرأي من ابن عباس -رضي الله عنهما- تراث لغوي لا يستهان به. وكونه من رجل مثل ابن عباس-رضي الله عنهما- أستغرب على الباحثين كيف أهملوا هذا الرأي، وطفقوا يتتبعون آراء الغربيين من المستشرقين وأخذوا مأخذهم وحذوا حذوهم؟! ولم تقف بهم الجرأة إلى هذا الحد بل شرعوا في تسفيه مثل هذه الآراء، فالله المستعان.

ثانياً: إن الذين قالوا بالتوقف في الفصل بين المذهبين في نشأة اللغة يميلون -حقيقة- إلى القول بالتواضع في اللغة، ولما لم يكن لهم دليل قوي في إثبات ما ذهبوا إليه إلا مجرد مقولات نظرية لا تقوى في معارضة النصوص الصريحة في إثبات التوقيف في اللغة جنحوا إلى القول بالتوقف في الفصل بين المذهبين، وأنشأوا لأنفسهم مذهباً ثالثاً متوسطاً. وإنما كان ذلك منهم هروباً مما لم يقتنعوا به مع إرادة عدم التسليم للقائلين بالتوقيف في اصل

اللغـة، وهـذا ما ورد في كلام ابن جني بعد أن ساق رأي القائلين بالاصطلاح، قال: "وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل". إلا أنه عاد فتوقف[1].

وهـذا اضـطراب واضـح من غير حجة في قول ابن جني؛ اتخذها المحدثـون في إثبات الاصـطلاح والمواضـعة في اللغـة. فقد ذهب الأستاذ عبد الحميد حسن- أيضاً- إلى أن أصل اللغة الاصطلاح والمواضعة، فقال: "والذي استقر عليه رأي الباحثين حديثاً، ورأي بعض القدامى هو أن اللغة اصطلاح ومواضعة"[2]، ثم قال- بعد أن سـاق جـزءاً مبـتوراً من كلام ابن جني في القضية، وهو الجزء الـذي يقـول فـيه بـأن الاصـطلاح: "وجه صالح ومذهب متقبل": "وهـذا هـو الرأي الذي سنتخذه أساساً لاستعراض آراء الباحثين في نشأة اللغة ونموها"[3].

ورد علـيه الدكتور محمد حسن عواد، فقال: "ونحن لا ننكر أن ابن جـني قـد نطق بهذا الذي ساقه الأستاذ، وإنما الذي ننكره أن يبتر كـلام ابـن جـني بهـذه الـصورة، ثم يبني على ما بتره استعراضه لآراء الباحـثين، كـأن ابـن جـني قـد اسـتقر رأيـه علـى القـول بالاصـطلاح، وهـذا غـير صحيح، فابن جني- إذا ما أخذ كلامه كـاملاً- اخـتار الوقـف في أصل اللغة، ولم يرجح القول في أصل اللغة، أهو توقيف أم اصطلاح؟"[4].

(1) ينظر: الخصائص ١/ ٤٧.
(2) الألفاظ اللغوية ص٣١.
(3) نفسه.
(4) مقدمة الكوكب الدري ص١٧١.

والـذي أراه أن مـا فهمـه الأسـتاذ عـبد الحميد حسن له وجه في كـلام ابـن جـني- وإن كـان قـد قال بالوقف في الكلام في أصل اللغة- لأن كلامه موهم بذلك.

ثالثاً: قـديماً قـال الـسبكي في (رفـع الحاجـب) عن مسألة أصل اللغة: "الـصحيح -عندي- أنه لا فائدة لهذه المسألة، وهو ما صححه ابن الأنباري وغيره، ولذلك قيل ذكرها في الأصول فضول"[1].

فكـلام ابـن الـسبكي علـى مـسألة أصـل اللغة وأنه لا فائدة من ذكرها، إنما كان اعتراضه على إقحام هذه المسألة في أصول الفقه، فلـذا قـيل: ذكـرها في الأصـول فـضول؛ لا على أنها مسألة غير جديرة بالبحث والتنقيب وفصل الخطاب فيها.

وأعجـب مـن ذلـك قـول الأسـتاذ أمـين الخولي حين علق على مقـولة ابن السبكي واعتبرها لفتة تريحه وتريحنا من الوقوف عند كـثير مما قيل في أصل اللغة، فقال: "وهي لفتة تريحنا وتريحكم من الوقـوف عـند كـثير ممـا قـيل في أصـل اللغة، وتفسح لكم المجال للتفـسير الـتطوري الاجتماعـي للغـة، ممـا نـرجو معـه أن يكون تصوركم للظواهر اللغوية، وفحصكم لها، علمياً طليقاً من القيود الـتي لا أصـل لهـا، كتفـسير الآيـة ﴿وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّها﴾، وربطها بالقول في نشأت اللغة"[2].

---

(1) المزهر ١/٢٦.

(2) مشكلات حياتنا اللغوية ص ٣١.

إذ يعتبر الأستاذ أمين تفسير هذه الآية من حبر الأمة وغيره من أهل التفسير قيوداً لا أصل لها، وربطها بالقول في نشأة اللغة تصور ونظرة غير متفحصة ولا علمية. فإذا لم يكن تفسير هذه الآية دليلاً على نشأة اللغة والأحاديث التي ذُكِرَت تعضدها، فما وجه دلالتها في كتاب الله؟! وما وجه دلالة الأحاديث التي رويت في بداية خلق آدم، وتكليم الله له، ومحاورته مع الملائكة؟! ما أرى هذا إلا هروباً، وضرب الصفح عنها لا يزيد المسألة إلا ثباتاً وعمقاً وترسيخاً في كون اللغة إلهام من الله وتوقيف وذلك بما جاءت به الأدلة الصريحة حتى ترد بمثلها لا بمجرد القول المفتقر إلى دليل.

والخوض في معرفة أي اللغات تكلم بها آدم مسألة لا طائل فيها؛ إذ تفتقر إلى الدليل الصحيح الصريح في إثباتها لا أن اللغة توقيف أو اصطلاح، فهذا ظاهر وإن اختلف فيه، ففي الخلاف راجح ومرجوح، وعندي أن الراجح هو القول بأن اللغة توقيف لا اصطلاح، وحجتي في ذلك ما ثبت عن ابن عباس القول في ذلك، وإن كنت أميل إلى أن اللغة ابتداء– توقيف وإلهام، وأنها بعد ذلك يكون فيها تواطؤ واصطلاح، والدليل على ذلك أن الله لما أقر آدم بأن يذهب ويسلم على الملائكة أعطاه صيغة السلام، فقال: "فقل: السلام عليكم" وأن ما يردون به عليه يكون تحيته وتحية ذريته من بعده، فرد السلام من الملائكة لم يعلمها آدم

فدل على التواطؤ والاصطلاح. ذكر الدكتور هادي النهر أن السيوطي في كتابه "المزهر" بعد نقله لآراء السابقين في هذه المسألة ذهب إلى إمكانية القول بأن اللغة تقوم على دعامتين: التوفيق الإلهي من ناحية والنشاط البشري من ناحية أخرى. وقد أطلق عليه السيوطي (إمكان التوزيع)[1] وهذا لا يغيّر من أصل المسألة إذ الخلاف في أصل نشأتها لا في تبعيتها والله أعلم.

رأيه في أول من تكلم بالعربية:

تعددت الروايات عن ابن عباس في أول من نطق بالعربية، فقد ذكر الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) عن ابن عباس قوله: "إن الله تعالى ألهم إسماعيل -عليه السلام- العربية إلهاماً"[2].

وذكر السيوطي في كتابه (المزهر) عن ابن عباس أن أول من تكلم العربية المحضة إسماعيل قال: وأراد به عربية قريش التي نزل بها القرآن. وأما عربية قحطان وحمير فكانت قبل إسماعيل- عليه السلام-[3].

وبعض المصادر ترفع هذا القول إلى النبي -ﷺ-، فقد ذكر السهيلي أنه روي عن النبي -ﷺ- أنه قال: "أول من كتب بالعربية إسماعيل". قال أبو عمر بن عبد البر: وهذه الرواية أصح من رواية من

---

(١) ينظر: المزهر ١/ ١٧، ونشأة اللغة وتطورها في مباحث اللغويين العرب والأجانب د/ هادي النهر، مستل من مجلة أدب المستنصرية العدد الرابع ص ٢٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) ينظر: البيان والتبيين ٣/ ٢٤٦.

(٣) ينظر: المزهر ١/ ٢٧.

روى أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل. فابن عبد البر يرجح رواية ابتداء الكتابة على رواية ابتداء الكلام[1]، وفي كلامه نظر إذ إن ابن كثير قد روى عن محمد بن علي بن الحسين عن آبائه مرفوعاً إلى النبي -ﷺ- أنه قال: "أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة"[2]. وقد روي هذا الحديث من طريق ابن عباس وهو صحيح[3].

هذا الدليل استند إليه ابن عباس فيما ذهب إليه، وإن كان النص لا يشير إلى طريقة تعلم إسماعيل العربية فإن المتوقع أن تكون لغته الأولى التي تعلمها كانت خليطاً من لغتي أبويه، فقد كان إبراهيم -ﷺ- يتكلم الكلدانية ولغة أمه كانت القبطية، ثم بعد أن نزل مع أمه هاجر في جبال (فاران) قرب مكة، تعلم العربية من العرب العاربة الذين نزلا عندهم من جرهم والعماليق وأهل اليمن[4].

قال الديلمي: "أصل الفتق الشق أي أنطق الله لسان إسماعيل حتى تكلم بها وكان أول من نطق بها كذلك. وقال في (المصباح): يقال العرب العاربة هم الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان بن إبراهيم وهي لغة الحجاز وما والاها"[5].

وقال ابن حجر: "وأفاد بهذا القيد- أعني المبينة- أن أوليته في ذلك بحسب الزيادة والبيان لا للأولية المطلقة، وإلا فأول من تكلم بالعربية

---

(1) ينظر: ابن عباس مؤسس العربية ص ١١٧.

(2) البداية والنهاية ١/ ١٩٢.

(3) ينظر: فردوس الأخبار ١/ ٥٩ رقم الحديث (٤٨)، وفيض القدير ٣/ ٩٣، وصحيح الجامع ١/ ٥٠٤ برقم (٢٥٨١).

(4) ينظر: السابق وابن عباس مؤسس العربية ص ١١٨.

(5) فيض القدير ٣/ ٩٢-٩٣.

جرهم وتعلمها هو من جرهم ثم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها و شهد له ما حكي أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان، وبقايا حمير وجرهم، ويحتمل كون الأولية مقيدة بإسماعيل بالنسبة إلى إخوته من ولد إبراهيم[1].

رأيه في أصل اللغة أهي عربية أم لا؟

جرى خلاف بين أهل العلم في مسألة أول لغة نطق بها البشر أهي عربية أم لا؟ وهذا الخلاف لم يقم في الحقيقة على أدلة قطعية الدلالة في تحديد أول لغة، وإنما كانت أقوال تفتقر إلى الحجة الدافعة، وقد وجدت بعض الآثار عن ابن عباس وغيره في تحديد أول لغة وأنها كانت اللغة العربية؛ غير أن هذه الآثار لا ترقى إلى درجة الحجيّة فإنها لا تخلو من قدح في إسنادها وطعن في رواتها، منها:

ما جاء في مقدمة كتاب 'غريب القرآن' المنسوب إلى ابن عباس، قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ﴾ [الشعراء/ ١٩٥]، قال: بلسان قريش، ولو كان غير عربي فافهموه، وما أنزل الله عز وجل من السماء كتابا إلا بالعربية، فكان جبرائيل- عليه السلام- يترجم لكل نبي بلسان قومه ليبيّن لهم، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ...﴾ [إبراهيم/ ٤][2].

وقد فصلت القول في تضعيف نسبة هذا الكتاب إلى ابن عباس، وعدم ثبوت الأثر عنه في كتب التفسير عند هاتين الآيتين.

---

(1) فيض القدير ٣/ ٩٢-٩٣.

(2) ينظر: غريب القرآن ص ٣٨.

كـذلك روى أثر عنه أورده ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صـالح عـن صـالح عـن ابـن عـباس، قال: "كان جبريل- عليه السلام- يوحـي إلـيه بالعـربية وينـزل هـو إلى كـل نـبي بلـسان قـومه" وقد أخرجه الـسيوطي في الـدر المنـثور[1]. وهذه الطريق- كما بينا- ضعيفة لأنها من طريق الكلبي عن أبي صالح.

وروى أثـر عـن سفيان الثوري قال: "لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم يترجـم كـل نـبي لقـومه بلسانهم، قال: ولسان يوم القيامة السريانية ومن دخل الجنة تكلم بالعربية"[2].

وكـذلك روى أثـر عـن أبـي هريـرة مرفوعا قال: قال رسول الله -ﷺ-: "والذي نفسي بيده ما أنزل الله من وحي قط على نبي بينه وبينه إلا بالعـربية، ثـم يكـون هو بعد يبلغه قومه بلسانهم". وهذا الحديث في سنده سليمان بن أرقم وهو متروك الحديث[3].

فهـذه الأحاديـث والآثـار لا تـنفع في الـشواهد والمتابعات لشدة ضعفها ولا يقوي بعضها بعضا.

فأغلـب القـائلين بعـربية اللغـة الأولى يستدلون بهذه الآثار وهي ضعيفة، ولا حجة أكيدة لهم. والمخالفون -أيضا- لا حجة لهم، والراجح هو ضرب الصفح عنها ريثما يحصل لنا الدليل لإثبات واحد منها.

---

(1) الدر المنثور ٥/ ٤-٥.

(2) ابن أبي حاتم، ابن كثير.

(3) ينظر: الموضوعات ١/ ١١٢، وذخيرة الحفاظ ٤/ ٢٠٦٦. والكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٢٥١.

رأيه في أول من كتب بالخط العربي:

مشكلة الخط العربي من المشكلات الكُبرى التي ظلت فترة طويلة من الزمن مسرحاً للآراء والأقوال المتدافعة ؛ فهناك من الروايات عن القدماء في هذه السبيل الكثير؛ فمنها ما يذكر أن الخط العربي توفيق من الله عز وجل علّمهُ آدم ثم أصابه إسماعيل بعد الطوفان[1].

ومنها ما يذكر أنه كان إختراعاً وليس إلهاماً، وقد أخذتهُ العرب عن الحيرة، والحيرة عن الأنبار وأخذه الأنبار عن اليمن و... [2]

وقد أدلى ابن عباس بدلوه في هذا الموضوع حيث أنه سأله زياد بن أنعم المعافري قال: قلت لعبد الله بن عباس: معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي، تجمعون فيه ما اجتمع، وتفرقون فيه ما افترق هجاءً بالألف واللام والميم، والشكل والقطع، وما يُكتب به اليوم، قبل أن يبعث الله تعالى النبي -ﷺ-؟ قال: نعم. قلت: فمن علمكم الكتاب؟ قال: حرب بن أميّة. قلت: فمن علم أهل الأنبار؟ قال: طارئ طرأ عليهم من أرض اليمن، من كنده. قلت: فمن علم الطارئ؟ قال: الجلجان بن الموهم، كان كاتب هود نبي الله -ﷺ- بالوحي عن الله عز وجل[3].

وذكر ابن فارس عن ابن عباس انه كان يقول: أول من وضع الكتاب العربي- أي الخط- إسماعيل-عليه السلام- وضعه على لفظه ومنطقه[4].

---

(١) ينظر: احكام القرآن لابن العربي ٤/ ٤٢٢، وابن عباس مؤسس العربية ص ١١٨.

(٢) ينظر: الصاحبي ص ٦-٨، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٤٢٢، والمزهر ٢/ ٣٤٢.

(٣) المحكم في نقط المصاحف ص ٢٦.

(٤) السابق.

وروى الحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس: أول من نطق بالعربية ووضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعل كتاباً واحداً مثل بسم الله الرحمن الرحيم الموصول حتى فرق بينه ولده إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما[1].

وفي إسناد هذا الحديث عبد العزيز بن عمران قال عنه الذهبي: واهٍ[2]. وفيه أيضا داود بن الحصين وهو ضعيف في عكرمة[3].

وذكر السيوطي أن ابن أشته أخرج في المصاحف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: أول كتاب أنزله الله من السماء أبو جاد[4].

وذكر ابن النديم عن ابن عباس أنه قال: أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان، وهي قبيلة سكنوا الأنبار، وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة. وموصولة؛ وهم مرامرة بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة. ويقال: مروة وجدلة. فأما مرامرة فوضع الصور وأما أسلم ففصل، وأما عامر فوضع الإعجام[5].

وهذه الروايات يدفع بعضها بعضاً، وإن كانت الأخيرة- في الجملة- أقرب إلى الصحة حيث يعضدها كثير من الروايات عن غير ابن عباس، وكلها يشير إلى تلقي العرب خطهم عن أهل الأنبار[6].

---

(١) المستدرك ٣/ ٤٢٢ رقم (٤٠٨٣).

(٢) المستدرك ٣/ ٤٢٢ رقم (٤٠٨٣).

(٣) ينظر: الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم ص ١٥٤.

(٤) المزهر ٢/ ٣٤٣.

(٥) الفهرست ص ٦، ٧.

(٦) ينظر: المزهر ٢/ ٣٤٣.

وهـذه الـرواية الجديـدة ذات قـيمة خاصة عند من يرى أن الخط العربـي كـان معجمـاً قبل نزول القرآن الكريـم الذي كتب بخط مغفل من الشكل والإعجام[1].

والـذي يـتجه إلـيه كـثير مـن الباحثين اليوم أن النبط استخدموا الآرامية والخط الآرامي في كتبهم لقرون عديدة، وبمرور الأيام طوّر النبط الخـط الآرامي، فابتعد عن أصله، ثم فنيت الكتابة النبطية في أخر أدوارها لتظهر في كتابة أخرى هي الكتابة العربية[2].

وبهـذا فـإن كلام ابن عباس- في روايته الأخيرة- لا يكون بعيداً كـثيراً عمـا وصـل إلـيه الـبحث العلمـي الـيوم؛ إذ أن الـصلة قائمة بين حواضـر العـراق العـربية وبـين مملكـة الأنـباط (بـترا) علـى ما هو ثابت تاريخياً[3].

آراؤه في اللهجات (لغات العرب):

إن قـضية اللغـات العـربية كانت محط اهتمام الأولين فيما يختص بكـتاب الله، وقـد اختلفوا فيها اختلافاً كبيراً خاصة فيما يتعلق بالأحرف الـسبعة، ومعـرفة اللغـة التي نزل بها القرآن، وكان ابن عباس على دراية كافية بلغات العرب وما نزل منها في القرآن، فقد أخرج أبو عبيد في كتاب "فضائل القرآن" عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: نزل بلغة الكعبين: كعـب قـريش، وكعـب خـزاعة، قـيل: وكـيف ذاك؟ قـال: لأن الـدار واحدة[4].

---

(1) ينظر: ابن عباس مؤسس العربية ص ١١٩.

(2) ينظر: رسم المصحف (دراسة لغوية تاريخية) ٤٥ و٤٦.

(3) السابق.

(4) البرهان ١/ ٢٨٣.

قال أبو عبيد: يعني أن خزاعة جيران قريش، فأخذوا بلغتهم[1].

وعلى هذا فسّرت الأحرف السبعة بأنها سبع لغات، والى هذا ذهب أبو عبيد وثعلبٌ والزهري وآخرون، واختاره ابن عطية وصححه في الشعب. وتُعُقِّب بأن لغات العرب أكثر من سبعة، وأجيب بأن المراد أفصحها[2].

وقال أبو ميسرة: بكل لسان. وقيل: إن فيه من كل لغات العرب؛ وبهذا قال الشافعي في الرسالة: ولا نعلمه يحيط بجمع علمه إنسان غير نبي[3].

واستنكر ذلك ابن قتيبة، وقال: لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش. ورده قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم/ ٤]، فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش، وبذلك جزم أبو علي الأهوازي[4].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم/ ٤]، عن ابن عباس أنه قال: بلسان قريش ليفهموا ما فيه[5].

قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد: قول من قال: نزل بلغة قريش، معناه عندي: في الأغلب؛ لأن لغة قريش موجودة في جميع القرآن من تحقيق الهمز ونحوها، وقريش لا تهمز[6].

---

(١) البرهان ١/ ٢٨٣.

(٢) الإتقان ١/ ١٢٥.

(٣) الرسالة ص ٤٢، والبرهان ١/ ٢٨٣.

(٤) السابق.

(٥) ينظر: معالم التنزيل، وزاد المسير ٦/ ٥٣.

(٦) البرهان ١/ ٢٨٤.

وروى عن ابن عباس قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، صار في عجز هوازن منها خمسة. وقال أبو حاتم: فص هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب، ليقرب جوارهم من مولد النبي -ﷺ-، ومنزل الوحي، وإنما ربيعة ومضر أخوان. قال: وأحب الألفاظ واللغات إلينا أن نقرأ بها لغات قريش، ثم أدناهم من بطون مضر[1].

وأقوال ابن عباس في التفسير ترجح أن هناك لغات عربية غير لغة قريش موجودة في القرآن، بل وإن بعض الكلمات قد خفيت على ابن عباس ولم يعرف معناها، منها:

ما ذكره الزركشي أن ابن عباس كان يقول: لا أعرف (حنانا)، ولا (غسلين)، ولا (الرقيم)[2].

وذكر أيضا أن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها[3].

وقال ابن عباس: ما كنت أدري قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِيْنَ﴾ [الأعراف/ ٨٩]، حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: أفاتحك، يعني أقاضيك[4].

فهذه النصوص تدل على أن ابن عباس كان لا يعرف معاني بعض الكلمات في القرآن الكريم؛ لأنها من لهجة غير لهجة قريش،

---

(١) البرهان ١/ ٢٨٤.

(٢) نفسه ٢/ ١٧٥، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣١١.

(٣) نفسه ١/ ٢٩٣.

(٤) نفسه.

أفسحت لها الأدبية المشتركة صدرها، أو لاعتبارات معينة في سياق الآية حددت معاني خاصة لتلك الكلمات، لم تتجه لابن عباس[1].

ومع هذا فقد كان ابن عباس عالمًا بهذا الفن لأنه إمام المفسرين، ولا يكون المفسر إماما وهو يجهل بلغات العرب. قال الزركشي: ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري، وإلا فلا يحلُ له الإقدام على كتاب الله تعالى[2].

وقال يحيى بن نضلة المديني: سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتى برجل يفسّر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا[3].

وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب[4].

ولما كان الوارد عن ابن عباس في هذا الباب ليس بالكثير، فإني سأقتصر على عرض شيء من ذلك تمثل رؤيته وجهوده في هذا السبيل.

نماذج من أقواله في لغات العرب في القرآن الكريم:

أخرج أبو عبيد من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُوْنَ﴾ [النجم/ ٦١] قال: الغناء، وهي يمانية[5].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُوْنَ بَعْلاً﴾ [الصافات/ ١٢٥] قال: رباً بلغة أهل اليمن[1].

---

(١) ينظر: ابن عباس مؤسس العربية ص ٥٨.

(٢) البرهان ١/ ٢٩٢.

(٣) نفسه.

(٤) البرهان ١/ ٢٩٢.

(٥) الإتقان ١/ ٣٥٩، والدر المنثور ٧/ ٦٦٧.

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِي الكِتَابِ مَسْطُوْراً﴾ [الإسراء/ ٥٨] قال: مكتوباً، وهي لغة حميرية يسمون الكتاب اسطوراً[٢].

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَنْ لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ...﴾ [الرعد/ ٣١]، قال: ييأس بمعنى علم لغة للنخع[٣].

وجاء رجل من هذيل، فقال له ابن عباس: ما فعل فلان؟ لرجل منهم. قال: مات، وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء. فقال ابن عباس: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ..﴾ قال: الوراء: ولد الولد[٤].

فهذه بعض الروايات عنه فيما يتعلق بمعرفة لهجات العرب، ولم تقف معرفته وإدراكه عند حد المفردة، ومعناها عند بعض العرب، بل ورد عنه مقارنة بعض الألفاظ مع لغات شتى من لغات العرب، فقد ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ [العاديات/ ٦]، قال ابن عباس: (الكنود) بلسان كندة حضرموت العاصي، وبلسان ربيعة ومضر: الكفور، وبلسان كنانة: البخيل السيىء الملكة[٥].

وبإمكان المرء أن يقف على روايات أخرى عن ابن عباس غير ما ذكرت، تشير بمجملها إلى اهتمام ابن عباس -رضي الله عنهما- بهذا

---

(١) الإتقان ١/ ٣٥٩، والدر المنثور ٧/ ٦٦٧.

(٢) نفسه.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٤، واللسان مادة (يئس) ٦/ ٢٦٠.

(٤) فتح القدير ٢/ ٥١٢، والبرهان ١/ ٢٩٣.

(٥) القرطبي ٢٠/ ١٦٠، والفتح ٨/ ٩٢٩.

اللـون من المعرفة. ولا ريب في اضطراب كثير من تلك الروايات، ولكن لـو صـح عُشر ما نسب إلى ابن عباس في هذا الباب لكان كافيا لجعل ابن عباس المؤسس الأول لدراسات اللهجات العربية.

ولعـل الله تعـالى يهيـئ في قابـل الأيام من يقوم بدراسات مركزة حـول أسـانيد مختلف تلـك الـروايات عـن ابن عباس، ونقد متون تلك الأخـبار نقـدا داخليا ينفي عنها الزيف، ويكشف عن الأصيل والصحيح منها[1].

آراؤه فيما وقع بغير لغة العرب في القرآن الكريم:

مـثلت آراء ابـن عـباس في وقوع لغات غير عربية في القرآن محور ارتكـاز مـذهب القائلين بوقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن وهذه القضية وقف العلماء تجاهها على ثلاثة مذاهب:

المـذهب الأول: وهو عدم وقوع ألفاظ غير لغة العرب في القرآن، فهـو عربـي- أي القـرآن- لا يُخالطه شيء، ودليلهم قول الله عز وجل: **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِـيٍّ مُبِيْنٍ﴾** [الشعراء/ ١٩٥]، وقوله تعالى: **﴿أنا أنزلناهُ قُرآناً عَـربياً﴾** [يوسـف/ ٢]، وقوله سبحانه: **﴿وَلَوْجَعَلْنَاهُ قُرْآناً اَعْجَمِيَاً لَقَالُوْا لَـوْلا فُـصِّلَتْ آيَاتُـهُ ءَاعْجَمِيٌ وَعَرَبِيٌّ ...﴾** [فصلت/ ٤٤]، وهذه الآيات تـدل علـى أنـه لـيس فيه غير العربي؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبـيه علـيه الـصلاة والـسلام، ودلالـه قاطعـة لصدقه، وليتحدى العرب الغـرباء بـه، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته، فلو اشتمل على غـير لغة العرب لم تكن له فائدة، وقد ذهب إلى هذا الإمام الشافعي وهو

---

[1] ينظر: ابن عباس مؤسس العربية ص ٩٨.

قـول جمهـور العلماء؛ منهم أبو عبيدة، ومحمد بن جرير الطبري والقاضي أبوبكـر بـن الطـيب في كـتاب "التقـريب" وأبـو الحـسين بن فارس اللغوي وغيرهم[١].

وقـد شـدد الإمـام الـشافعي الـنكير علـى مـن قـال بذلك- أي بوقـوعه- في كـتابه "الرسـالة" في باب البيان الخامس ما نصه: "وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به، وأقرب مـن السلامة له، فقال قائل منهم: إن في القرآن عربياً، وأعجمياً، و القرآن يـدل على أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب، ووجد قائل هذا القـول مـن قـبل ذلك منه تقليداً له، وتركاً للمسألة له عن حجته ومسألة غيره من خالفه؛ وبالتقليد أغفل من أغفل منهم، والله يغفر لنا ولهم..."[٢].

وقـال أبوعبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فـيه غـير العـربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذاباً بالنبطية فقد أكبر القول[٣].

وقـال ابـن أوس: لو كان فيه من لغة العرب شيء لتوهّم مُتوهّم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ وأنه أتى بلغات لا يعرفونها[٤].

وذكـر ابن كثير في مقدمة تفسيره أن القرطبي قال: "أجمعوا على أنه لـيس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمـية كإبـراهيم ونـوح ولوط، واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك

(١) ينظر: البرهان ١/ ٢٨٧.

(٢) الرسالة ص ٤١ وما بعدها.

(٣) الإتقان ١/ ٣٦٦.

(٤) نفسه.

بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا: ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات[1].

والمذهب الثاني: هو تصديق وقوعه في القرآن، وقد أجابوا عن قوله تعالى: ﴿قُرآناً عَرَبِيّاً...﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها غير عربية. وعن قوله تعالى: ﴿ءَاعْجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ﴾ بأن المعنى من السياق أكلام أعجمي ومخاطب عربي، واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو إبراهيم للعلمية والعجمية. ورُدّ هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف، فالكلام في غيرها موجه بأنه إذا اتفقت على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس[2].

ورجح السيوطي في "الإتقان" هذا المذهب، فقال: "وأقوى ما رأيته للوقوع -وهو اختياري- ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان، وروي مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه. فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب[3].

والمذهب الثالث: هو مذهب تصديق القولين، ومن هؤلاء أبي عبيد القاسم بن سلام فقد حكى ابن فارس عنه الخلاف في ذلك، ونسب

---

(1) تفسير ابن كثير ١/ ٢٢ تحقيق الشيخ مقبل.

(2) الإتقان ١/ ٣٦٦.

(3) نفسه.

القول بوقوعه إلى الفقهاء، والمنع إلى أهل العربية. ثم قال أبو عبيد: "والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظ فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية، فهو صادق، ومن قال: أعجمية فصادق"[1].

والقائلون بالقول الأول أشكل عليهم ورود وقوعه عن ابن عباس، فقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن إنها بالفارسية والحبشية والنبطية أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد[2].

وكما خرج ابن جرير أقوال ابن عباس على أنها من توافق اللغات، خرج -أيضاً- ابن عطية في مقدمة تفسيره أن ما جاء في لغة العرب من ألفاظ أعجمية فإنما هي معربة، وحصل ذلك بأسباب الاتصال بالتجارة وغيرها، فقد قال: "والذي أقوله: أن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها فانه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش، وكسفر مسافر بن أبي عمرو بن أمية ابن عبد شمس إلى الشام، وسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته

---

(١) البرهان ١/ ٢٩٠.

(٢) السابق.

لنصاراها مع كونه حجة في اللغة، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاولاتها حتى جرت مجرى العربي الصريح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فان جهلها عربي ما، فكجهله الصريح بما في لغة غيره، كما لم يعرف ابن عباس معنى "فاطر" إلى غير ذلك، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، ولكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا في لفظة فذلك بعيد، بل إحداهما أصل، والأخرى فرع في الأكثر لأنا لاندفع أيضاً جواز الاتفاق إلا قليلاً شاذاً"[1].

والقول بأن الألفاظ الأعجمية في القرآن قد عربت وحولت من ألفاظها الأعجمية إلى العربية ونزل القرآن بها، فهي باعتبار الأصل أعجمية وباعتبار الاستخدام عربية هو الحق الذي أختاره المحققون من أهل العلم وقال به أبو عبيد وابن عطية والجواليقي وابن الجوزي وآخرون.

قال أبو عبيد: "وإنما فسر هذا لئلا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل، ويتوهّم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أراد الله جل وعز، فهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيماً للقرآن"[2].

وما ثبت عن ابن عباس في وقوع الألفاظ بغير لغة العرب كان إشارة إلى أن الألفاظ قد عربت، وقوله، هو بلغة كذا؛ أشار إلى الأصل. وإلا فهو أعلم بتفسير الآيات التي اتخذها أصحاب المذهب الأول لمنع

---

(1) المحرر الوجيز ١/ ٣٦-٣٧.

(2) البرهان ١/ ٢٩٠.

وقـوع غـير لغـة العـرب في القـرآن، ولما وسعه القول بوقوعه مع معرفة لدلالة الآيات إن كان مدلولها المنع.

والوارد عن ابن عباس في ذلك هو التصريح بقوله: هو بلغة كذا، لا كما ورد في كتاب "غريب القرآن" إنه بلغة توافق لغة كذا، فهذا ما ينصر مذهب القائلين بتوافق اللغات، وهو مذهب الطبري والباقلاني.

وعلـى هـذا يكـون ابن عباس رائد مذهب القائلين بوقوع لغات غير لغات العرب في القرآن، وهو مذهب عكرمة كذلك وغيرهما[1].

نماذج من أقواله في ذلك:

أخـرج أبو شيخ ابن حبان من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: الأواه: الموقف بلسان الحبشة[2].

وأخـرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في "الجِبْت" قال: الجبت: اسم الشيطان بالحبشية[3].

وأخـرج ابـن أبـي حـاتم عـن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾**، قال: حطب جهنم بالزنجية[4].

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس قال: راعنا: سب بلسان اليهود، يعني بالعبرية[5].

---

(1) ينظر: نفسه ١/ ٢٨٨.

(2) الإتقان ٢/ ١٠٩، ١١٠.

(3) نفسه ٢/ ١١١.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

وأخـرج ابـن مردويه من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس: قال: السجل بلغة الحبشة: الرجل[1].

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِيْ سَفَرَةٍ﴾ قال بالنبطية القراء[2].

وأخـرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: السَّكَر بلسان الحبشة: الخل[3].

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ قال: هي بالنبطية فشققهن[4].

وأخـرج الحـاكم في المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿طه﴾ قال: هو كقولك: يا محمد بلسان الحبش[5].

وأخـرج ابـن أبـي حـاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: طه بالنبطية[6].

وأخـرج ابـن جريـر عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ قال: جنات الكروم وأعناب بالسريانية[7].

وأخـرج ابـن جرير عن ابن عباس قال: الأسد يقال له بالحبشية: قسورة[8].

---

(1) الإتقان ٢/ ١١٢.

(2) نفسه ٢/ ١١٣.

(3) نفسه ٢/ ١١٣.

(4) نفسه ٢/ ١١٤.

(5) نفسه.

(6) نفسه.

(7) نفسه.٢/ ١١٥.

(8) نفسه.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَلَكُوتُ﴾، قال: هو الملك ولكنه بكلام النبطية ملكوتا[1].

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ قال: ممتلئة به بلسان الحبشة[2].

وأخرج البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾، قيام الليل بالحبشية[3].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: هيت لك: هلم لك بالقبطية[4].

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يس﴾ قال: يا إنسان بالحبشية[5].

هذه مجموعة من الأقوال الواردة عن ابن عباس ساقها السيوطي في كتابه "الإتقان" وعزاها إلى أصحابها ممن أخرجها كل في كتابه، تدل بمجملها على سعة اضطلاع ابن عباس على لغات أقوام غير عرب، وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: هل كان ابن عباس على دراية بهذه اللغات دراية كافية تمكنه من معرفة الألفاظ. ودلالاتها، أم أنه كان يسأل عنها ويفسر وفقاً لما يخبر عنها؟

إن ذكاء ابن عباس الخارق، وقوة حفظه الكبيرة، وبركة دعاء النبي -ﷺ- له، يحتم علينا القول أنه كان على دراية كافية بلغات مختلفة غير العربية، مع جواز سؤاله غيره من الأعاجم عن بعض الألفاظ ويفسر بها

---

(1) الإتقان ٢/ ١١٧.
(2) نفسه.
(3) نفسه.
(4) نفسه ٢/ ١١٨.
(5) نفسه.

بقولهم؛ إما تأكيداً على ما يعرفه وأنها قد خفيت عليه هذه الألفاظ، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ فقال: جنات الكروم وأعناب بالسريانية[1]. مع أن الألفاظ في جنات عدنٍ عربية محضة، فهو يسأل كعباً ليستوثق للمعنى ويستأنس بدلالة الألفاظ عند غير العرب.

ويؤكد ما ذهبت إليه أسباب منها:

١- انه كان من أساتذته الكبار زيد بن ثابت، وقد عرف عنه أنه قد تعلم العبرية في خمسة عشر يوماً، والسريانية في سبعة عشر يوماً بأمر من النبي -ﷺ-[2]، وهذه المدة قصيرة جداً لتعلم لغتين مختلفتين؛ ولكنها حصلت له لقوة ذكائه وشدة حفظه، بل قد أتقنهما نطقاً وكتابةً، فكان يقرأ للنبي -ﷺ- كتاب يهود ويكتب له إليهم.

وابن عباس لا يقل ذكاءاً عن زيد بن ثابت فهو خليفته في العلم، وقد أخذ عنه جل علمه، فلما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً[3].

فلا شك أنه قد أخذ عن زيد بن ثابت اللغات التي تعلمها، فهو أرض خصبة لمثل هذه العلوم؛ لما أوهبه الله من قلب عقول ولسان مسؤول.

---

(١) الإتقان ١/ ٣٧٠.

(٢) ينظر: الترمذي ٥/ ٦٤ رقم (٢٧١٥)، والإصابة ٣/ ٢٣، والصحيح المسند مما ليس في الصحيحين ١/ ٢٦١.

(٣) الإصابة ٢/ ٤٩٢.

٢- أن ابـن عـباس أختلط بحضارات أقوام غير العرب، وذلك بسبب الفتوحات التي شهدها المسلمون، وأختلط العرب بالعجم، فتعرف ابـن عـباس علـى عـاداتهم ولغـاتهم؛ ومـن ذلك غزوه بنفسه إلى طبرستان وإفريقية.

كـل ذلـك يـصدق لـنا إمكـان معرفة ابن عباس بهذه اللغات، مع قدرتـه على المقارنة بين ما يعرفه منها مما ورد في القرآن، فقد أخرج ابـن جرير عنه أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ فقال: هـو بالعـربية الأسـد، وبالفارسـية شـار، وبالنبطية أريا، وبالحبشية قسورة[1].

وهـذا أروع مـثال ضـربه ابن عباس في المقارنة بين اللغات، وبهذا يكون هو أول من طرق باب علم اللغة المقارن من العرب خاصة.

---

(1) ينظر: الطبري ٢٤/ ٤١.

المبحث الثاني

المعجمية والدلالة

أولاً: المعجمية:

تعد جهود ابن عباس في تفسير غريب القرآن وشكله، وشرح بعض أساليبه البداية الحقيقية لتأسيس المعجم اللغوي. وقد تطورت ملاحظات ابن عباس وتفسيراته للغريب والمشكل إلى ما عُرِفَ بتفسير غريب القرآن حيث أفردت له المصنفات فيما بعد.

وقد هيأ ذلك كله لولادة المعجم العربي الأول على يد نابغة العرب الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وليس كتاب من كتب غريب القرآن ويخلو من آراء ابن عباس؛ بل والمعاجم اللغوية تعتمد في بعض مفرداتها بما أثر عن ابن عباس في تحديد معنى المفردات اللغوية.

وقد أفرد الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي كتاباً سماه (معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري) أعتمد فيه الألفاظ الغريبة التي جاءت في كتاب التفسير من صحيح البخاري، وفيه ما ورد عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة خاصة.

وفي مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني في أقوال كثيرة معزوة لابن عباس، وغيرها لم يعزُها إليه قد ذكرها كتب التفسير بالمأثور.

ولما كان الوارد عن ابن عباس في هذا الباب غزيراً جداً فإنني سأقتصر على عرض نماذج وافية تمثل رؤيته وجهوده في هذا السبيل.

ولكـن لابـد من عرض شيء من ذلكم من الإلماع إلى أنه لا يكفي لمعرفة معاني الألفاظ أن يعرف المرء ما تواضعت عليه بيئة لغوية معينة من الربط بـين الـرموز الـصوتية ودلالـتها؛ علـى أن المعجمية لا تنفك عن الدلالة اللغـوية، ولكـن لابـد مـن ربطهـا بالأحداث والمواقف؛ كما أنه لابد من معـرفة السياق العام الذي وردت فيه الآية أو الجملة؛ فمهما كانت براعة المـرء اللغـوية فـان نقـص معرفته بما ذكرناه ويؤثر إلى حد بعيد في إدراكه لمعنـى النص ومراميه الدقيقة؛ ومن ثم فان ابن عباس قسم موقف الناس مـن تفـسير القرآن الكريم إلى أربعة أقسام: قسم تعرفه العرب في كلامها، وقـسم لا يعذر أحد بجهالته، يقول: الحلال والحرام، وقسم يعلمه العلماء خاصة، وقسم لا يعلمه إلا الله، ومن أدعى علمه فهو كاذب[1].

وقـد تـولى الزركـشي شـرح هـذه الأقـسام وتوضـيحها. وهـذا التقـسيم- إن صـح عـنه- فإنـه دلـيل علـى إدراك ابـن عباس لاختلاف مـستويات العـرب في فهم النص القرآني، وتفاوت قدراتهم في الاستفادة مـنه في مقـام التـشريع، كمـا يدل من جهة أخرى على معرفة ابن عباس الدقيقة بجلال المهمة التي تصدى لها حين تصدر لتفسير الكتاب العزيز[2].

وتفـسيره للكلمـات الغـريبة من الذكر الحكيم تفسيراً دقيقاً محدداً يمكن أن نسميه بالتفسير المعجمي، وهذه بعض الأمثلة:

١- ذكـر الـراغب الأصـفهاني في مفرداته مادة (أسف)، قال: الأسف: الحـزن والغـضب معـاً، وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد، وحقيقته: ثوران دم القلب شهوة الانتقام، فمتى كان ذلك على من

---

(١) البرهان ٢/ ١٨١.

(٢) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٦٠.

دونه أنتشر فصار غضباً، ومتى كان على من فوقه أنقبض فصار حزناً، ولذلك سئل ابن عباس عن الحزن والغضب، فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظاً وغضباً، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزناً وجزعاً[1].

٢- وفي قوله تعالى:﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرعَونُ مَثْبُوراً﴾ [الإسراء/ ١٠٢]، قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: يعني ناقص العقل[2].

٣- وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة/ ٢٧]، وقال ابن عباس: معناه من يرقى بروحه، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب[3]؟

٤- وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب/ ٣٤]، قال ابن عباس، هي علم القرآن، ناسخه ومنسوخة، محكمه ومتشابهة[4].

٥- وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية/ ١٨] قال ابن عباس: الشرعة: ما ورد به القرآن، والمنهاج ما ورد به السنة[5].

٦- وفي قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَ كُمْ﴾ [البقرة/ ٢٣]، قال الراغب: فقد فسر بكل ما يقتضيه معنى الشهادة، قال ابن عباس: معناه أعوانكم[6].

---

(١) مفردات الراغب ص ٧٥، والكليات لأبي البقاء الكفوي ص ١١٤.

(٢) المفردات ص ١٧٢، والدر المنثور ٥/ ٣٤٥.

(٣) المفردات ص ٣٦٣، والطبري ٢٩/ ١٩٥، والدر المنثور ٨/ ٣٦١.

(٤) المفردات ص ٢٥٠.

(٥) المفردات ص ٤٥٠، وبصائر ذوي التمييز ٣/ ٣٠٩.

(٦) المفردات ص ٤٦٧، وبصائر ذوي التمييز ٣/ ٣٥٣.

٧- وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص / ١٦] قال الراغب: وأصل القط: الشيء المقطوع عرضاً، كما أن القدُّ هو المقطوع طولاً، والقِطُّ: النصيب المفروز كأنه قط، وقد فسر ابن عباس- رضي الله عنهما- الآية به[(١)].

٨- وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ﴾ [الحج/ ١٥]، قال الراغب: وقد قيل: ليقطع حبله حتى يقع، وقد قيل: ليقطع أجله بالاختناق، وهو معنى قول ابن عباس: ثم ليختنق[(٢)].

وأخرج الحاكم في مستدركه وغيره وصححه عن ابن عباس قال: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ قال: فليربط حبلاً ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ إلى سماء بيت السقف ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ قال: ثم يختنق به حتى يموت[(٣)].

٩- قال الراغب: والكلالة: اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة، وقال ابن عباس: هو اسم لمن عدا الوالد[(٤)].

١٠- وفي قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن/ ٦]، قال ابن عباس وغيره: النجم ما لا ساق له والشجر ما له ساق، وأنشد ابن عباس قول صفوان بن أسد التميمي:

لقد أنجم القاع الكبير عضاهه ... وتم به حيا تميم ووائل[(١)]

[الطويل]

---

(١) المفردات ص ٦٧٦، والدر المنثور ٧/ ١٤٧.

(٢) المفردات ص ٦٧٨.

(٣) المستدرك ٢/ ٣٨٦، والدر المنثور ٦/ ١٥.

(٤) المفردات ص ٧١٩، والدر المنثور ٢/ ٧٥٧.

وقيل غره، وابن جرير يرجح قول ابن عباس.

قال الراغب: أصل النجم الكوكب الطالع، وجمعه: نجوم، ونجم: طلع، نجوما ونجما، فصار النجم مرة اسما، ومرة مصدراً، فالنجوم مرة اسما كالقلوب والجيوب، ومرة مصدرا كالطلوع والغروب، ومنه شبه به طلوع النبات، والرأي، فقيل: نجم النبت والقرن، ونجم لي رأي نجماً ونجوما، ونجم فلان على السلطان: صار عاصيا...[2].

١١- وفي قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود/ ٧١]، روي عن ابن عباس أنه قال: فضحكت، فحاضت، وهي بنت ثمان وتسعين سنة[3]. وروي ذلك عن مجاهد وعكرمة[4].

وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت بمعنى حاضت؛ فهم الفراء، فقد قال: وأما قولهم فضحكت حاضت فلم أسمعه من ثقة[5].

وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم، أن العرب تقول: ضحكت المرأة حاضت[6].

---

(١) ينظر: الطبري ١١/ ٥٧٥، والقرطبي ١٧/ ١٤٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٤، والكشاف ٤/ ٤٤٣، وفتح القدير ٥/ ١٨٧.

(٢) المفردات ص ٧٩١، والقرطبي ٥/ ١٥٠.

(٣) ينظر: القرطبي ٩/ ٦٩، والدر المنثور ٣/ ٦١٦.

(٤) ينظر: الطبري ٧/ ٧٢، والقرطبي ٩/ ٦٩، والفخر الرازي ١٨/ ٢٧، والمحرر الوجيز ٣/ ١٨٩، والبحر المحيط ٥/ ٢٤٢، والدر المنثور ٣/ ٦١٦.

(٥) اللسان مادة (ضحك) ٨/ ٢٦.

(٦) ينظر: الطبري ٧/ ٧٢.

وأنشد بعض اللغويين في ذلك:

وإنّي لآتي العُرسَ عِندَ طَهُورِهَا   وأهجُرُها يَوماً إذا تَكُ ضَاحِكَا

[الكامل]

وقال آخر:

وضِحْكُ الأرَانبِ فَوْقَ الصَّفَا   كَمِثْلِ دَمِ الجَوْفِ يَومَ اللقَا[1]

[المتقارب]

وفي القاموس: وضحكت الأرنب، كفرح: حاضت، قيل: ومنه ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾[2].

وأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس أنه جاءه رجل ومعه ابن ابنه، فقال: من هذا معك؟ قال: هذا ابن ابني. قال: هذا ولدك من الوراء! قال: فكأنه شق على ذلك الرجل، فقال ابن عباس: إن الله يقول: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، فولد الولد هم من الوراء[3]. وقال صاحب القاموس: والوراء: ولد الولد[4].

١٢- وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ [يوسف/ ٦٩].

قال ابن عباس: فلا تحزن[5].

---

(١) القرطبي ٩/ ٦٩.

(٢) القاموس مادة (ضحك) ٢/ ١٢٥٤.

(٣) الطبري ٧/ ٧٣، والدر المنثور ٣/ ٦١٦.

(٤) القاموس مادة (ورأ) ١/ ١٢٣.

(٥) الطبري ٧/ ٣٤، والدر المنثور ٣/ ٥٩٢.

١٣- وفي معجم غريب القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً﴾ [مريم/ ٧٤] قال ابن عباس: أثاثا مالا[١].

قال صاحب القاموس:

والأثاث: متاع البيت، بلا واحد، أو المال أجمع، والواحدة: أثاثة[٢].

١٤- وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾ [مريم/ ٨٩].

قال ابن عباس: إدا قولا عظيما[٣].

وقال صاحب القاموس: الإدُّ والإدة فاصلة بكسرهما: العجب، والأمر الفظيع والداهية والمنكر[٤]. وهو قريب من قول ابن عباس.

١٥- وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ...﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

قال ابن عباس: إصراً عهداً[٥].

وجاء في القاموس، وبالكسر، العهد، والذنب، والثقل[٦].

١٦- وفي قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾ [الرحمن/ ١٠].

قال ابن عباس: الأنام الخلق[٧].

---

(١) معجم غريب القرآن ص ٢.

(٢) القاموس مادة (أث) ١/ ٢٦٣.

(٣) معجم غريب القرآن ص ٣.

(٤) القاموس مادة (إذ) ١/ ٣٩٠.

(٥) معجم غريب القرآن ص ٦، وصحيفة علي بن أبي طلحة ص ١٢٣، والطبري، والدر المنثور ١/ ٣٧٧.

(٦) القاموس مادة (أصر) ١/ ٤٩٢.

(٧) معجم غريب القرآن ص ٩، وصحيفة علي بن أبي طلحة ص ٤٧٤، والطبري، والدر المنثور ٦/ ١٤١.

وجاء في القاموس: الأنام، كسحاب: الخلق، أو الجن والإنس، أو جميع ما على وجه الأرض[1].

١٧- وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة/ ٢٧].

قال ابن عباس: الجرز التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً[2].

وجاء في القاموس ك وأرض جُرُزٌ وجُرْزٌ وأجْرَزٌ وجَرَزٌ ومجروزة: لاتنبت، أو أكل نباتها، أولم يصبها مطر[3].

١٨- وفي قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء/ ٥].

قال ابن عباس: فجاسوا تيمموا[4].

جاء في القاموس: الجوس: طلب الشيء بالاستقصاء، والتردد خلال الدور والبيوت في الغارة، والطوف فيها، كالجوسان والاجتياس[5].

١٩- وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات/ ٧].

قال ابن عباس: الحبك استواؤها وحسنها[6]. وجاء في الصحيفة: ذات الخلق الحسن[7].

---

(١) القاموس مادة (أنم) ٢/ ١٤٢١.

(٢) الطبري، والدر المنثور ٥/ ١٧٩، وفتح القدير ٤/ ٢٥٨، والفتح ٨/ ٥٠٥، معجم غريب القرآن ص ٢٧.

(٣) القاموس مادة (جرز) ١/ ٦٩٦.

(٤) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٣١٦ بلفظ (فمشوا)، وفتح الباري ٨/ ٢٤٦، والدر المنثور ٤/ ١٦٥، معجم غريب القرآن ص ٣١.

(٥) القاموس مادة (جوس) ١/ ٧٣٨.

(٦) معجم غريب القرآن ص ٣٢.

(٧) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٤٦٤، والطبري، والدر المنثور ٦/ ١١٢.

وجـاء في القاموس: الحُبْكُ السد والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب[1].

٢٠- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِيْ الأَعْمَى وَالبَصِيْرُ وَلا الظُّلُومَاتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِلُّ وَلا الحَرُورُ﴾ [فاطر/ ٢١].

قال ابن عباس: الحرور بالليل والسموم بالنهار[2].

جـاء في القامـوس: والحـرور: الـريح الحـارة بالليـل، وقـد تكـون بالنهار[3]، والسموم: الريح الحارة تكون غالبا بالنهار[4].

٢١- وفي قوله تعالى: ﴿إلا اللذِيْنَ يَصِلُوْنَ إلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيْثَاقٌ أوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُوْرُهُمْ انْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ [النساء/ ٩٠].

قال ابن عباس: حصرت: ضاقت[5].

وجـاء في القامـوس: الحصر، كالضرب والنصر: التضييق، والحبس عن السفر وغيره، كالإحصار[6].

٢٢- وفي قـوله تعـالى: ﴿فَمَـنِ اضْـطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإثمٍ﴾ [المائدة/ ٣].

قال ابن عباس: مخمصة مجاعة[7].

---

(١) القاموس مادة (حبك) ٢/ ١٢٣٩.

(٢) معجم غريب القرآن ص ٣٤.

(٣) القاموس مادة (حرر) ١/ ٥٣٢.

(٤) نفسه مادة (سمم) ٢/ ١٤٨٠.

(٥) صـحيفة علـي بـن أبـي طلحـة ص ١٥٣، وفـتح البـاري ٨/ ١٠٤، معجـم غريب القرآن ص ٣٨.

(٦) القاموس مادة (حصر) ١/ ٥٣٣.

(٧) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ١٧٠، والطبري، وفتح الباري ٨/ ١١٨، والدر المنثور ٢/ ٢٥٩، ومعجم غريب القرآن ص ٥١.

وجاء في القاموس: والمخمصة: المجاعة، وقد خمصه الجوع خمصاً ومخمصة[1].

٢٣- وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾ [الأعراف/ ١٨].

قال ابن عباس: مدحوراً مطروداً[2].

وجاء في القاموس: الدحر: الطرد، والإبعاد، والدفع[3].

وفي صحيفة علي بن أبي طلحة: مذءوماً ممقوتاً[4].

وفي القاموس: ذامه، كمنعه: حقره، وذمه، وطرده، وخزاه[5].

٢٤- وفي قوله تعالى: ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾[النبأ/ ٣٤].

قال ابن عباس: دهاقا ممتلئاً[6].

وفي القاموس: دهق الكأس، كجعله: ملأها، وقال: وكأس دهاق ككتاب ممتلئة، أو متتابعة[7]. وكذا قال عكرمة: وكأساً دهاقاً قال: ملأى متتابعة[8].

٢٥- وفي قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأحزاب/ ٥١].

---

(١) القاموس مادة (خمص) ١/ ٨٤٠.

(٢) ومعجم غريب القرآن ص ٥٣.

(٣) القاموس مادة (دحر) ١/ ٥٥٣.

(٤) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٢٢٤، والطبري.

(٥) القاموس مادة (ذأم) ٢/ ١٤٦٢.

(٦) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٥١٥، والطبري، والدر المنثور ٦/ ٣٠٨، ومعجم غريب القرآن ص ٥٨.

(٧) القاموس مادة (دهق) ٢/ ١١٧٥.

(٨) ومعجم غريب القرآن ص ٥٨.

قال ابن عباس: ترجي تأخر[1].

وفي القاموس: أرجأ الأمر: أخره[2].

٢٦- وفي قوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾ [ص/ ٣٨].

قال ابن عباس: الأصفاد الوثاق[3].

وفي القاموس: صفده يصفده: شده، وأوثقه، كأصفدة وصفده، والصفد محركة: العطاء، والوثاق[4].

٢٧- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج/ ٣١].

قال ابن عباس: سحقاً بُعداً[5].

وفي القاموس: السحق بالضم، وبضمتين: البعد[6].

٢٨- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم/ ٤٨].

قال ابن عباس: أغنى وأقنى- أعطى فأرضى[7].

وفي القاموس: والقِنى، كإلى: الرضا. قناه الله، وأقناه: أرضاه[8].

٢٩- وفي قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى/ ٣].

---

(١) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٤٠٦، والطبري، وفتح الباري ٨/ ٣٨٥، والدر المنثور ٥/ ٢١٠، ومعجم غريب القرآن ص ٦٥.

(٢) القاموس مادة (ارجا) ١/ ١٠٥.

(٣) معجم غريب القرآن ص ١١٤.

(٤) القاموس مادة (صفده) ١/ ٤٢٨.

(٥) السابق ص ٨٦.

(٦) السابق مادة (سحق) ٢/ ١١٨٥.

(٧) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٤٧١، والطبري، والفتح ٨/ ٤٧٢، والدر المنثور ٦/ ١٣٠، ومعجم غريب القرآن ص ١٤٩.

(٨) القاموس مادة (قنى) ٢/١٧٣٨.

قال ابن عباس: ما تركك وما أبغضك[1].

جاء في القاموس: وودعه كوضعه، وودعه: بمعنى، الاسم: الوداع، وهو تخليف المسافر الناس خافضين، وهم يودعونه إذا سافر تفاؤلاً بالدعة التي يصير إليها إذا قفل، أي: يتركونه وسفره[2].

وفيه أيضاً: قلاه، كرماه ورضيه، قِلىً وقِلاء ومَقْلِيَةً: أبغضه، وكرهه غاية الكراهة فتركه، أو قلاه: في الهجر، وقليه: في البغض[3].

٣٠- وفي قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون/ ١٠٤].

قال ابن عباس: كالحون- عابسون[4].

وفي القاموس: كلح، كمنع، كُلوحاً وكُلاحاً، بضمهما: تكشّر في عبوس[5].

هذه أمثلة قليلة منتقاة وغيرها كثير غزير تعج به كتب التفسير وتشهد له كتب المعاجم والذي يرجع إلى مصادر المعجمية في أقوال ابن عباس- أعني صحيفة بن أبي طلحة- يجد بغيته وضالته، وقد استشهد بهذه الألفاظ ودلالتها أئمة التفسير ونقلوها عنه بالرواية في كتبهم المشهورة كابن جرير والسيوطي وغيرهما.

---

(١) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٥٣٥، والطبري، والفتح ٨/ ٥٨١، والدر المنثور ٦/ ٣٦١، ومعجم غريب القرآن ص ١٧٢.

(٢) القاموس مادة (ودع) ٢/ ١٠٢٩.

(٣) نفسه مادة (قلى) ٢/ ١٧٣٧.

(٤) صحيفة علي بن أبي طلحة ص ٣٦٧، والطبري، والفتح ٨/ ٣٠٠، والدر المنثور ٥/ ١٦، ومعجم غريب القرآن ص ١٨٠.

(٥) القاموس مادة (كلح) ١/ ٣٥٨.

ثانياً: الدلالة:

نـزل القرآن الكريم باللغة الأدبية المشتركة التي تكونت من صفوة أسـاليب قـادة البيان لدى عرب الجاهلية عامة، والقرشيين خاصة؛ إذا أن القـرآن الكـريم حـين تحـدى العـرب بأن يأتوا بسورة من مثله كان تحديه مـوجها نحـو الخاصـة منهم؛ ومن البديهي أن الأدبية المشتركة كانت قريبة جـدا من اللهجات المحلية التي كان يتحدث بها الناس في شؤونهم العامة؛ كمـا أن سيطرة الشعراء والخطباء وأشياعهم من أولي اللسن على الأدبية المشتركة كانت متفاوتة حيث يأخذونها بالدربة والمران[1].

وقـد ذكـر الأولـون أن إدراك أسـرار الإعجـاز القرآنـي لا يـتاح للعربـي إلا بمقـدار مـا يتقن من الشعر والخطابة والبيان، يقول الباقلاني: "وقد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ومعرفة وجه دلالته، لأن الأعجمي لا يعلـم أنه معجز إلا بأن يعلم عجز العرب عنه، وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى أمور لا يحتاج إليها من كان من أهل صنعة الفصاحة؛ فإذا عرف عجز أهـل الصنعة حل محلهم، وجرى مجراهم في توجه الحجة عليهم، وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالي في هذه الصنعة"[2].

وفي الحقـيقة تعد جهود ابن عباس في تفسير القرآن، وشرح بعض أسـاليبه الـبداية الأولى لتأسـيس (علـم الدلالة اللغوية) ذلك العلم الذي يعـد الآن عند الغربيين قمة الدراسات اللغوية، وهو علم يقوم على بحث العلاقـة بـين اللفظ والمعنى بصورة أساسية، وتدلنا بعض النصوص على

---

(1) ينظر: ابن عباس مؤسس علوم العربية ص ٥٧.

(2) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٤.

إن إدراك ابن عباس لأثر الملابسات التي تحيط بالنص في تحديد دلالته كان مبكـرا جـدا؛ فقـد روى أبـو عبيد عن إبراهيم التيمي أنه قال: "خلا عمر ذات يـوم، فجعـل يحـدث نفـسه: كـيف تختلف هـذه الأمة ونبيها واحد وقبلـتها واحـدة؟ فقـال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن، فقـرأناه، وعلمـنا فـيم نـزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يـدرون فـيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا فإذا اخـتلفوا اقتـتلوا. قـال: فزجره عمر، وأنتهره ، فأنصرف ابن عباس ونظر عمـر فـيما قال، فعرفه فأرسل إليه، فقال: أعد عليّ ما قلت. فأعاده عليه فعرف عمر قوله، وأعجبه"[1].

ومـن قـول ابـن عـباس يتبين أهمية معرفة سبب النزول لتحديد دلالـة الـنص، فقـد قال ابن تيمية- رحمه الله-: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يؤرث العلم بالمسبب"[2].

فقد أشكلَ على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ﴾ [آل عمران/ ١٨٨]، فقال: لـئن كـان كـل أمـرئ فـرح بمـا أوتـي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا؛ لـنعذبنّ اجمعـون، حتـى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حـين سألهم النبي -ﷺ- عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه وأستحمدوا بذلك إليه[3]. وإذا كان لأسباب النزول أثـر واضـح في تحديـد دلالة النص القرآني فإن معرفتها وحدها لا تكون

(١) الموافقات ٣/ ٣٤٨.

(٢) مقدمة أصول التفسير ص ٤٦.

(٣) ينظر: الإتقان ١/ ٨٤.

كافية في كل الأحوال لقصر أفهام البشر على فهم معنى واحد للآية؛ إذ أن رحابة مدارك العربية في التعبير تجعل العربي في حيرة من أمره في مواضيع كثيرة. ويروون في هذا السياق عن علي بن أبي طالب كلاما قاله لابن عباس حيث بعثه لمحاجة الخوارج وإرشادهم إلى الصراط السوي حيث أخرج ابن سعد عن عكرمة عن ابن عباس أن عليا أرسله إلى الخوارج، فقال: اذهب إليهم فخاصمهم، ولا تحاجهم بالقرآن؛ فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة.

وأخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له: يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل، قال: صدقت، ولكن القرآن حمال ذو وجوه تقول، ويقولون، ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لم يجدوا عنها محيصاً. فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن، فلم تبقَ بأيديهم حجة[1].

وسنعرض بعض المسائل الدلالية من آراء ابن عباس فيما يتعلق بدلالة الألفاظ ودلالة التراكيب من خلال تفسيره لآيات الذكر الحكيم.

دلالة الألفاظ والتراكيب:

مر معنا في فقرة المعجمية بعض النماذج عن ابن عباس لتوضيح جهوده في تأسيس المعجم اللغوي، وقلنا إن المعجمية لا تنفك عن الدلالة اللغوية فهما متلازمتان، وسأذكر هنا بعض النماذج لتوضيح الفكرة.

فمن الأمثلة الواردة عن ابن عباس هي حصر دلالة الألفاظ في القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**﴾ [آل عمران/ ١٥٠]، فقد أخرج

[1] ينظر: الإتقان ١/ ٨٤.

ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: كل سلطان في القرآن حج[1].

وأغلب المفسرين يذكرون أن السلطان هي الحجة، قال الخازن (لباب التأويل): ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني حجة وبرهانا، وسميت سلطانا لأن السلطان مشتق من السليط وهو ما يستصبح به، وقيل القوة والقدرة، وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل.

قال أحمد صالح محايري: ولي على ما نقلوه عن ابن عباس تساؤل: إن كان كل سلطان يعني في القرآن الكريم حجة، فهل ينطبق هذا على قوله تعالى لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر/ ٤٢]، [الإسراء/ ٦٥]؟ فالسلطان هنا السيطرة والغلبة والقوة كما أن قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن/ ٣٣]، فالسلطان هنا القوة كما قاله المفسرون، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ﴾ [الصافات/ ٣٠]. ومع هذا فإني مع ما ثبت عن ابن عباس لأن الحجة فيها معاني القوة أيضا[2].

وأخرج ابن جرير الطبري وابن حاتم عن ابن عباس قال: (الورود) في القرآن أربعة: في هود ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ وفي مريم ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وفيها أيضا ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ وفي الأنبياء ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ قال: كل هذا الدخول[3].

---

(1) تفسير سفيان ابن عينية ص ٢٢٦، والطبري، وابن أبي حاتم، معالم التنزيل ١/ ٤٣٣، والفتح ٨/ ٣٩٠، وفتح القدير ١/ ٣٨٩.

(2) ينظر: تفسير ابن عينية ص ٢٢٧.

(3) الطبري (هود/ ٩٨)، وابن أبي حاتم، والدر المنثور ٣/ ٦٣٠.

ومن ذلك تفسير المشكل من الألفاظ وتحديد دلالتها، فقد روي عن ابن عباس أنهُ سئل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: أما إنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل على الأضياف[1].

وقد فسر بقوله: ما بغت امرأة نبي قط[2].

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة/ ٢٧]. قال ابن عباس: الأرض الجرز أرض باليمن[3].

ووجه تفسير الأرض الجرز بأرض اليمن؛ لأن (الجرز) لغة القطع، ومنه الأرض التي انقطع نباتها لعدم الماء، ولا تعني تلك الأرض السبخية التي لا تنبت مهما سقيت من ماء، بل الأرض الصالحة للزراعة، ولكن لعدم وجود الماء فيها جفت، فتوجيه المعنى إلى أرض اليمن؛ لأن أرضها يابسة صالحة للزراعة، وبحاجة لمياه كي تنبت، ولهذا تعددت الأقوال في المراد من الأرض الجرز هنا، فقيل: أرض مصر، وقيل: أرض عدن، وقيل: أرض بقرى الشام، وانطلاقا من هذا المعنى ورد عن ابن عباس ما يوضح المراد، فقد أخرج الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ التي لا تمطر إلا مطرا لا يُغني عنها شيئا إلا ما يأتيها من السيول[4].

---

(١) تفسير ابن عيينة ص ٢٦٨، والطبري ١١/ ٢١، وابن كثير ٤/ ٢٦٠، والدر المنثور ٦/ ٢٤٥، وفتح القدير ٥/ ٢٥٦.

(٢) الطبري ١١/ ٣١، والدر المنثور ٥/ ٢٥٦.

(٣) تفسير ابن عينية ص ٣٠٨، والطبري، ومعالم التنزيل، والدر المنثور ٥/ ١٧٩، وفتح القدير ٤/ ٢٥٨.

(٤) الطبري، والدر المنثور ٥/ ١٧٩.

وهـذا مـا اخـتاره الـبخاري في صحيحه في تفسير الأرض الجرز، فقال: وقال ابن عباس: الجرز التي لا تمطر إلا مطرا لا يغني عنها شيئا[1].

وفي قـوله تعـالى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر/ ٣٧]، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: وجاءكم النذير، قال: الشيب[2].

وفي رواية له وهو قول الجمهور: هو النبي -ﷺ-[3].

ويـؤيد قـول من قال: الشيب، سياق الآية ودلالتها، فقد قال الله تعـالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ الآية، قال ابن عباس والمحققون معناه: أولم نعمركم ستين سنة[4]. ويؤيده حديث أبي هريـرة في الـبخاري، قال: قال رسول الله -ﷺ-: أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة[5].

وذهـب الجمهـور إلى أنـه النبي -ﷺ-؛ لأن النذير في الآية مطلق، والله أعلم.

وحـين تكـون الألفاظ في سياق التراكيب غامضة يضرب لها مثالا لتتضح الصورة، ففي قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ...﴾ [الإنسان/ ١٥]، قال ابن عباس: انظر لو أخذتُ فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مـا مـثل جـناح الـذباب، لم ترَ الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة بياض الفضة مثل صفاء القارورة[6].

---

(١) الفتح ٨/ ٥٠٥.

(٢) الدر المنثور ٥/ ٢٥٤.

(٣) رياض الصالحين.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) تفسير ابن عيينة ص ٣٤٠، وتفسير ابن عبد الرزاق، والطبري، وابن أبي حاتم، وابن كثير، والدر المنثور.

وفي قـوله تعـالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات/ ٣٢]، فقد روي عن ابن عباس انه قال: نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل، فنرفعه للشتاء، فنسميه القصر[(١)].

وفي قـوله تعـالى: ﴿كَأَنَّـهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات/ ٣٣]، فعن ابن عباس قال: كأنها حبال السفن[(٢)].

والقـراءة المشهورة في (جمـالات) بكـسر الميم وهـي جمـال وهي الإبـل، وهـي قـراءة الجمهـور. وورد عن ابن عباس والحسن وابن جبير وقـتادة وأبي رجاء أنهم قرأوا (جُمالات) بضم الميم، وهي حبال السفن، ولعـل هـذا هو السبب الذي جعل حبر الأمة ابن عباس يُفسّر الجمالات بحبال السفن[(٣)].

وفي قـوله تعـالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير/ ٢٤]، كان ابن عباس يقرأ بضنين، قال: والضنين والظنين سواء[(٤)].

ومـراد ابن عباس أن الظنين والضنين سواء في جواز القراءة بهما لأنهمـا قراءتان صحيحتان ويكون المعنى على قراءة ظنين أي: لا يظن به سـوء، أي لـيس بمـتهم بكـذب أو ادعاء. وعلى قراءة ضنين يكون المعنى لـيس ببخـيل بعلمـه الـذي علمه الله إياه وبالوحي الذي أنزله الله عليه، ولـيس ببخـيل بمـا عـنده من خير فيأخذ عليه عطاء كما يفعل الكهان[(٥)].

---

(١) ابن عينية ص ٣٤٠، والطبري، وابن كثير، والفتح ٨/ ٦٨٧، والدر المنثور ٦/ ٣٠٥.

(٢) ابن عينية ص ٣٤١، وعبد الرزاق، والطبري، والفتح ٨/ ٦٨٨، وفتح القدير ٥/ ٣٩١.

(٣) ابن عينية ص ٣٤١.

(٤) تفسير ابن عينية ص ٣٤٣، وفتح الباري ٨/ ٦٩٤، والدر المنثور ٦/ ٣٢٢.

(٥) ينظـر: مـا اتفـق لفظه واختلف معناه ص ١٨٢، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ص ٩٧.

وقد تبنى قول ابن عباس ابن عيينة، فقال: ظنين وضنين سواء، أي ما هو بكاذب وما هو بفاجر والظنين: المتهم، والضنين: البخيل[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين/ ٢٧]، فعن ابن عباس قال: تسنيم أشرف شراب أهل الجنة، هو صرف للمقربين[2].

وفي قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش/ ١]، ورد عن ابن عباس انه قال: لنعمتي على قريش[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون/ ٧]، ورد عن ابن عباس: أنه يفسرها بالقِدْر والفأس والدلو يعني العارية[4].

وفي قوله تعالى: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا...﴾ [النساء/ ١٩]، قرأ حمزة والكسائي: ﴿ أن ترِثُواْ النِّسَاء كُرْهًا ..﴾، وقرأ الباقون بالنصب. واختلف الناس في الضم والفتح، فقال ابن عباس: من قرأ 'كُرْهاً' بالضم أي بمشقة ومن قرأ 'كَرْهاً' بالفتح أي إجبارا أي أجبر عليه.

جعل ابن عباس (الكُرْه) فعل الإنسان و(الكَرْه) ما أكره عليه صاحبه، تقول: (كرهت الشيء كُرْها، وأُكْرِهتُ على الشيء كَرْها). قال أبو عمرو: (والكَرْه ما كرهنه، والكُرْه ما استكرهت عليه). ويحتج في ذلك بقول الله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ﴾. وقال الأخفش: (هما لغتان مثل الضَّعْف والضُّعْف، والفَقْر والفُقْر). وقال قوم: (الكَرْه المصدر تقول: كرهته كَرْها مثل: شربته شربا، والكُرْه اسم ذلك الشيء)[5].

---

(١) تفسير ابن عينية ص ٣٤٣.

(٢) تفسير عبد الرزاق، والطبري، والدر المنثور ٦/ ٣٢٨.

(٣) الطبري، وابن أبي حاتم، والدرالمنثور.

(٤) الطبري، والدر المنثور.

(٥) حجة القراءات ص ١٩٥، ١٩٦.

إن تحديـد ابن عباس لدلالة الألفاظ وتوجيه بعض القراءات كان نابعـا مـن معـرفة دقيقة بلغة العرب وأحوالهم وعاداتهم، كما هو في هذه الآيـة، فقـد روي عنه أنه قال: "كان حميم الميت يلقي ثوبه على المرأة، فإذا شاء تزوجها بذلك، وإن شاء حبسها حتى تموت فيرثها"[1].

وتحديـده للقراءة بـ(كَرْهاً) بأنه ما أكره عليه الإنسان أقرب لدلالة الآية ومنسجما مع تفريقه بين اللفظين.

وفي قـوله تعـالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النسـاء/ ٤٣]، قرأ حمزة والكسائي: "أو لمستم النساء" بغير ألف، جعلا الفعل للرجال دون النساء.

وقـرأ الـباقون: "أو لا مستم النساء" بالألف أي جامعتم. والملامسة لا تكـون إلا مـن اثـنين، الـرجل يلامـس المـرأة والمـرأة تلامـس الرجل. وحجـتهم ما روي عن ابن عباس "أو لا مستم" قال: هو الغشيان والجماع. وقـال: "إن الله كـريم يكـني عـن الـرفث والملامـسة والمباشـرة والتغـشي والإفضاء وهو الجماع"[2].

فهـو يـشير إلى معنى الجماع في القرآن أنه جاء بألفاظ الكناية، ولم يأتِ بالتصريح، وهذا ما يسمى بالمحضور اللغوي في الدراسات الحديثة.

وفي قـوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ...﴾ [الشعراء/ ١٣٧]، قـرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ان هذا إلا خلق الأولين بفتح الخاء وسكون اللام. وقرأ الباقون "خُلُقَ" بضم الخاء واللام.

ومـن قـرأ "خَلْـق الأولـين" بالفتح فمعناه اختلافهم وكذبهم كأنهم قالـوا لهـود -علـيه الـسلام-: مـا هـذا الـذي أتيتـنا به إلا كذب الأولين

---

(١) الطبري، وجمال القراء وكمال الإقراء ١/ ٢٨٠، والقرطبي ٥/ ٩٥، والدر المنثور ٢/ ١٣١.

(٢) حجة القراءات ص ٢٠٥.

وأحاديثهم، قال ابن عباس: إن هذا إلا خَلْق الأولين أي كذب الأولين[1].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف/ ٥٧]، قرأ نافع وابن عامر والكسائي: إذا قومك منه يصدون بضم الصاد، وقرأ الباقون يصدون بالكسر، أي يضجون، كما قال ابن عباس. واحتج بعض الناس بصحة الكسر، وأنه بمعنى الضجيج بصحبة منْ للفعل، قال: ولو كان بمعنى الصدود كان الأفصح أن يصحب الفعل (عنه) لا (منه)؛ لأن المستعمل من الكلام: (صد عنه) لا (صد منه)؛ فلما كان الكلام منه يصدون دل على أنه عن الصدود بمعزل، وأنه بمعنى الضجيج، ولو كان من الصدود لكانت (إذا قومك عنه يصدون) أو (منه يصدون عنك)[2].

وفي قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن/ ٣٥]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: من نار ونحاسٍ بالخفض عطفا على قوله: ﴿مِّن نَّارٍ﴾ كأنه أراد: من نار ومن نحاس. قال يونس النحوي: كان أبو عمرو يقول: لا يكون الشواظ إلا من النار والنحاس جميعا. والنحاس الدخان؛ فعلى ما فسره أبو عمرو يكون النحاس معطوفا على قوله: من نار فيكون معناه: يرسل عليكما شواظ، وذلك الشواظ من نار ونحاس.

وقرأ الباقون: شواظ من نار ونحاسٌ بالرفع عطفا على (الشواظ).

قال أبو عبيدة (شواظ من نار: لهب من نار لا دخان فيه). وعن ابن عباس قال: الشواظ لا دخان فيه. فكلهم يريدون الذي لا دخان له.

---

(١) حجة القراءات، ص ٥١٨.

(٢) نفسه ص ٦٥٢.

أي يرسل عليكما نار محضة لا يشوبها دخان، ويرسل عليكما دخان بعد ذلك، فيكون واصفا شيئين من العذاب من نوع واحد، كل واحد منهما عذاب على حدته.

واعلم أنه إذا كان الشواظ : اللهب الذي لا دخان فيه، ضعفت قراءة من قرأ 'من نار ونحاس' ولا يكون على تفسير أبي عبيدة إلا الرفع في 'نحاس' عطفا على قوله: 'يرسل عليكما شواظ' ويرسل نحاس، أي يرسل هذا مرة وهذا أخرى[1].

وفي قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج/ ١]، قرأ نافع وابن عامر: 'سال' غير مهموز. أراد (سأل) بالهمز، فترك الهمز للتخفيف. قال محمد بن يزيد المبرد: من لم يهمز فعلى أحد وجهين؛ إما أن يأخذها من (سال يسيل) من السيل، والوجه الثاني أن يكون من (سِلْتُ أسال) كما تقول: (خِفْتُ أخاف، ونِمتُ أنام). و(سِلْتُ أسال) في معنى سألتُ أسأل وهي لغة معروفة. والعرب تقول: (سألت أسال). ويقوي الوجه الأول ما روي عن ابن عباس أنه قال: من قرأها بلا همز فإنه واد في جهنم، ومن قرأها مهموزة يريد (النَّضْر). فعلى هذا القول (سائل) واد في جهنم، كما قال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ والغي واد[2].

وإذا صح هذا عن ابن عباس فإنه يعد خطوة متقدمة في نمو هذا الفن حيث لا يقتصر الموجه على توجيه قراءة واحدة، وإنما يتجاوز ذلك إلى إيجاد الانسجام بين القراءتين بوجه من وجوه التأويل[3]. وجاء عنه أن

---

(١) حجة القراءات ص ٦٩٣.
(٢) نفسه ص ٧٢٠.
(٣) ينظر: ابن عباس مؤسس علم العربية ص ١٠٣.

الريح (المفردة) تأتي بالعذاب واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر/ ٣١]، وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات/ ٤١]، وأن الرياح (المجموعة) تأتي بالخير واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر/ ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ ...﴾ [الروم/ ٤٦][1].

ومن آرائه في تحديد دلالة التركيب ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي...﴾ [مريم/ ٢٤]، قرا أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبوبكر: فناداها من تحتها بفتح الميم والتاء. جعلوا من أسماً وجعلوا النداء له. المعنى: فناداها الذي تحتها وهو عيسى، وتحتها صلة من. وحجتهم ما روى عن أبي بن كعب قال: الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها. وقرأ الباقون: من تحتها بكسر الميم والتاء، أي: فناداها جبريل، بين يديها. وحجتهم ما روى عن ابن عباس: من تحتها، قال جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها.

وقال آخرون منهم الحسن البصري: (من تحتها: عيسى) فكأنه جعل الفاعل مستتراً في (ناداها)، المعنى: فناداها عيسى من تحتها، وهو أجود الوجهين، وذلك انه جرى ذكره في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ ..﴾ فلما أتى الفعل بعد ذكره دل على أنه فعل المذكور، وأنه مستتر في فعله؛

---

(١) مشكاة المصابيح (١٥١٩).

فالكسر أعم، وذلك أن من كسر يحتمل المعنى أن يكون عيسى- عليه السلام-[1].

قلت: إن كان الكسر أعم وأنه يحتمل فيه أن يكون المنادي هو الملك أو عيسى- عليه السلام- فإن أقرب الأقوال- عندي- هو قول ابن عباس حيث جعل المنادي هو جبريل- عليه السلام-، وقد أعتمد في تقرير ذلك على دلالة ما بعد الآية، فقوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ الآيات، فجبريل- عليه السلام- هو الذي ناداها وأخبرها بالا تحزن وأن الله قد جعل تحتها جدول ماء وأمرها بأخذ الأسباب وهز النخل ليتساقط عليها الرطب، فتأكل من الرطب وتشرب من الماء وتقر عينها ولا تحزن، فالكلام إذاً كان بعد المناداة لجبريل قطعاً، وابن عباس يضيف إلى ذلك دلالة ما بعد هذه الآيات: أن مريم أتت قومها تحمل ابنها، فحدث بينهم حوار ثم أشارت إليه ، فقال الله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ الآيات. فبين ابن عباس أن عيسى- عليه السلام- لم يتكلم حتى أتت به أمه إلى قومها، وفي هذا غاية في تحديد دلالة التراكيب والألفاظ، ومذهبه بأن المنادي كان جبريل أقرب لدلالة الآيات من كونه عيسى- عليه السلام- فليتأمل.

---

(1) حجة القراءات ص ٤٤٢.

وفي معرفة أسباب النزول بما تقتضيه عادات العرب وأحوال أهل الكتاب جاء عن مجاهد قال: سمعت ابن عباس- رضي الله عنه- يقول: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية، فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ..﴾ [البقرة/ ١٧٨]، فالعفو أن يقبل الدية في العمد (فإتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان) يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) مما كتب على من كان قبلكم (فمن أعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) قتل بعد قبول الدية[1].

ومنه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ..﴾ [البقرة/ ١٩٨]، فعن عمرو بن دينار قال: قال ابن عباس: كان ذو إعجاز وعكاظ متجراً للناس في الجاهلية، فلما كان الإسلام كرهوا ذلك حتى نزلت: ليس عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج[2].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ..﴾ [المائدة/ ٢]، قال ابن عباس: هي مناسك الحج نهاهم أن يحلوا. ما منع المحرم من إصابته. وقال: ﴿وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ يعني المشركين من الحج، ثم نسخ ذلك بالقتل[3].

---

(١) تفسير ابن عينية ص ٢١٤، والطبري ٢/ ٦٣، والفتح ٨/ ١٧٦.

(٢) تفسير الصنعاني، والطبري ٢/ ٢٦٥، وابن كثير ١/ ٣٤٩، والفتح ٨/ ١٨٦، والدر المنثور ١/ ٢٢٢.

(٣) الطبري، والنحاس، والقرطبي، وزاد المسير، وجمال القراء وكمال الإقراء ١/ ٢٩٥.

وفي قـوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * } فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ٤-٥]، قال ابن عباس: من لم يكن لـه عهد إنما جعل أجله خمسين ليلة، عشرين من ذي الحجة، والمحرم، يدل على ذلك قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾ وكان النداء بسورة براءة يوم عرفة، وبه تتم خمسون ليلة[1].

ويندرج تحت أصول الدلالة اللغوية ما يسمى بفن توجيه القراءات، وهذا الفن ارتبط في نشأته بنشأة التفسير، وفرسان التفسير من الصحابة الكرام هم الذين وضعوا اللبنات الأولى في صرح هذا الفن، وإذا كان ابن عباس هو أجدر الصحابة- رضي الله عنه- بلقب مفسر فهو كذلك أجدرهم بجعله مؤسساً لفن الاحتجاج للقراءات.

ولكن كثيراً من الباحثين لا يرون هذه الرؤية، ويرجعون الاهتمام بتوجيه القراءات إلى فترات جاءت بعد ابن عباس بنحو قرن أو قرنين من الزمان، وهذه مسألة يطول فيها الجدال، ولكن سأعرض بعضاً من آراءه وهي كفيلة لاثبات ما أقول:

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة/ ٦٢] قرأ نافع: (والصابين) من غير همز، وقرأ

---

(١) وجمال القراء وكمال الإقراء ١/ ٢٨٩.

السبعة بالهمز، وقد روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: (ما الصابون)، إنما هي الصابئون، (ما الخاطون) وأنما هي الخاطئون[1].

وفي هذا المثال نرى ابن عباس يرجح قراءة الهمز في هاتين الكلمتين، لأنه يدل على معرفته بلهجات العرب، كما يدل على معرفته بأصول الإعلال في العربية، حيث اتجه الجمهور من السبعة وغيرهم إلى القراءة بالهمز الذي حسنه ابن عباس، كما أن كثيراً من النحويين يرون أن قلب الهمزة ياء بابه الشعر[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات/ ٧-٨]، قرأ حمزة والكسائي وحفص: لا يسمعونْ وقال: هم يسمعون ولكن لا يسمعون. والدليل على صحة قول ابن عباس أنهم (يسمعون ولكن لا يسمعون) قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن/ ٩]، وقوله بعدها إلا من خطف الخطفة، فعلم بذلك أنهم يقصدون للاستماع. ومن حجتهم أيضا إجماع الجميع على قوله أنهم عن السمع لمعزولونْ وهو مصدر (سمعت)، والقصة واحدة. وتأويل الكلام: وحفظا من كل شيطان مارد لئلا يسمعوا، بمعنى انهم ممنوعون بالحفظ عن السمع. فكفت (لا) من (أن)، كما كنت (أن) من (لا) في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ فإن قال قائل: (فلو كان هذا هو الوجه لم يكن في الكلام (إلى) ولكان الوجه أن يقال: (لا يسمعون الملأ الأعلى)، قلت: العرب. تقول: سمعت زيدا، وسمعت إلى

---

(١) البحر المحيط ١/ ٢٤١، والدر المصون ١/ ٤٠٧.

(٢) ينظر ابن عباس مؤسس علم العربية ص ١٠٧.

زيد، فكذلك قوله: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ وقد قال جل وعز: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾، وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ فيعدي الفعل مرة بـ(إلى) ومرة باللام، كقوله: ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا﴾ و﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وقال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ...﴾ [التوبة/ ٩١] قرأ الكسائي في رواية ابن قتيبة: ﴿ وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ﴾ بالتخفيف أي الذين أعذروا وجاءوا بعذر. وكان ابن عباس يقرؤها كذلك ويقول: (هم أهل العذر). أي جاءوا معذرين ولهم عذر، والمعذر الذي قد بلغ أقصى العذر. والعرب تقول: (اعذر من أنذر) أي بالغ في العذر.

وقرأ الباقون: ﴿ وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ﴾ بالتشديد أي المعتذرون إلا أن التاء ادغمت في الذال لقرب المخرج. قال الزجاج: ومعنى المعتذرين الذين يعتذرون كان لهم عذر أو لم يكن لهم عذر، وهو هاهنا أشبه بأن يكون لهم عذر وأنشدوا:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولا كاملا فقد اعتذر
[الطويل]

يريد: قد اعذر. وقد يكون لا عذر له. قال الله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ ثم قال: ﴿ لاَّ تَعْتَذِرُواْ﴾ أي لا عذر لكم.

---

(١) حجة القراءات ص ٦٠٥-٦٠٦.

وكـان ابن عباس يقول: رحم الله المعذرين ولعن الله المعذرين[1]. وذهـب إلى مـن يعـتذر بغـير عـذر. وقال أخرون المعذرون المقصرون أي الذين يوهمون أن لهم عذرا ولا عذر لهم[2].

وفي قـوله تعـالى: ﴿إِنِ الْحُكْـمُ إِلاَّ لِلَّـهِ يَقُـصُ الْحَـقَّ وَهُـوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام/ ٥٧]، قرأ نافع وابن كثير وعاصم: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ بضم القاف والصاد. المعنى: إن جميع ما أنبأ به أو أمر به فهـو مـن أقاصـيص الحـق. واحـتج ابـن عباس على هذه القراءة بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ...﴾ وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ و﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾[3].

وإذا تأملـنا الأصـول الـتي اعـتمد علـيها ابـن عباس فإنها كانت متمـثلة العـربية والمعنـى وتأيـيد النصوص الأخرى من القرآن والحديث، وتأملـنا مـا اعـتمده من جاء بعده من النحاة والمفسرين من ذلك أيقنا أن الإضـافات الـتي حدثت بعد ذلك في فن توجيه القراءات لم تكن أكثر من تفريع على ما أصّل، وترسم لخطاه فيما خط ورسم.

وبهـذا الـذي أسلفناه يتبين أن ابن عباس هو المؤسس الأول لهذا الفـن في وقـت مبكـر جـدا مـن تـاريخ العلوم عند العرب، وما ذلك إلا لاكتمال أدواته ونفاذ بصيرته[4].

---

(1) المفردات للراغب ص ٥٥٥، والدر المنثور ٤/ ٢٦٠.

(2) السابق ص ٣٢١.

(3) حجة القراءات ص ٣٢١.

(4) ينظر: ابن عباس مؤسس علم العربي ص ١٠٨.

ومن ضمن الدلائل اللغوية ما يسمى بالتفسير الإشاري، وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب العلم الراسخين فيه.

ولم يكن التفسير الاشاري بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله -ﷺ- ... أشار إليه القرآن، ونبّه عليه الرسول عليه الصلاة والسلام، وعرفه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقالوا به.

ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم. فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله -ﷺ- أعلمه له. قال: إذا جاء نصر الله والفتح، وذلك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[1].

فبعض الصحابة لم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر، أما ابن عباس وعمر، فقد فهما معنى أخر وراء الظاهر، هو المعنى الباطن الذي تدل عليه السورة بطريق الإشارة[2].

---

(1) البخاري رقم (٤٩٧٠).

(2) ينظر: التفسير والمفسرون ٢/ ٣٨٤.

وتبقى نقطة أخيرة في هذا المبحث وهي مسألة البلاغة فيما ورد عن ابن عباس من أقوال فيها، وهي تراكيب دلالية تنبئ عن حس ابن عباس بالتشبيه والتي هي من أبواب البلاغة ونذكر من ذلك أمثلة عليها:

فقد روى أن عمر- رضي الله عنه- قال يوما لأصحاب النبي -ﷺ-: فيما ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة/ ٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعملٍ. قال عمر: رجل غني يعمل بطاعة الله- عز وجل- ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله[1].

وبعض الروايات تذكر هذا القول لابن عباس[2]. فهذا تشبيه تمثيلي أو استعارة تمثيلية[3] وهو تشبيه صورة يكون فيها وجه الشبه فتنزع من متعدد[4].

وتمام الآية هو قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

وعند الرجوع إلى كتب التفسير والمعاني نجد أقوال ابن عباس متصدرة في تفسير أمثال هذه الآيات لما وفق إليه من حسن بياني استطاع

---

(١) البخاري كتاب التفسير برقم (٤٥٣٨).

(٢) ينظر: الطبري ٣/ ٧٥، ٧٦.

(٣) صفوة التفاسير ١/ ١٥٤.

(٤) ينظر : علوم البلاغة ص ٢٢٥، والبلاغة الواضحة ص ٣٥.

بـه أن ينتـزع الـصورة الجمالـية والمـثال الـرائع الذي ضربه الله عز وجل للناس في كتابه العزيز.

وفي قـوله تعـالى: ﴿مَـثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً...﴾ [البقرة/ ١٧].

وفي قـوله تعـالى: ﴿إِلاَّ كَبَاسِـطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ... ﴾ [الرعد/ ١٤].

وتعـج كـتب التفـسير بمـا تفـتق بـه ذهن ابن عباس من استيحاء الصور الجمالية من أمثال هذه الآيات.

نتائج ومقترحات

استطاع الباحث- بعون الله- عبر هذه الدراسة المتواضعة أنْ يقف عند حقائق علمية كثيرة لعلّ من أبرزها الآتي:

١- يعد ابن عباس الواضع الأول لنواة المعجم من خلال تفسيره، فإن المعجم في مظهره الأول عبارة عن مفردة ومعناها والشاهد عليها، وقد توافر ذلك في منهج ابن عباس في التفسير إذ كان يعطي للكلمة الغريبة في القرآن معنى ويستشهد عليه من الشعر العربي الجاهلي، وعلى أقواله ألفت كتب غريب القرآن، واعتمدتها المعاجم اللغوية.

٢- يرى الباحث أن ابن عباس يعد الواضع الأول لأول كتاب تفسير مرتب على حسب ترتيب آيات القرآن المتمثل في صحيفة علي ابن أبي طلحة وهو أصح كتاب يُنسب إليه.

٣- لم تثبت لدى الباحث نسبة كتاب تنوير المقباس المنسوب إلى ابن عباس الذي جمعه الفيروز آبادي.

٤- لم تثبت لدى الباحث نسبة سؤالات نافع بن الأزرق إلى ابن عباس لوجود الخلل في الأسانيد.

٥- لم تثبت عبر البحث المستفيض صحة نسبة كتاب غريب القرآن أو لغات القرآن إلى ابن عباس لوجود الخلل في الأسانيد.

٦- يرى الباحث أن الحلقة المفقودة في تاريخ نشأة النحو العربي قد توافرت فيما أثر عن ابن عباس من أقوال نحوية، وأنها تمثل البداية الحقيقية لهذا العلم.

٧- عدّ الباحث ابن عباس أول من وازن بين اللغات.

٨- رأى الباحث أن أول من وضع أساس علم الدلالة اللغوية وحصر دلالة الألفاظ والمعاني في القرآن هو ابن عباس.

٩- يرى الباحث أن ابن عباس أول من وضع أصول علم الاحتجاج للقراءات.

وفي ضوء هذه النتائج يدعو الباحث إلى:

- استقصاء أقوال ابن عباس من كتب التفسير وكتب السنة وتصحيحها.
- استخراج أقوال ابن عباس التي تخص اللغة من بين أقواله كلها.
- دراسة الأقوال التي في جانب اللغة دراسة مستفيضة بما يخدم البحث اللغوي.
- الإقبال على أقواله وموازنتها مع ما وصلت إليه العلوم اللغوية.

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

(أ)

١- **ابن عباس مؤسس علوم العربية**، د/ عبدالكريم بن محمد الحسن بكار، مكتبة السوادي – جدة، طبعة أولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٢- **أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية**، د/ سعدي الهاشمي، دار الوفاء – المنصورة، طبعة ثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٣- **إتحاف النبيل**، لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السلماني، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية (عجمان)، طبعة ثانية ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤- **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية– بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٥- **أثر القراءات في الفقه الإسلامي**، د/ صبري عبدالرؤوف محمد عبدالقوي، أضواء السلف – الرياض، طبعة أولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٦- **الآحاد والمثاني**، لابن أبي عاصم، تحقيق: د/ باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية – الرياض، طبعة أولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٧- **أحكام القرآن**، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، دار الفكر – بيروت، طبعة أولى (بدون تاريخ).

٨- **أخبار النحويين البصريين**، للحسن بن محمد السيرافي، تحقيق: د/ طه الزيني ود/ عبدالمنعم خفاجي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي– القاهرة، طبعة أولى ١٣٧٤هـ.

٩- **أدب الكاتب**، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة أولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٠- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، طبعة ثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١١- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة أولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٢- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لعز الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، (بدون تاريخ).
١٣- **الإسراء والمعراج المنسوب إلى عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما-**، المكتبة الشعبية - بيروت، (بدون تاريخ).
١٤- **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، د/ محمد السيد حسين الذهبي، دار الإيمان - دمشق، طبعة ثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٥- **أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد**، لأبي محمد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٦- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٧- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٨- **إعجاز القرآن**، للباقلاني، نقلاً عن (ابن عباس مؤسس علوم العربية).
١٩- **إعراب القرآن**، لأبي جعفر أحمد بن محمد إسماعيل النحاس، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب-بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٢٠- **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، لأبي عبدالله محمد بن بكر بن أيوب المعروف بابن قيّم الجوزية، دار الكتاب العربي- بيروت، طبعة ثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢١- **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة - بيروت، (بدون تاريخ).

٢٢- **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة ثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٣- **الإكمال**، لابن ماكولا، مؤسسة التاريخ العربي (بدون تاريخ).
٢٤- **إكمال الإعلام بتثليث الكلام**، لمحمد بن عبدالله بن مالك الجياني، رواية محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، مكتبة المدني - جدة، طبعة أولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٥- **الألفاظ اللغوية**، لعبدالحميد حسن، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١م.
٢٦- **أنباء نجباء الأبناء**، لابن ظفر الصقلي، نقلاً عن (حبر الأمة عبدالله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة).
٢٧- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، طبعة أولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٨- **أنساب الأشراف**، للبلاذري، تحقيق: د/ سهيل زكار ود/ رياض زركلي، دار الفكر - بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٩- **الإنصاف في مسائل الخلاف**، لأبي البركات ابن الأنباري، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(ب)

٣٠- **بدائع التفسير**، لابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي-الدمام، طبعة أولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
٣١- **بدائع الفوائد**، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي-بيروت، (بدون تاريخ).
٣٢- **البداية والنهاية**، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: أحمد عبدالوهاب فتيح، دار الحديث-القاهرة، طبعة رابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٣- **بديعة البيان عن موت العيان**، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق أكرم البوشي، دار ابن الأثير-الكويت، طبعة أولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٤- **البيان والتبيين**، لأبي عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق: حسن السندوبي مطبعة الاستقامة-القاهرة ١٣٦٦هـ.

٣٥- **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل لإبراهيم، مكتبة دار التراث-القاهرة، (بدون تاريخ).

٣٦- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية (بدون تاريخ).

٣٧- **بقي بن مخلد**، لبقي بن مخلد القرطبي، طبعة أولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٣٨- **البلاغة الواضحة**، لعلي الجارم ومصطفى أمين، طبع باتفاق مع الناشر ماكميلان وشركاه - لندن، (بدون تاريخ).

٣٩- **البلغة في أصول اللغة**، لمحمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية-بيروت، طبعة أولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(ت)

٤٠- **تاريخ ابن خلدون**، لعبدالرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤١- **تاريخ الأدب العربي**، لبروكلمان، ترجمة: د/ عبدالحليم النجار وزملائه، دار المعارف - القاهرة (بدون تاريخ).

٤٢- **تاريخ الإسلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د/ عمر عبدالسلام تذمري، دار الكتاب العربي-بيروت، طبعة أولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٣- **تاريخ بغداد**، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٤- **تاريخ الثقاة**، لأحمد بن عبدالله أبي الحسن العجلي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٤٥- **تاريخ خليفة بن خياط**، لخليفة بن خياط العصفري، تحقيق: د/ أكرم ضياء العمري، دار طيبة-الرياض، طبعة ثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٦- **تاريخ الصحابة**، لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: بوران الضناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٧- **التاريخ الصغير**، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الباز – مكة المكرمة، دار المعرفة – بيروت، طبعة أولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٨- **تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٩- **تاريخ مولد العلماء ووفياتهم**، لأبي سلمان محمد بن عبدالله بن أحمد بن زبر الربعي، تحقيق: عبدالله بن أحمد بن سليمان الحمد، دار العاصمة – الرياض، طبعة أولى ١٤١٠هـ.

٥٠- **تجريد أسماء الصحابة**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة – بيروت (بدون تاريخ).

٥١- **التحبير في علم التفسير**، لأبي الفضل جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٢- **تحرير تقريب التهذيب**، د/ بشار عواد معروف وشعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٣- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، لأبي العلا محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية-بيروت (بدون تاريخ).

٥٤- **تراجم أعلام النساء**، إعداد إدارة البحث والإعداد في مؤسسة الرسالة-بيروت، طبعة أولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٥- **تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة**، لعبدالعزيز بن عبدالله الحميدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- مكة المكرمة (بدون تاريخ).

٥٦- **تفسير ابن عيينة**، لسفيان بن عيينة، تحقيق: أحمد صالح محايري، المكتب الإسلامي-بيروت، طبعة أولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٧- **تفسير ابن كثير**، لأبي الفداء محمد بن إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مقبل هادي الوادعي وتلاميذه، دار الراية-الرياض، طبعة أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٥٨- **تفسير البحر المحيط**، لمحمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٥٩- **تفسير زاد المسير**، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٦٠- **تفسير القرآن**، لأبي المظفر المعاني، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم وأبي بلال غنيم بن عباس غنيم، دار الوطن-الرياض، طبعة أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٦١- **تفسير القرآن العظيم** (تفسير ابن كثير)، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الفيحاء-دمشق، ودار السلام- الرياض، طبعة ثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٦٢- **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين** (تفسير ابن أبي حاتم)، لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: د/ أحمد عبدالله العماري الزهراني، مكتبة الدار-المدينة المنورة، ودار طيبة-الرياض، ودار ابن القيم-الدمام، ١٤٠٨هـ.
٦٣- **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب** (تفسير الفخر الرازي)، لفخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، دار الفكر-بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
٦٤- **التفسير والمفسرون**، لمحمد بن السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة- القاهرة، طبعة سادسة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٦٥- **تقريب التهذيب**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة ثانية ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٦٦- **تقييد العلم**، للخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف العش، دار الوعي-حلب، طبعة ثالثة ١٩٨٨م.

٦٧- **تلقيح فهوم أهل الأثر**، لأبي الفرج ابن الجوزي، مكتبة الآداب- القاهرة، (بدون تاريخ).

٦٨- **التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل**، لعبدالرحمن بن يحيى المعلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ومحمد عبدالرزاق حمزة، دار الكتب السلفية-القاهرة (بدون تاريخ).

٦٩- **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، لأبي طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي، المكتبة التجارية-القاهرة (بدون تاريخ).

٧٠- **تهذيب الأسماء واللغات**، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية-بيروت (بدون تاريخ).

٧١- **تهذيب التهذيب**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧٢- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة-بيروت، طبعة ثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(ث)

٧٣- **الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم**، لصالح بن حامد الرفاعي، دار الخضيري-المدينة المنورة، طبعة ثانية ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

(ج)

٧٤- **جامع البيان في تأويل القرآن** (تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة ثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٧٥- **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، لصلاح الدين أبي سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، عالم الكتب - بيروت، طبعة ثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٧٦- **الجامع الصحيح** (سنن الترمذي)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المعروف بالترمذي، تحقيق: كما يوسف الحوت، دار الفكر-بيروت (بدون تاريخ).

٧٧- **الجامع الصحيح (صحيح البخاري)**، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية - بيروت (بدون تاريخ).
٧٨- **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الحديث - القاهرة، طبعة أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٧٩- **جمال القراء وكمال الإقراء**، لعلي بن محمد السخاوي، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة التراث-مكة المكرمة، طبعة أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٨٠- **جمهرة أنساب العرب**، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٨٠٧هـ - ١٩٩٨م.
٨١- **جمهرة النسب**، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية-بيروت، طبعة أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(ح)

٨٢- **حبر الأمة عبدالله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة، د/ عبدالله** محمد سلقيني، دار السلام-القاهرة، طبعة أولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
٨٣- **حجة القراءات**، لأبي زرعة ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، طبعة خامسة ١٤١٥هـ - ١٩٩٧م.
٨٤- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(خ)

٨٥- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، لعبدالقادر بن عمر البغدادي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٨٦- **الخصائص**، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٥م.

(د)

٨٧- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لشهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود و د/ جاد مخلوف جاد و د/ زكريا عبدالمجيد النوتي، دار الكتب العلمية–بيروت، طبعة أولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٨٨- **الدر المنثور في التفسير المأثور**، لجلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية–بيروت، طبعة أولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(ذ)

٨٩- **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، لأبي العباس أحمد بن محمد الطبري المكي، مكتبة الصحابة–جدة، طبعة أولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٩٠- **ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث**، لعبدالغني النابلسي، طبعة أولى ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م، نقلاً عن (حبر الأمة عبدالله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة).

٩١- **ذخيرة الحفاظ**، لمحمد بن طاهر المقدسي، تحقيق: د/ عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، دار السلف–الرياض، طبعة أولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(ر)

٩٢- **رجال صحيح البخاري** المسمّى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في صحيحه، تحقيق: عبدالله الليثي، دار المعرفة – بيروت، طبعة أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩٣- **رجال صحيح مُسلم**، لأبي بكر بن مَنْجُوَيْه الأصبهاني، تحقيق: عبدالله الليثي، دار المعرفة–بيروت، طبعة أولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٩٤- **الرسالة**، لمحمد إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث–القاهرة، طبعة ثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٥- رسم المصحف(دراسة لغوية تاريخية)،غانم الحمد،بغداد، طبعة رابعة١٤٠٨هـ.

٩٦- **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، لأحمد عبدالنور المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية-دمشق (بدون تاريخ).
٩٧- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (تفسير الألوسي)، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، دار الفكر- بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٩٨- **رياض الصالحين**، لأبي زكريا بن شرف النووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي-بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٩٩- **الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة**، ليحيى بن أبي بكر العامري اليمني، طبعة ثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

(ز)

١٠٠- **زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء**، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق: د/ رمضان عبدالتواب، مؤسسة الرسالة-بيروت، طبعة ثانية١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(س)

١٠١- **السبعة في القراءات**، نقلاً عن مجلة بحوث جامعة حلب.
١٠٢- **سلسة الأحاديث الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، طبعة رابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٠٣- **سنن ابن ماجة**، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث-القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٠٤- **سنن أبي داود**، لأبي سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١٠٥- **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن العمري، دار الفكر- بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠٦- سير السلف الصالحين، لإسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني الملقب بقوام السنة، دار الراية-الرياض، طبعة أولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(ش)

١٠٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لشهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن محمد العكري المشهور بابن العماد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير- دمشق، طبعة أولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٠٨- شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: د/ همام عبدالرحيم سعيد، مكتبة المنار-الأردن، طبعة أولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٠٩- شرح الكوكب المنير، لابن النجار، تحقيق: د/ محمد الزحيلي و د/ نزيه حماد، مكتبة العبيكان-الرياض، طبعة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١١٠- شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، لمحمد بن صالح العثيمين، طبعة أولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١١١- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لأبي الطيب تقي الدين محمد بن احمد بن علي الفاسي، تحقيق: د/ عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، طبعة أولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(ص)

١١٢- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسن أحمد بن فارس ابن زكريا الرازي اللغوي، تحقيق: د/ عمر فاروق الطباع، مكتبة المعار - بيروت، طبعة أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١١٣- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لأبي نصر الجوهري، تحقيق: شهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر-بيروت، طبعة أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١١٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي-بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١١٥- صحيح مُسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر-بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١٦- **الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين**، لأبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة دار القدس-صنعاء، طبعة أولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١١٧- **الصحيح المسند من دلائل النبوة**، لأبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، طبعة ثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١١٨- **الصحيح المسند من فضائل الصحابة**، لأبي عبدالله مصطفى بن العدوي، دار الهجرة - صنعاء، طبعة أولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١١٩- **صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: راشد عبدالمنعم الرُّجَّال، مكتبة السنة-القاهرة،طبعة أولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٢٠- **صفة الصفوة**، لأبي الفرج ابن الجوزي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، طبعة أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
١٢١- **صفوة التفاسير**، لمحمد بن علي الصابوني، دار الصابوني-القاهرة، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(ض)

١٢٢- **ضحى الإسلام**، لأحمد أمين، مكتبة نهضة مصر-القاهرة، طبعة تاسعة، ١٩٧٩م.

(ط)

١٢٣- **الطبقات**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الهجرة- الرياض، طبعة أولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٢٤- **طبقات الحفاظ**، لجلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة ثانية ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.
١٢٥- **طبقات خليفة (كتاب الطبقات)**، لخليفة بن خياط العصفري، دار طيبة- الرياض، طبعة ثانية، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م.
١٢٦- **طبقات علماء الحديث**، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة- بيروت، طبعة ثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٢٧- **طبقات الفقهاء**، لأبي إسحاق الشيرازي، دار القلم-بيروت، (بدون تاريخ).
١٢٨- **طبقات القراء**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نقلاً عن (حبر الأمة عبدالله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة).
١٢٩- **الطبقات الكبرى**، لمحمد بن سعد الزهري، دار إحياء التراث- بيروت، طبعة أولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٣٠- **الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة)**، لمحمد بن سعد الزهري، تحقيق: د/ محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق-الطائف، طبعة أولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٣١- **طبقات المفسرين**، لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٣٢- **طبقات المفسرين**، للداوودي، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(ع)

١٣٣- **العبر في خبر من غبر**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، (بدون تاريخ).
١٣٤- **العجاب في بيان الأسباب**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي-السعودية، طبعة أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٣٥- **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين**، لمحمد بن أحمد الحسني الفاسي، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٣٦- **العلم الخفاق من علم الاشتقاق**، لمحمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: نذير محمد مكتبي، دار البصائر-دمشق، طبعة ثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٣٧- **علم اللغة**، د/ علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر-القاهرة، طبعة تاسعة (بدون تاريخ).

١٣٨- علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة ثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٣٩- علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، لأبي عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، تحقيق: نور الدين العتر، المكتبة العلمية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(غ)

١٤٠- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(ف)

١٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام - الرياض، دار الفيحاء - دمشق، طبعة أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٤٢- فتح القدير تهذيب تفسير ابن كثير، لمحمد أحمد كنعان، دار لبنان - بيروت، طبعة ثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٤٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة، طبعة أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٤٤- فردوس الأخبار، لشيرويه الديلمي، تحقيق: فواز أحمد الزوكي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، طبعة أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤٥- الفوائد في مشكل القرآن، للعز بن عبدالسلام، تحقيق: سيد رضوان علي الندوي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المطبعة العصرية - الكويت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
١٤٦- الفهرست، لبن النديم، دار المعرفة-بيروت، (بدون تاريخ).
١٤٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر - بيروت، (بدون تاريخ).

١٤٨- **في علم اللغة العام**، د/ عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة- بيروت، طبعة خامسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(ق)

١٤٩- **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(ك)

١٥٠- **الكاشف**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار القبلة للثقافة، مؤسسة علوم القرآن-جدة، طبعة أولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٥١- الكامل في التاريخ، لعز الدين أبي الحسين علي بن الأثير الجزري، تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة ثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٥٢- **الكامل في ضعفاء الرجال**، لابن عدي، دار الفكر-بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

١٥٣- **الكامل في اللغة والأدب**، لأبي العباس المبرد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة - بيروت، طبعة أولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٥٤- كتاب البدء والتاريخ، لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٥٥- **كتاب التاريخ الكبير**، لأبي عبدالله محمد إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية - بيروت (بدون تاريخ).

١٥٦- **كتاب التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم**، لمحمد بن أبي بكر المقدمي، دار الكتاب والسنة، طبعة أولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٥٧- **كتاب التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة**، لأبي المحاسن الحسيني، تحقيق: رفعت فوزي عبدالمطلب، مكتبة الخانجي-القاهرة، طبعة أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٥٨- **كتاب تذكرة الحفاظ**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٥٩- **كتاب التنبيه على الأوهام** (وهو الجزء الخامس والسادس من تقييد المهمل وتمييز المشكل) لأبي علي الجياني، تحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي، دار اللواء -الرياض، طبعة أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٦٠- **كتاب الثقات**، لمحمد بن حبان البستي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، طبعة أولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
١٦١- **كتاب الجرح والتعديل**، لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، طبعة أولى ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
١٦٢- **كتاب الجمع بين رجال الصحيحين بخاري ومسلم لكتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني**، لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي المعروف بابن القيسراني الشيباني، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة ثانية ١٤٠٥هـ.
١٦٣- **كتاب السنن الكبرى** (سنن النسائي)، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د/ عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٦٤- **كتاب سيبويه**، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب-بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٦٥- **كتاب غريب القرآن** المنسوب إلى عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما-، تحقيق: أحمد بولوط، مكتبة الزهراء-القاهرة، طبعة أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٦٦- **كتاب مشاهير علماء الأمصار**، لمحمد بن حبان البستي، دار الكتب العلمية- بيروت (بدون تاريخ).
١٦٧- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٦٨- **كتاب المعرفة والتاريخ**، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، تحقيق: د/ أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار-المدينة المنورة، طبعة أولى ١٤١٠هـ.

١٦٩- **كتاب المقفى الكبير**، لتقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، طبعة أولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٧٠- **كتاب الموضوعات**، لأبي الفرج الجوزي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية-المدينة المنورة، طبعة أولى ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

١٧١- **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٧٢- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى-بغداد (بدون تاريخ).

١٧٣- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة-بيروت، طبعة ثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٧٤- **الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية**، لجمال الدين الأسنوي، تحقيق: د/ محمد حسن عواد، دار عماره، (بدون تاريخ).

(ل)

١٧٥- **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**، لمحمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث - القاهرة (بدون تاريخ).

١٧٦- **لسان العرب**، لمحمد بن منظور، دار إحياء التراث العربي- بيروت، طبعة ثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٧٧- **لغة القرآن الكريم في جزء عمَّ**، د/ محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية - بيروت.

(م)

١٧٨- **ما اتفق لفظه واختلف معناه**، لأبي السعادات ابن الشجري، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٧٩- **المبسوط في القراءات العشر**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة، طبعة ثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٨٠- **المحتسب في تبيين شواذ القراءات**، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وزميليه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة ١٣٨٦هـ.

١٨١- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبدالحق ابن عطية، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، المكتبة التجارية-مكة المكرمة.

١٨٢- **المحكم في نقط المصاحف**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د/ عزة حسن، دار الفكر - دمشق، طبعة ثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٨٣- **مختصر تاريخ ابن عساكر**، لمحمد بن مكرم المعروف بابن منظور، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد، دار الفكر - دمشق، طبعة أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٨٤- **المخصص**، لابن سيدة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث الغربي - بيروت (بدون تاريخ).

١٨٥- **المدارس النحوية**، د/ شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، طبعة سابعة ١٩٩٢م.

١٨٦- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، د/ رمضان عبدالتواب، مطبعة المدني - القاهرة ١٩٩٥م.

١٨٧- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، أبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، طبعة ثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٨٨- **مراتب النحويين**، لعبدالواحد بن علي اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر - القاهرة (بدون تاريخ).

١٨٩- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٩٠- **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة-بيروت، طبعة أولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
١٩١- **مسند أحمد**، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أبو المعاطي النوري وأحمد عبدالرزاق عيد وزملائهما، عالم الكتب - بيروت، طبعة أولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٩٢- **مشكاة المصابيح**، لمحمد بن الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٩٣- **مشكلات حياتنا اللغوية**، لأمين الخولي، دار المعرفة-بيروت، طبعة ثانية ١٩٦٥م.
١٩٤- **معالم التنزيل (تفسير البغوي)**، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة-الرياض، طبعة ١٤٠٩هـ.
١٩٥- **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب- بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٩٦- **معجم البلدان**، لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية-بيروت (بدون تاريخ).
١٩٧- **معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري**، لمحمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة- بيروت (بدون تاريخ).
١٩٨- **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، طبعة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية- العراق، طبعة ثانية (بدون تاريخ).
١٩٩- **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة-بيروت، طبعة أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٠٠- المعجم المفصل في النحو العربي، د/ عزيزة فوال بابتي، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٠١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث - القاهرة، طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٠٢- معرفة الرجال، لأبي زكريا يحيى بن نعيم، تحقيق: محمد كامل القصار، مطبوعات مجمع اللغة العربي - دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٠٣- معرفة الصحابة، لأحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن-الرياض، طبعة أولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٠٤- معرفة القراء الكبار، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، طبعة أولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٠٥- المغني في الضعفاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: نور الدين العتر، إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر، طبعة أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٠٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د/ مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر- بيروت، طبعة أولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
٢٠٧- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم-دمشق، ودار الشامية-بيروت، طبعة ثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٠٨- مقدمة ابن خلدون، لعبدالرحمن بن خلدون، تحقيق: حجر عاصي، دار الهلال - بيروت ١٩٨٨م.
٢٠٩- مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمود محمد محمود نصار، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة (بدون تاريخ).
٢١٠- المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، تحقيق: يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، طبعة ثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢١١- الممتع في التصريف، لابن عصفور الاشبيلي، تحقيق: د/ فخر الدين قباوة، دار المعرفة - بيروت، طبعة أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢١٢- مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، د/ حسن هنداوي، دار القلم -دمشق، طبعة أولى ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٢١٣- **من تاريخ النحو**، لسعيد الافغاني، دار الفكر-بيروت، طبعة ثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢١٤- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢١٥- **المنصف شرح كتاب التصريف**، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر، طبعة أولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٢١٦- **الموافقات**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، دار ابن عفان-السعودية/ الخبر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢١٧- **موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة مرتبة على الحروف الهجائية**، لعلي حسن عبدالحميد وإبراهيم طه القيسي وحمدي محمد مراد، مكتبة المعارف-الرياض، طبعة أولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢١٨- **الموطأ**، للإمام مالك بن انس، تحقيق: د/ بشار عواد معروف ومحمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة-بيروت، طبعة أولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢١٩- **ميزان الإعتدال**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).

(ن)

٢٢٠- **الناسخ والمنسوخ في القرآن، لأبي جعفر النحاس** (نقلاً عن صحيفة علي بن أبي طلحة).

٢٢١- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٢٢- **النحو العربي: العلة النحوية: نشأتها وتطورها**، د/ مازن المبارك، دار الفكر-بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٢٣- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة- بيروت، طبعة أولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٢٤- **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، لمحمد الطنطاوي، طبعة خاصة بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية - ليبيا، طبعة أولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

٢٢٥- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، طبعة أولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٢٢٦- **نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب**، للقلقشندي، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(و)

٢٢٧- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان، دار إحياء التراث العربي-بيروت، طبعة أولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(هـ)

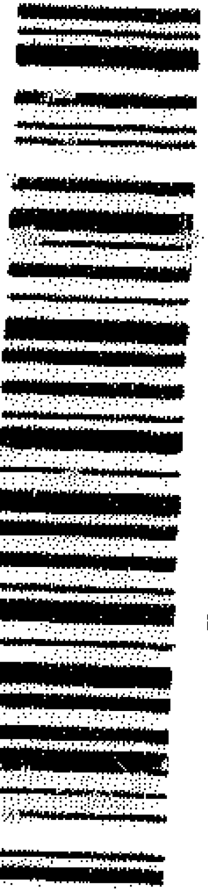
٢٢٨- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).

ثالثاً: الأبحاث المنشورة في المجلات والدوريات :

٢٢٩- **أضواء على التفسير في عصر الصحابة**، د/ عبدالستار حامد- مجلة الرسالة الإسلامية العددان ١٦٢، ١٦٣-١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
٢٣٠- **تفسير الصحابي للقرآن**، د/ محمد رجب بيومي - التضامن الإسلامي (مجلة الحج سابقاً)، العدد (٨) - شعبان ١٤٠٧هـ/ أبريل ١٩٨٧م.
٢٣١- **سياسة الدعوة في الإسلام (ابن عباس يفحم الخوارج)**، منصور رجب- الرسالة، العدد ١٠٧٧-٢٦ ربيع الآخر ١٣٨٤هـ/ سبتمبر ١٩٦٤م.
٢٣٢- **صلة ابن عباس بكتاب تنوير المقباس**، فخر الدين قباوة ومحمود الصغير- مجلة بحوث جامعة حلب، العدد ١٦-١٩٨٩م.
٢٣٣- **فتى الكهول عبدالله بن عباس**، محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي- مجلة الوعي الإسلامي-العدد ١٩٨ جمادي الآخرة ١٤٠١هـ.
٢٣٤- **مناقشة ابن عباس للخوارج دروس وعبر**، معن عبدالقادر- البيان، العدد ١٢ -شوال ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٣٥- **الناحية العلمية والدينية لمكة المشرفة في العهد الأموي**، أحمد السباعي، المنهل، العدد (٨)- شعبان ١٣٧١هـ.
٢٣٦- **نشأة اللغة وتطورها في مباحث اللغويين العرب والأجانب**، د/ هادي النهر، مستل من مجلة أدب المستنصرية، العدد (٤)- ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

جهود الصحابة في اللغة







عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع
إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفون : ٧٢٧٢٢٧٢ - ٩٦٢+ خلوي: ٥٢٦٤٣٦٣ - ٠٧٩
فاكس: ٢٧٢٦٩٩٠٩-٩٦٢+
صندوق بريد (٣٤٦٩) الرمز البريدي (٢١١١٠)
الموقع على الإنترنت
www.almalktob.com

جدارا للكتاب العالمي
للنشر والتوزيع
عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس
خليوي: ٠٧٩٥٢٦٤٣٦٣

ISBN 9957-466-36-4

